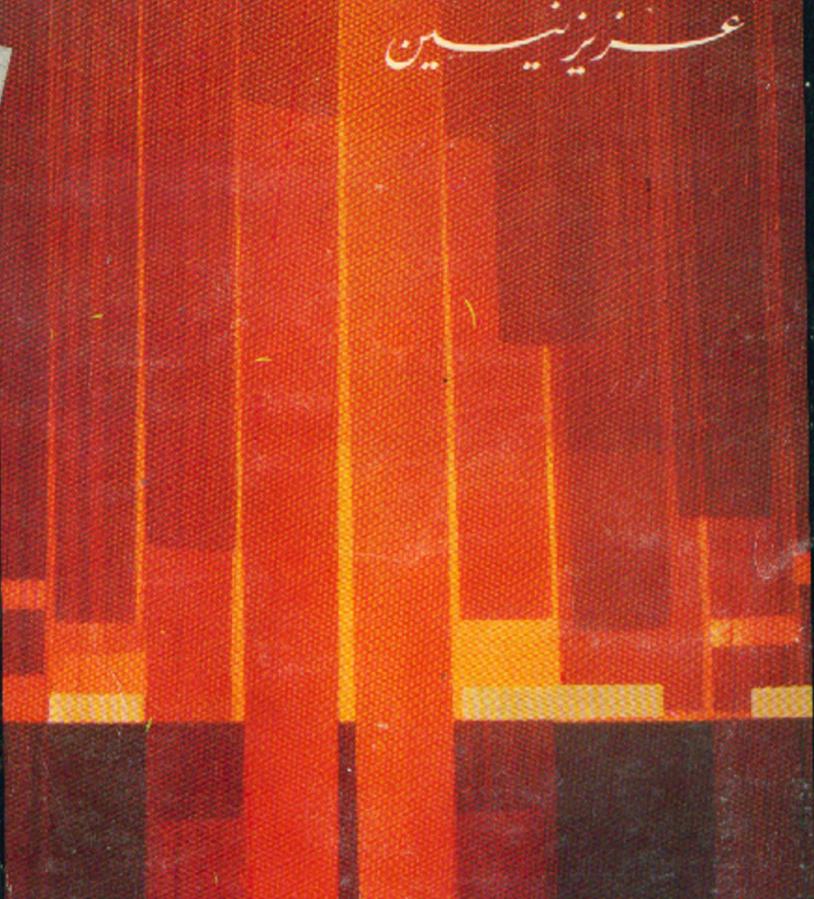


عشر زينتين



كيف قمنا بالثورة

زبيدة

ترجمة:

أحمد الإبراهيم

قصص عالمية

عزيزين

كيف قتلت بالشورة

قصص عالمية

ترجمة:

أحمد الإبراهيم



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٨

Hamdan.B
24/10/08

العنوان الأصلي للكتاب:

Aziz Nesin
İhtilali Nasıl Yaptık
öykü

كيف قمنا بالثورة = İhtilali nasıl yaptık / عزيز نيسين ؟
ترجمة : احمد الابراهيم . - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٨ . -
٢٧٧ من ٤٤٤ سـ .

١ - ٨٩٤ ن ي س ك ٢ - العنوان ٣ - العنوان الموازي
٤ - نيسين ٥ - الابراهيم

مكتبة الاسد

الابداع القانوني : ع - ٢/١٢٠ ١٩٩٨/

تفصل الى صلاة الميت

من أغرب مفاسيم العنازة التي رأيتها تلك التي حدثت في مصنعاً ،
عفواً ، إنها عادة لفوية فكلما تحدثنا عن مصنع شاكر بيك ، نقول
مصنعاً .

شاكر بيك إنسان عظيم ، يتمتع بمزايا مدهشة ، ولكن المكين
لا حول له ولا قوة إذ أنه ولد في بلد مختلف . ماذا لو ولد في بلد من
بلدان أوروبا أو أمريكا ؟ هل كان سيكتفي بما هو فيه ؟ من المؤكد سيكون
الجواب بالنفي ، فلا أشك مطلقاً بأنه كان سيطويّب البلد الذي يعيش
فيه بإسمه . بل وقد يستاجر البلد المجاورة . إن شاكر بيك من
علاقة رجال الأعمال .

عددنا في المصنع يفوق المائة شخص ، ما بين موظفين ورؤساء ،
عمال وعلميين وصناع . كنا نعيش حياة مستقرة هائلة إلى أن جاء
رجل يدعى الأسطة نوري ؛ فلم نعد نعرف للحياة المستقرة طعمها بعد
مجيء هذا المخرب .

إذ أنه ما وبعد مجئه بأسبوع أو أسبوعين بدا يحرض العمال
 قائلاً :

– أجور العمال زهيدة جداً .

لم يتحمله الأسطة فخري ، المضمون بالإنسانية ، والذي يعمل في
مصنعاً منذ عشرين عاماً . فقال له :

– ولد يا بني ، أنت رجل لا تشبع إلا تستطيع إغلاق فمك
قليلاً ؟ ! من الأفضل لك أن تصمت ، الله يوفق الرجل الذي أسس

لنا معملاً وفتح لنا بذلك باب رزق نعيش منه . إننا نعمل هنا ونتناقضى
بضعة قروش نعيش وأولادنا بها . فإذا طردن من هنا كيف سنعيش؟!
أيهم تراه مناسباً أن تموت جواعاً أم أن نعيش وتعمد وشكراً لهذا
الرجل؟ كما أن شاكر بيتك سيجد خمسين رجلاً بدلًا منك إذا ما طردك
من هنا ، بل وسيصطافون بالطابور ليأخذوا مكالك . ولكن الأسطة نوري
رجل عنيد ، عندما سمع هذا الكلام صرخ قائلاً :

— ذلك ... يوجد في هذا البلد شيء اسمه قانون العمل .

اقسم بالله ، لو سمعه شاكر بيتك لامسكته من قبة قميصه ورماه
خارج المصنع . ولكن الأسطة نوري « زودها » كثيراً . حيث أنه بدأ
عادة جديدة وصار يردد :

— نريد إضافة عمل مسائية .

وعندما كنا نوجهه قاتلين :

— تعال يا رجل ... اسكت ... تأدب ...

كان كلامنا يدخل من إحدى أذنيه ليخرج من الأخرى دون أدنى
فائدة .

وباختصار يا سيدى : قلت هذا المخرب معلمنا الجميل رأساً
على عقب . وفي نهاية الأمر سمع شاكر بيتك بأحاديث هذا المخرب . ولكن
ما ادهشنا هو صمته حيال ذلك . ومع مرور الزمن وتعاقب الأيام ازداد
كلام الأسطة نوري . وفي هذه المرة طلب قائلاً :

— يجب أن تكون وجية طعام الفداء على حساب العمل .

ما لا شك فيه ، إن طلبه ليس الفداء وحسب بل يهدف إلى إثارة
القلق والتوتر في العمل . ومن يدرى إن كان لا يخطط بأن يطلب نساً
في المرة القادمة .

لم نكن نحب أن يسمع معلمونا بما يتغوه به هذا المخرب الجنون .
كما أن هذا الكلام لا يشجع أحداً على نقله .

لقد أخذه خمسة مفتشين في إحدى المرات وأعادوه إلى العمل بعد استجوابه ، ولكن ما كان يدهشنا ويحررنا هو : لماذا لم يطرده صاحب المعلم . من هنا تضح لنا مدى طيبة قلب صاحب المعلم ، لا شك أنه فكر بأطفال هذا المخرب الذين سيموتون جوعاً إذا ما طرد والدهم من المعلم .

ولكن شخصاً كهذا لا يمكن احتماله بأي حال من الأحوال . فهذه المرة بدأ بطلب جديد :

— أماكن العمل تعاني من سوء الشروط الصحية .

يا أخي أنا لا أشك مطلقاً بجنون هذا الرجل ، ولك يا بن الكلب ، إذا طردت من هنا هل ستتجدد شروطها أفضل في مكان آخر ؟ أم إنك ستجلس في زوايا الملاهي ثم هل هذا مكان عمل أم فندق سياحي ؟ ! .

وعندما قلنا له « يا أسطه نوري ... لا تتكلم ... لا تشاغب ... »

وبخنا قائلاً :

— « ذلك ... يوجد قانون في هذا البلد .

— يا صديقي ... ومن ينفي وجود القوانين ... طبعاً القوانين موجودة .

لكنه كان يظن ... أنهم سنتوا قوانينا خاصة للأسطة نوري .

كل كلامنا كان يذهب ادراج الرياح ، ولكن ما لم نفهمه هو عدم استعمال شاكر ييك سلطته لطرد هذا الرجل من عمله .

إذا أخذنا ما قاله "الـ...ـطة فخرى حول هذا الموضوع بعين الاعتبار ،
فإننا سنقر وبلا أدنى شك بأن هذا الرجل محرب" ولكنه مع ذلك كان
خبيراً بكل شيء . ولهذا لم يكن باستطاعته ساحب المعلم التخلص من
هذه الخبرة . فقد كانت خبرته تفوق التصور والخيال . عندما كان
يعطل المقسم كان يصالحه وعندما كانت تعطل آلة الخراطة كان يصلحها
بلماع البصر . وكذلك شبكة التهوية ، وأعمال التسوية ، وكان هنا
الرجل ولد من بطنه امه وهو يحمل بيده المقبب ومفك البراغي والفاتيح .
في إحدى المرات تعطلت إحدى الآلات في المصنع ، وعترضت على معظم
المهندسين في العالم ولكنهم عجزوا عن إصلاحها . جاء الخبراء من المانيا
واحضرروا خبراء من بلد المنشآت ولم يستطيعوا إصلاحها وبعد ذلك جاء
المهرب نوري وقال :

ـ أنا سأصلحها ... وبغمضة عين أصلح الآلة وخرج علما أنه لم
يضع أية قطعة جديدة . ففتح المستනات وصب السائل على البسطون
وركب قطعة قديمة ، وفي الليل كانت الآلة المعطلة تعمل بشكل ممتاز .
اعط هذا الرجل مدفأة خشب يسلكه إياها آلة نفاثة لافترقها عن صنع
المصنع . كل هذا الكلام صحيح وجيد ولكن يعبر عن الوجه الإيجابي
لشخصية هذا المهرج . وأما الوجه السلبي في شخصيته !! ... الجتمعنا
نحن الأصدقاء في إحدى المرات وقلنا :

ـ لا يوجد سلطة في هذا البلد لنشتكي على هذا الرجل ؟

ذهبنا إلى المدير العام وأخبرناه بكل شيء ولكن المدير مل من هذه
الشكاوى واسوء ما حدث في الأيام الأخيرة أنه أصبح مهملاً في عمله ،
والمدير العام ، من جهة ، ينذر حظه .. ومن جهة أخرى يقف بصف
الأسطورة نوري ولا يطرده من عمله في هذه الأثناء وعندما كنا في استراحة
الفداء حدث تلك الحادثة . سمعنا انفجاراً قوياً كسر زجاج النوافذ
عنى اثره . فتفرقنا في كل الاتجاهات ونحن نتساءل عما يجري في

المعلم . وفجأة رأينا الدخان يتتصاعد من كساره المعلم ، وبعد ذلك حدثت النجحارات متتالية فلم يكن باستطاعتنا فعل أي شيء سوى الهرب . وبعد أن عم المهدوء في المعلم ، بعد فترة لم تكن قصيرة ، نظرنا إلى مكان الفرن . ولكتنا لم نجد فرنًا ولا كساره ، لقد تحول كل شيء إلى رماد يتطاير في الهواء . بعد ذلك ، جاء المدير وهو يهز رأسه يمنةً وشمالاً ويضرب كفاف بكف ، قال وهو يندب :

— يا إلهي ... يا إلهي ...

وكانده عندما يمرأ بأزمة قال :

— أين الأسطة نوري ... أين الأسطة نوري ... وبعد قليل :

— أوجدوا الأسطة نوري وأحضروه إلى هنا فوراً .

ثم اتجه إلى غرفته .

إن باستطاعة الأسطة نوري إصلاح الفرن والكسارة خلال أسبوع واحد وإذا لم يستطع فلن يتمكن المصنع من مباشرة العمل خلال أشهر عديدة . إن الأسطة نوري ، هو الرجل الوحيد الذي بإمكانه تجهيز المعلم ، بدون كسارة أو فرن .

ولكنهم لم يجدوا الأسطة نوري ، رغم البحث المضني ، في البيت .. غير موجود ، في المقهي ... غير موجود ... غير موجود ...

قال الأسطة فخرى .

— ولد هل طار قليل الشرف هذا؟ .

اجابه عامل الكسارة نيازي :

— نعم ، لقد طار .

— وكيف طار ؟

— من المؤكد أني لم أره وهو يطير ، ولكن وبما انه لم يبق حجر فوق حجر في الفرن ، فلا شك ان الأسطة نوري قد طار . عندما تعطل الفرن ناديت للأسطة نوري كي يصلحه ، فكر قليلا ثم بدأ بالعمل . في البداية أرسلني لأنادي للصانع كوسكو . وبعد ذلك ذهبت لاخبر المهندس بما جرى . وفي هذه اللائنة انفجر الفرن . ولو أنتا بقينا في الفرن لطربنا بحن أيضا .

بحثنا عنه حتى المساء أملين ان يكون قد نجا من الحادثة ولما لم نجده أخبرنا المدير بذلك :

— يا سيدى بالنسبة للأسطة نوري حياتك الدائمة .

عندما سمع الخبر . تنفس الصعداء واستلقى على مقعده وهو في غاية السرور :

— أوههه .. الحمد لله . صحيح أنتا خسرنا الكسارة ولكننا بالمقابل ارتاحنا من بلا عذاب . على كل حال يمكن اصلاح الفرن والكسارة . المهم أنتي ارتاحت من هذه المصيبة الكبرى .

وبعد أن أنهى كلامه . نظر إلينا . فاستدرك قائلا :

— أرجو أن يبقى هذا الكلام بيننا . لا أريد أن يسمع به أحد .

قال الأسطة فخرى :

— رب خسار ، نافعه يا سيدى ، إن موته أشوي رائع .

قال المدير :

— أعرف بأن موته شيء رائع ، ولكنني لا أريد أن يسمع أحد بما قلته .

وفي اليوم التالي ، أكد المدير العام :

— أريد أن تجدوا الأسطة نوري ، سنقيم له حفل تأبين .
بحثنا ... وبحثت الشرطة أيضا ، ولكننا لم نجد أي اثر للجسد .

قال المدير :

— أوجدوا أي شيء ، ذراع أو رجل أو أي شيء آخر .
بحثنا أسبوعا بأكمله ، دعك من ايجاد رجل أو زراع ، لم نجد حتى ظفرا من أظافره .

قال المدير :

— لا اعتقد أن هذا الرجل قد تحول إلى دخان وطار في الفضاء ، لا بد أن يكون قد بقي شيء منه ، أحضروا لي أي شيء تجدونه .

قلت للأسطة فخري :

— يا أخي ، ما أعرفه عن مديرنا أنه كان يكره الأسطة نوري كرها شديدا ، فلماذا إذا يريدنا أن نبحث عن شعرة من شعره ، أو ظفر من أظافره .

قال الأسطة فخري :

الأمر هنا مختلف تماماً . إن شاكر يبك رجل أعمال ويريد أن يقدم حفل تأبين لأحد عملائه . كي تستأهل الألسن هذا العبر ويكون هنا الحفل دليلاً يقدمه ضد كل من يقول إن شاكر يبك لا يحب عملاته .

أعلن المدير العام :

ـ ستقديم مكافأة وقدرها مائة ليرة لكل من يجد أثراً من جسد الأسطلة نوري . وعلى أثر ذلك بدء البحث الدقيق . وماذا وجدوا في النهاية ؟! إن تربيري لا تسمع لي بذكر مثل هكذا كلمات .. لقد وجدوا .. العضو التناسلي للأسطلة نوري محصوراً بين حجرين . ولكننا لم نستطع التأكد فيما إذا كان هذا العضو له أم لا . ولكن من سيكون . إنه عضو وليس منديلاً وقع من جيب أحد العمال التوبية يا ربى .. لا شك أنه الأسطلة نوري ... من يدرى ؟! .. قالت زوجته : « لا استطيع أن انظر إليه .. قلبي لا يحتمل ». وبعد ذلك جاء طبيب البلدية والطبيب الشرعي وبعد المعاينة . أخذ الأمر بالدفن كنا عدة أشخاص على دراية بهذا الموضوع . ولذلك نادانا المدير العام وقال :

ـ أرجو لا يعرف أحد بهذا الأمر . وليرف كل الناس أن الشيء الذي في التابوت هو جسد الأسطلة نوري وليس شيئاً آخر . سنسفع بعملاً ما في التابوت كي لا يشك أحد بالأمر .

غسله الإمام ووضعه في التابوت ثم جاء كل عمال المصنع إلى الجامع الذي سيدفن فيه وكما كان الجامع مزدحماً ، فقد جاء كبار رجال الأعمال ، واجتمع الصحفيون والمفتشون كانت علينا المدير العام الشبهة ماتكون بحسبوري .. وبعد أن أقام الإمام صلاة الحناءة والدعاء قال :

ـ هي يا جماعة . ماذا عرفتم عن المرحوم في حياته ؟ .

لم يستطع المدير منع نفسه ، فركع فوق التابوت وبدأ بالبكاء :

— آه يا أخي نوري ... لقد ذهبت أنت أيضاً .. ماذا سأفعل من
بعدك .. آه يا نوري ولم يكفي ذلك ، بل تابع :

— افتحوا التابوت أريد أن أقبل صديقي قبله الوداع ..

يا إلهي ماذا يجري هنا ! هل جن مديرنا ؟ ثم ما الذي يريد تقبيله ؟!

— لا يمكن ذلك ..

أبعدوه عن التابوت ..

فقال وهو يضرب نفسه :

— إذا ، دعوني ألقى آخر نظرة عليه ..

كل ما استطعت فهمه هو أن مديرنا قد نسي ، في هذا المیحان ،
الشيء الذي وضعناه في التابوت ..

أخذنا التابوت إلى القبر الذي سيدفن فيه ، وبعد أن دفنا
التابوت في القبر وقف المدير على تراب القبر الرطب وبدأ يتكلم وهو يبكي :

— نوري .. يانوري .. لقد كنت سندِي .. خسرتك أنت أيضاً ،
لكني لن أنساك مادمت حياً ، ستعيش في قلوبنا ، لقد كنت مجدًا في
عملك ، كم كان رأسك طرباً ومرناً .. وتسمع الكلمة .. يانوري ..

نظرت إلى الأسطة فخري الذي كان بجانبي ، وقلت له :

— يا صديقي .. هل نسي مديرنا ما هو موجود في التابوت ؟

— وكيف ينسى ذلك ؟

ـ إذا مامعني هذه الكلمات ؟ إن مايفعله ليس عيباً وحسب ، بل وحراماً أيضاً ان يقول الإنسان هذه الكلمات للشيء الذي في التابوت .

ـ يا أخي .. أنت لاتفهم مثل هذه المواقف . إن الموقف يتطلب ذلك .

ـ وأنت .. لماذا تبكي ؟ .

ـ وهل باستطاعة العين والقلب أن يحتملاً سماع هذه العبارات المؤثرة .

ـ انتهت مراسيم الجنازة . ورجعنا من المقبرة ، قال أحد العمال :

ـ لو أتأكد انهم سيقيمون لي مراسيم كهذه عندما أموت فلن آسف على موتي .

ـ وقال آخر :

ـ يا أخي ، كم أحب أن أفيدي مديرنا بروحي ..

ـ إنه يستحق ، الروح فداوه ..

ـ رجعنا إلى المصنع ودخلنا إلى غرفة المدير ، فخاطبنا قائلاً :

ـ لقد تخلصنا من هذه المصيبة بأرخص ثمن ..

ـ إن مديرنا رجل أعمال كبير وعظيم ، ولكن المسكين لا حول له ولا قوة فقد ولد في بلد متخلف لا يعرف قيمة عظمائه .

* * *

لا يوجد رجل بلا سكين

وقف رجل على باب بيتي وقال :

— أرجو ألا تكون قد سببت لك إزعاجاً ، أنا القاضي المتقاعد مخلص جراحي من هيئة مجلس الحرارة ، أعتقد بأنك سمعت برئيس المخفر الذي عين في مخفرنا حديثاً . في الحقيقة ، لقد سمعت به من خلال الأحاديث التي تدور على السنة أهل الحي ، وسمعت أيضاً عن جبروته وعن ضربه المبرح لكل من يراجع المخفر ، ومع ذلك فقد أحببت إظهار عدم سمعي بهذا الخبر فقلت :

— كلام لم اسمع به .

— ياسيدي ، إنه رجل عدواني لا يتعامل إلا بالضرب والقتل ، لم يفسح مجالاً لاي شخصٍ كي يحبه . في كل المخافر التي عين فيها . لذلك رفعت ضده ثمانية عشرة قضية وذلك لأنه يضرب الناس ويعاملهم بقسوة ، أيمكن أن يعين رجل كهذا في مخفرنا ؟

• إن هذا الرجل يشرح لي وكأنني مدير الأمن ، تابع قائلاً :

— إننا نعيش في حارة نظيفة ، وجوارنا رائع وآمن ، فمنذ سنين لم تقع في هذه الحارة أية حادثة . ولهذا قررنا نحن أهالي هذه الحارة أن نجمع التواقيع كي ينقل هذا المحقق من مخفرنا ، لفرد ذهب بعض الأصدقاء إلى بيوت الحرارات المجاورة ، وبعد ذلك سنضم التواقيع إلى بعضها ونرسلها إلى وزير الداخلية . سيصبح طول العريضة مئة متر ها هي العريضة ، إلى الآن أكون قد حصلت على سبعين توقيعاً أرجو أن توقع أنت أيضاً .

والآن ، ماذا على أن أفعل ؟ كل حجر أرميه في الماء لا شك ستحسبيني آثاره ليحيا ألف مرة المفترش الذي لا يرجعني . ولكن إن لم أوقع سيتهمني أهل الحرارة بالجبن . ماذا ؟ هل أنا جبار ؟ احذت العريضة ووقيع عليها ، ولكنني لم أوقع توقيعي الأصلي بل ملدته وذلك كي أبعد الشبهة عن نفسي . لقد أصبح التوفيق كنه لي وليس لي ، فإذا عاكسنتي الظروف في المستقبل ، وسائلوني : « هل هذا توقيعك ؟ .. سأجيب على الفور : « كلا ليس لي » .

لندع المحقق الآن ولنتحدث عن الحادثة التي وقعت في تلك الليلة :

في إحدى الأسمسيات وأنا جالس أتناول طعام النساء ، ركضت إلى الشارع إثر صرخ إمرأة ، نظرت أمام باب بيتي ، فرأيت شابين قطعا طريق إحدى السيارات محاولين اختطاف امرأتين من السيارة . أيمكن أن تصل الوقاحة إلى هذا الحد ؟ حادثة اختطاف في وسط البلد وفي وضح النهار . عندما رأياني قادما نحوهما حاولا الهرب ولكنني أمسكت بأحد الشابين ، لا تعتقدوا بأنني أمسكت به بسبب قوتي ، لا لا ... بل لأنه أصغر مني بكثير . حاول أن يخلص من بين يدي كسمكة تحاول التخلص من الصنارة ولكن دون فائدة .

قالت المرأة وهي تبكي :

ـ لقد جرحت .

لمع سكين بيده إثر انعكاس ضوء السيارة عليها ، فصرخت به قائلا :

ـ هيا إلى المخفر .

حالما صرخت به أدركت خطورة ما أقوم به ، لأن رئيس المخفر ، كما يقولون ، لا يضرب المتهم وحسب ، بل والمدعى أيضا ، وقد لا يتوقف عند

هذا الحد ، بل يعقل ما استطاع من المارين ، ويأخذهم الى القسم
ويسألهما : « مَاذَا فعْلَمْتُمْ ضَدَ الدُّولَةِ ؟ ». ويعقلهم بعد أن يشبعهم
ضرباً . لو لا هذه المرأة المجرورة التي ينزف الدم من كتفها ، الصفت
هذا الرجل كفين أو تركته يذهب لحال سبيله ، ولكن لا حول لي ولا قوة.

ذهبنا جميعنا الى المخفر ، وقفنا أمام رئيس المخفر الذي استطاع
تلخيص منظره بكلمة واحدة : « مَرْعَبٌ » ، لا يوجد لديه رقبة بل عبارة
عن رأس موضوع فوق جسم ضخم .

بعد أن شرحت له الحادثة ، التفت الى المتهم وسأله :

— ما ذا حدث ؟

— لا شيء ياسيدى ، بينما أمشي في حال سبيلي في الشارع أمسك
بي هذا الرجل وقادني الى هنا .

كان واضحاً من لهجة هذا الشاب أنه كارا دنيزلي^(۱) .

قال المفتش :

— لا تطيل الحديث، هيا أخرج السكين .

— أية سكين ؟! أنا لا أملك سكيناً ، أستغفر الله ، أنا لا أحمل
سكيناً .

فتحشه الشرطي ولكنه لم يجد سكيناً ، بل وجد غمداً موجوداً في
نطاقه . أخذ المحقق الفهد وسأله :

— ما هذا ؟

— كارادنيزلي نـ لقب يطلق على سكان المدن الواقعة على ساحل البحر الاسود وهذه
الكلمة مؤلفة من مقطعين : كارا (أسود) + دنيز (بحر) .

لم يعره الكارادينيزي اي انتباه ، بل أجاب ببرود :

ـ إنه غمد يا سيدى .

ـ لكنك قلت أنك لا تحمل سكيناً .

ـ فعلاً ، أنا لا أحمل سكيناً ، ولا استعملها .

ـ بدأ غضب المحقق يزداد شيئاً فشيئاً .

ـ وذلك ما هذا؟!

ـ إنه غمد يا سيدى .

ـ اسمعني جيداً ولا تخرجني عن طوري ، وإلا ستندم ، أسألك :
ما هذا؟!

ـ إنه غمد يا سيدى ، أسأل من تريده ، إن كنت لا تصدقني ، لن
أخفي ، ما يعرفه الله ، عن عبيده ، أقسم بالله انه غمد .

ـ حقيقة ، ندمت كثيراً لأنني أحضرت هذا الشاب الى هنا ، لا شك
بان الحقق لن يخرجه من هنا سليماً معافى .

ـ وذلك ، أينتحمل الغمد بلا سكين؟.

ـ نعم ، يتحمل .

ـ لا يتحمل .

ـ أنا أحمله ، لا دخل لأحد بهذا ، فهو ممنوع .؟!

ـ احمرت عيناً المحقق وصارت يداه ترتجفان ، الحقيقة تقال ، إنه
رجل صبور للغاية .

— حسناً ، أين السكين التي كانت داخل هذا الفمد؟

— أقول لك ، لا أملك سكيناً ، لا تفهمي؟! ..

— التوبية يا ربِي ، يا أخي لا تجتنبي ، مَاذَا تضع داخِل الفمد؟

— لا أضع شيئاً ، أتركه فارغاً ..

بدأ المحقق بقبض أظافر يده اليمنى من شدة غضبه ، وضرب باليديه على الطاولة بقوة ، وصرخ فجأة :

— حسناً ، لا يَبْاع الفمد فارغاً ، قل لي من أين حصلت على هذا الفمد؟

قال الكارادينزلي :

— لا .. لم أشتريه ..

— إذا ، فقد سرقته ..

— لم أسرقه ..

استحوذ الفضب على المحقق ، فصرخ :

— تكلم .. تكلم ..

— إنه هدية يا سيدي ، لقد أهداني إياه أحد الأصدقاء ..

— ما اسم صديقك هذا؟

— اسمه حسن ، قال لي : « ليبق ذكرى معك ، تذكرني كلما نظرت إليه .. » .

قال المحقق للشرطه :

ـ ارموه في القبو .

أخذوا الكارادينزى ، لقد أتعجبت بهذه الصبر الذي يتحلى به الحق الذى يتحدثون عن جبروته وعن ظلمه ، لو أن الذى يتحقق مع هذا الرجل حجر لتطحنه .

بعد ذلك تناولنا أطراف الحديث أنا والحق ، قال :

ـ كيف ستتعامل مع هذا الرجل إن لم تضرره ، قولوا لي بحق الله ، كيف يعامل شخص كهذا ، طعن المرأة ، ويحمل غمداً ، ولكن كيف سأقدمه إلى المحكمة إن لم أجده السكين .

القد عرفت الكثير عنه من خلال حديثه ، رفع ضده إنى الآن ثمانى عشر قضية نتيجة الجوانب إلى الضرب أثناء التحقيقات التي لم يغلق محضر أي منها ضد مجهول .

أجرى دورة في أمريكا ونال عدة جوائز وأوسمة . ولهذا لم تشا السلطة معاقبته فالاستدعاء مدير الأمن وقال له : «اعتباراً من هذا اليوم ، لا أريدك أن تضرب أحداً من المواطنين . إن أفضل ما يمكن أن أقدمه لك الآن هو تعيينك في أحد المخافر ، ولكن إذا أنت أتيت أي شكوى ضدك من المواطنين فلن أفككك ، بل سأقدم كل الأدلة التي أملكها ضدك للمحكمة » .

قال المحقق :

ـ لو لا هذا الإنذار ، لكان باستطاعتي أن أجعله يتكلم مثل الببغاء . ولكن أخ أخ ... ما باليد حيلة . لقمة العيش من جهة ومهنتي من جهة ثانية والأولاد ...

كانت الشرطة تبحث عن صديق المتهم أثناء حديث الحق ، وفي النهاية وجده في الميناء وتم إحضاره إلى مكتب الحق .

أدار الحق ووجه القadam الجديد نحو الجدار وقال له :

ـ قف هكذا ، ولا تلتفت إلى الوراء .

وبعد ذلك أمر بإحضار المتهم وأدار رأسه نحو الجدار ، سأله الحق القadam الجديد :

ـ هل قدمت لصديقك هنا أية هدية ؟.

قال المتهم قبل أن ينتظر جواب صديقه :

ـ نعم .

ـ اخرس انت . ثم وجه كلامه لحسن . . .

ـ هل قدمت له هدية ؟

ـ ربما أكون قد قدمت له هدية ، لا أذكر الآن .

صاحب المتهم :

ـ أولك يا حسن ألم تعطني الفهد ؟!

ـ اخرس ولك / أظهر الفهد لحسن / هل أعطيته هذا ؟

ـ لا يا سيدي ، لم أعطه .

بدأ بالجدال ، وكل منهما رأسه متوجه نحو الجدار الذي أمامه .

— ولك يا حسن ، انت أعطيتني إيه يا أخي ، أنا داخل عليك ...
الم تعطني الفهد؟!

قل ، إنني أحلفك بدينك ... ويأيمانك .. انت أعطيتني الفهد
اليس كذلك؟

— لم اعطيك شيئاً .

— انت لا تتذكر يا أخي ... لقد نسيت اليس كذلك ؟ هذا هو
حال الإنسان لقد أعطيتني الفهد ولكنك نسيت .

— يا أخي ومتى أعطيتك إيه ؟

— أعطيتني ، أعطيتني يا أخي ، انت أعطيتني الفهد عندما التقينا
في الشارع قلت لي : خذ هذا كي تذكرني كلما رأيته ، إنني متأكد ...
هذه إفادتنا .

في هذه المرة ، انزل المحقق المتهم الى القبو ، كنا موجودين ، ثلاثة
شرطة والحارس وانا . قال المحقق :

— ضعوه في الدولاب / الفلقة / .

وضمموا المتهم وربطوا رجليه بالحبل ، رکع المحقق أمامه وصار
يتسلل إليه :

— يابني ... يا ولدي .. يا حبيبي ، قل لي الحقيقة ، أين
السكنين ؟ أين رميتها ؟ أقسمت يميناً للمدير العام على الاً ضرب
احداً . لقد أقسمت يميناً .. هيا يابني .

— أنا لا استعمل السكين ، استعمل الفهد فقط ، هذه هي إفادتي .

— لا تعاند يابني .. سأضربك .

— أقتلني إن شئت . لا يوجد معي سكين ، استعمل القمد فقط ،
هذه هي إفادتي .

وبدأوا بالضرب .. أضرب .. أضرب .. أضرب .. رجل بحجم
الدجاجة ولا يزن أكثر من خمسين كيلو عراماً ومع ذلك لم يفتح فمه
ولم يصرخ ، لا تستطيع وصف تلك الضربات التي كانت تنزل على
جسده . أوقف المحقق الضرب وبدأ يتسلل من جديد :

— يا أخي .. اشتفق على نفسك ، أقسم بالله أنا لا أريد أن أضربك ،
فقط قل لي أين رمي السكين ؟ .

لا يقول ... ويعود الضرب من جديد) لم أحتمل أنا أيضاً فبدأت
أتسلل إليه :

— أنا رأيت السكين بيديك ، وساكون شاهداً في المحكمة ... هيا
قل يا أخي .

— لم تكن سكيناً بل غمداً .

ظهرت خطوط حمراء على رجليه الحافيتين من كثرة الضرب عليهما
بالعصا ، طلبوا منه أن يمشي ، ثم أن يركض وذلك كي تختفي آثار الضرب
كي لا يذهب إلى الطبيب ويأخذ منه تقريراً طبياً . ومن جديد القوه
على الأرض وبدأوا بالضرب .

لو انهالت هذه العصي على ثلاثة رجال لاغتمتهم ، وهذا الصغير
ما زال يردد « غمد ، غمد » ولم يقل أي شيء آخر . الشرطة تتسلل ،
أنا أتوسل والمحقق يتسلل ، حقيقة بداننا نشفق عليه . وصل المحقق
إلى ذروة غضبه فقال : أوقفوه على رجليه . وانهال على وجهه هذه
المرة وكلما نال لكتمة كان يقول :

— الذي كان معه غمداً وليس سكيناً ... هذه إفادتي .

والمحقق يقول :

— ولـك حتى لو كان الفمد فارغاً يعترف الإنسان بوجود السكين كي يتخلص من الضرب .

— إنه غمد يا سيدي .

صار المحقق ذو الوجه الحسن يبكي ودموعه تسيل على خديه وهو يقول :

— يا بني ، إن كنت لا تشفق على نفسك اشفق عليّ ، اشافق على أولادي نحن نعرف أنك طعنـت المرأة ، اعترـف بهذه الحقيقة ، أقسم أنـهم سيسـرـحـونـي من وظيفـتي بـسبـبـكـ سـيـتـدـمـرـ مـسـتـقـبـلـيـ ...
وـقـعـتـ بـحـيـرـةـ مـنـ أـمـرـيـ ، عـلـىـ أـيـ مـنـهـمـ سـاـشـفـقـ ، عـلـىـ هـذـاـ المـحـقـقـ
أـمـ عـلـىـ الـكـارـادـنـيـزـلـيـ ... المـفـتـشـ يـبـكـيـ بـقـسوـةـ .

نظر الرجل الصغير ... الفصـير ... الـكـارـادـنـيـزـلـيـ الـضـعـيفـ ، إـلـىـ
الـمـحـقـقـ وـقـالـ :

— ما كنت سـاعـتـرـفـ حتـىـ لوـ موـتـنـيـ منـ الضـربـ ، غـيرـ أـنـيـ اـشـفـقـتـ
عـلـيـكـ ياـ سـيـديـ الـحـقـيقـ ، اـشـفـقـتـ عـلـىـ أـلـادـكـ وـعـلـىـ مـسـتـقـبـلـكـ وـلـهـذاـ
سـاعـتـرـفـ ، كـانـ يـوـجـدـ سـكـينـ دـاـخـلـ الـفـمـ ، أـنـاـ أـسـتـعـمـلـ الـفـمـ وـالـسـكـينـ
أـيـضاـ . وـهـلـ تـعـقـدـ بـوـجـودـ رـجـلـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ بـلـاـ سـكـينـ ؟ أـقـدـ رـمـيـتـ
سـكـينـيـ عـنـدـمـاـ كـانـ هـذـاـ رـجـلـ يـقـوـدـنـيـ إـلـىـ هـنـاـ . لـقـدـ تـكـلـمـتـ لـأـنـيـ اـشـفـقـتـ
عـلـيـكـ ياـ سـيـديـ .

وبـعـدـ ذـكـرـ ذـهـبـ معـ اـنـتـينـ مـنـ الشـرـطـةـ وـاحـضـرـوـاـ السـكـينـ ، لمـ يـعـدـ
بـاسـتـطـاعـةـ الـكـارـادـنـيـزـلـيـ السـيـ أوـ الـوقـوفـ عـلـىـ رـجـلـيـهـ فـسـقطـ بـجـانـبـ
الـجـدـارـ وـهـوـ يـقـولـ :

— اـكـتـبـواـ إـفـادـنـيـ .. أـيـعـقـلـ أـنـ يـقـالـ لـرـجـلـ رـجـلاـ إـذـاـ كـانـ لـاـ يـمـلـكـ
سـكـينـاـ .. أـيـوـجـدـ رـجـلـ بـلـاـ سـكـينـ .. طـبـعاـ يـوـجـدـ مـعـيـ سـكـينـ ..

تعليمات حول حمل الأشخاص على الأكتاف

أحياناً يترك لنا سامي البريد بين الرسائل والصحف والمجلات المرسلة إلينا بعض الرسائل المرسلة إلى أشخاص آخرين ، وفي اليوم التالي أسلمها إليه .

أما بالنسبة للرسالة التي سأحدثكم عنها والتي سلمنا إياها سامي البريد بالخطأ ، فقد مزقت غلافها قبل أن أقرأ العنوان وقرأت محتواها ولسبب ما ، أدركت أنها ليست لي ، فقرأت العنوان على الغلاف حيث كان خاتم حزب العدالة عليه .

كانت هذه الرسالة عبارة عن تعميم أرسل إلى منظمات المنافق .

انا أؤمن بأنه ليس من اللائق قراءة الرسائل المبعثة للآخرين ، ولكنني وجدت أن هذه المعلومات القيمة المطبوعة في التعميم تهم كل المواطنين فلم أشا حرمان المواطنين من هذه المعلومات ولهذا قررت نشر هذا التعميم على القراء الأعزاء لعلهم يستفيدون منه :

حزب العدالة .

القيادة العامة .

العدد : ٩٩٠٠١

٤ شباط ١٩٦٥

إلى رئاسة منطقة تم قراءة ودراسة الشكاوى التي أنت من تشكيلات بعض المدن والمناطق ، وتم أخذ بعض التوصيات في اجتماع الحزب الذي عقد في يوم ٠٠٠٠

تجمع هذه الشكاوى حول بعض السلبيات التي تحدث في مؤتمرات المدن والمناطق وحتى في المؤتمر العام للحزب ، حيث يحمل بعض المندوبين والنواب على الاكتاف ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : وضع أحد أعضاء الحزب المتحمسين رأسه بين رגלי أحد نواب مجلس الشعب المسنيين ورفعه فوق كتفيه مما سبب حدوث أزمة قلبية للنائب العجوز بسبب الخوف الذي ألمَ به .

أيضاً هناك شكوى حول حادثة وقعت في إحدى المؤتمرات حيث تقدم أحد الحزبيين المتحمسين من أحد النواب وأدخل رأسه بين رجليه ورفعه على كتفيه مما أدى بالنائب إلى فقدان توازنه ووقوعه أرضاً . ضبعاً من المخل وقوع أحد النواب على الأرض نتيجة فقدان توازنه مما يؤدي إلى افساد الطابع الجدي للمؤتمر ولهذا فإن حزبنا يستنكر مثل هذه الحركات .

ومما يفسد الطابع الجدي للمؤتمر أيضاً ، قول أحد النواب الذين يتذمرون من جراء ملامسة أجسادهم لأحد الحزبيين المتحمسين الذين يحاولون وضع رأسهم بين أرجل النائب : « أتركني ولذلك . . . »

ولهذا يجب على الحزبيين المتحمسين أخذ عامل الدغدفة التي يعاني منها بعض الأشخاص بعين الاعتبار قبل أن يحاولوا رفع النواب على أكتافهم .

كما أنه من غير المستحب حمل بعض النساء النائب في المجلس أو النساء المندوبات الموجودات في حزبنا . فكما نعتقد أن منظر المرأة وهي تقف على أكتاف أحد الرجال أو تجلس على كتفيه وقد بُرِزَ رأسه من بين رجليه منظر غير لائق .

فيجب على الحزبيين الذين يريدون حمل النساء أخذ كل هذه الأمور بعين الاعتبار . كما ثبتت التحقيقات التي قمنا بها أن هناك أشخاصاً من أحزاب يسارية يتسللون إلى مؤتمرنا بقصد إفساد الطابع الجدي للنقاشات كما تبين لنا أن الرجل الذي وضع رأسه بين فخدي إحدى المندوبيات ورفعها على كتفيه رغم قوله له « لا ... لا تفعل أرجوك » كان رجلاً يسرياً قد تسلل إلى مؤتمر حزبنا بقصد التخريب .

كما تبين لنا أن هناك بعض المخربين الذين يتظاهرون ببعضويتهم في حزبنا ويقومون بحمل النواب على الاكتافهم أو يدغدغونهم من الأسفل .

الذلك رأينا أن هذه الأسباب هي التي تعطي جواً من التوتر والنكبة للاجتماعات أثناء مناقشة بعض قضايا الوطن المهمة مما يؤدي إلى حدوث ضشك وقهقة عند النواب . في كل هذه الحالات تقع حوادث مؤسفة جداً .

بداية نقول : في الحدى المؤتمرات وبالرغم من ممانعة أحد النواب فقد حمل على الاكتاف وكان نتيجة ذلك حدوث فتاق عند السيد النائب .

لقد تحدثنا عن بعض الحالات فقط لأننا وجدنا أنه من غير الملائق الحديث عن حالات أخرى كثيرة . ولذلك اجتمعت القيادة العامة للحزب وتوصلت إلى بعض التوصيات بهذا الشأن ، فقد أرتأى بعض الأعضاء منع حالات رفع النواب على الاكتاف غير أن التحقيقات والدراسات التي أجرتها القيادة العامة أكدت على أن رفع النواب على الاكتاف يعبر عن نوع من الديموقратية التي نحن حريصون جداً على سلامتها . وبلهذا فررت القيادة العامة باستمرار حمل النواب على الاكتاف واعتبرته حقاً من حقوق أعضاء الحزب ولكنها وضعت بعض التدابير الالزمة لذلك نوجزها فيما يلي :

١ - يجب أخذ موافقة الشخص الذي سيرفع على الاكتاف قبل القيام بحمله منعاً لوقوع الحوادث .

٢ - يجب أن يسجل اسم الحامل والمحمول قبل عملية الحمل ، لأنه إذا قام أحد الحربيين قصار القامة برفع أحد التواب طوال القامة فإن ذلك سيؤدي إلى ملامسة ارجل النائب الأرض وهذا منظر غير لائق ، والعكس صحيح ، أي أن يحمل أحد الحربيين طولي القامة نائباً قصيراً القامة يؤدي ذلك إلى ظهور النائب بمنظر مضحك ، كفراشة فوق عمود مرتفع .

ولهذا يجب أخذ نسب الطول والعرض بين الحامل والمحمول بعين الاعتبار ، إذ أن عدم وجود التناسب بين الأجسام يؤدي إلى وقوع حوادث مؤسفة .

ومنها محاولة حربي متخصص تحمل لحمل نائب بدين على كتفيه فما أن وضع راسه بين رجليه حتى انقطعت أنفاسه وأغمي عليه .

٣ - يجب أن يتم تسجيل الشخص الذي سيتحمل وبجانب اسمه يسجل اسم الشخص الذي سيحمل ، فقد حدثت حوادث مؤسفة نتيجة هجوم عدة أشخاص متخصصين على نائب واحد يريدون حمله مما أدى إلى حدوث ازدحام وسقوط وإغماء بعض الأشخاص .

٤ - لقد أثبتت التجارب أن هناك بعض الأشخاص الذين يعانون من أمراض معينة كالفتاق مثلاً ، وهناك البعض الآخر من التواب المسنين الذين لا يتحملون الجلوس فوق الاكتاف ، فإذا ما أُجبر هؤلاء التواب على جلوسهم فوق الاكتاف قد يؤدي ذلك إلى وقوع حوادث مؤلمة جداً .

٥ - يجب أخذ موافقة الأشخاص الذين يتاثرون بالدغدة ، كما نوصي النواب الذين سيرفعون بلف أقدامهم بقطعة قماش سميكه جداً منعاً لحدوث الدغدة .

٦ - منعاً للغوضى ، كأن يدسّ أحد الاعضاء المتحمسين رأسه بشكل مفاجئ بين رجلي أحد النواب ليضعه فوق كتفيه ، ارتأينا وضع برنامج يُبيّن أن ، ومن ، ومتى ، وأين سيتم الرفع على الكتفين وخوفاً من فقدان توازن بعض النواب المحمولين مما يؤدي الى وقوع النائب أرضاً يوضع عدة أشخاص حوله من اليمين واليسار والأمام والخلف .

٧ - أما بالنسبة للشخص الذي سيتحمل على الاكتاف فيجب أن يباعد بين ساقيه ، وتعتبر هذه الوقفة إشارة للذى خلفه معناها أنه مستعد لأن يحمل ، وينتظر بعد ذلك وهو على هذه الحالة .

إن التجارب التي أجريت بهذا الخصوص أعطت نتائج مرضية لأنه عندما يجد الشخص الذي في الخلف النائب (الذى أمامه مبعداً بين ساقيه ، سيدخل رأسه بينهما دون إضاعة الوقت ويرفعه فوق كتفيه ، وهناك نقطة هامة يجب الوقوف عندما ، وهي : انه على الشخص الذي في الخلف الا يضيع الوقت كثيراً ويترك النائب الذي أمامه مبعداً بين ساقيه لمدة طويلة لأن هذه الوقفة تعطي مجالاً للأعضاء الذين في الخلف لأن يفسروا هذه الوقفة تفسيراً خاطئاً .

٨ - يجب أن تلتفت الانتباه - ونحن نقدم هذه التوصيات - إلى نقطة هامة ، وهي أنه من المناسب جداً إجراء بروفات وتدريبات وذلك قبل المؤتمر بوقت مناسب ، ينصح بإجراء التدريبات على الحمل بين كل شخصين متناسبين في غرفة كبيرة أو في صالون كبير .

٩ - لا يوجد حزيناً أية ضرورة لرفع النساء فوق الاكتاف ، أما إذا أرادت النساء ذلك ، فإننا نوصي بأخذ التدابير الازمة بخصوص

الشيب الداخلية والكيلووات ، وعلى العموم فلستنا مسؤولةين عن الآثار
التي قد تحدث .

أخذ قرار بضرورة وصول هذا التعميم الى كل اعضاء الحزب من
القيادة العامة وحتى اعضاء أسفل الهرم الحزبي .

التوقيع :

صاحب النابه والخان الشاهد والغازي
ابنكم احمد نورمان المعروف نياري

التوقيع :

عاشق الملكية الخاصة التي أسسها الغاش
حضر أوغلو صتمش



لولا مستقبلي

سيدى العزيز . . .

هاندا اعرض عليك سيرتي الذاتية كتابة ، ماذا تفضلت . . .
أتريدها مفصلة . . . على راسي ياسيدى سأعرضها بالتفصيل ، كيف . . .

فهمت . . . تريد أدق التفصيات ، ابتداء من أصغر الأمور . . .
نعم نعم . . . فهمت ، لن اكتب سيرة ذاتية وحسب ، بل سأكتب
مذكرات . . . على راسي ، على راسي ، لن أخفي شيء . . . طبعاً . . . دون
ادنى شك ، حتى أدق الأمور سرية . . . نعم . . . نعم . . . وبالتفصيل . . .
على راسي ياسيدى على راسي . . .

ولدت في بلدة « كنالى جه » . . . أليس الى هذا الحد؟! . . . كما
تريد يا سيدى . . . على راسي ، سأبدأ بأحداث أقرب ، . . . نعم فهمت . . .
تريد الحوادث المهمة في حياتي يا سيد . . . ها . . . ها . . .

إن أول حادثة مهمة في حياتي هي المشاجرة التي وقعت بيني وبين
زملائي عندما كنت طالباً في مدرسة « نومونا الترقى » / مثال الترقى / .

بما أنك ت يريد الحوادث الصحيحة ، فهاندا أكتب لك . . . لقد
بدأ هذا الشجار بالضرب المبرح الذي تعرضت له من احمد القزم ،
لا : لا . . . ما كنت سأكتب تلك القائلة من القزم احمد لولا وجود المعلم
المناوب ، فليحمد الله وليدع للمعلم . . . ذاك الولد الذي أسميناه القزم
لصغر قامته . كان ذلك منذ حوالي . لحظة كي أتذكر . . . أه . . . نعم نعم
. . . منذ ستين عاماً كنت جالساً على مقدمي أراجع بعض الدروس ،
حين لفظت كفأ على رقبتي ، الى الآن أتذكره ، وكأنه حدث اليوم ،
يومئذ أحسست بأن الشرر يتطاير من عيني وقبل أن افتح فمي قال :
« لماذا تضربني ذلك . . . » التفت الى الخلف فرأيت احمد القزم ، قال

هذه العبارة وأردفها بكلمة على وجهي .. آه يا سيدى .. لست أدرى كيف لقزم كهذا ان يخرج لكتمة كهده . فلت : ومن الذي يضرب ؟ فقال « أنت تضربني » ونبع كلماته بكلمة اخرى . سار طلاب الصف بغيرتهمون ، وعندما فلت له اديج على نفسك يا أخي ، أنا لست أضررك . لكتمي لكتمة على انفي . عفوا فوقدت على مؤخرتي .

بذا الدم يسيئ من انفي . وعندما ثلت له : يا احمد لا نضرب مائشتك المعلم . دا يكيل لي الكلمات بينما بقية الاصدقاء يضحكون ... فقلت : قولوا أنته ايهها الاصدقاء . هل انا من يضربه ؟ فيما بالكلمات والكافوف على راسى وعلى وجهى وهو يقول : « أنت من تضربنى » .

يا سيدى وانا ايضا كنت استطيع ان اضربه لولا وجود الاستاذ خالد بيتك .. لولا خالد بيتك لا خرجت امعاءه .. آه ولكن ما باليد حيلة فالاستاذ موجود ، أقسم بالله كنت استطيع ان ادوس هذا الفرم برجلى او لم يكن الاستاذ موجودا . والله لولا وجود المعلم لقتلته .

عندما ادركت ان هذه الحادثة لن تنتهي على خير ، هربت من المف الى الحديقة ، وبذلك افقدت نفسى من يدي الفرم احمد . آه لولا وجود المعلم خالد بيتك .. آه .. لكننى قتلت ..

اما الحادثة الثانية والمهنة في حياتي يا سيدى ، فقد وقعت عندما كنت العب واصدقائي في ملعب الحارة . اعتقاد أن عمري وفتنت كان حوالي السادسة عشر . كانت لعبة كرة التدم قد دخلت الى استانبول حديثا ، ضربت الكرة برجلى الى مرمى الخصم . كان يلعب معنا صبي زناديء حقي العجل ، قال لي ، عفوا انا اخجل من لفظ هذه الكلمات - قال لي « ايهما الحقير » فقلت له .. « أنت » عندي قفز على ورائح بضربي ..

يا سيدى . نحن تربينا تربية عائلية راقية . ولهذا لم استطع ضربه . سار يضرب ويضرب حتى اصبح وجهي مثل سوق الاربعاء ، كان

باستطاعتي أن أريه نجوم الظهر ولكن تربيتي لا تسمح بذلك أقسم بالله
أنه كان باستطاعتي تمزيقه إرباً إرباً لو لا تربيتي الرائعة، من ..؟؟؟
كنت ساكنه ، لو لا تربيتي العائلية الراقية .

من الحوادث التي أستطيع تذكرها أيضاً تلك التي حدثت عندما
كنت في العشرين من عمري ، كنت في زمن المراهقة . كنا نلعب الترد
في المقهى ، نسيت الآن اسم الذي كان يلعب معي ، نجاة حمل الطاولة
وضربني بها على رأسي ، أحسست بالنجوم تتطاير أمام عيني ، دُهشت
لما يحدث يا سيدي ... كنت سأضر به ، نعم سأضر به ... لو لا وجود
والدبي ، وأنا أحترم والدبي جداً فليحمد الله وليدع نوالدبي ، لو لا ذلك
لاكلته لقمة لقمة ... آاه لو لا وجود والدبي .

لم افتح فمي خوفاً من وصول صوتي الى أذني والدبي ، بعد ذلك
ذهبت الى الصيدلية وضمدت رأسي. بعد ذلك يا سيدي، في يوم ربيعي ،
لن أنساه ابداً، كنت في عهد الشباب وتعرف ذلك المهد وغرامياته ، كانت
تربطني في ذاك الوقت علاقة عاطفية مع إحدى الفتيات ، وكانت على وشك
أن أطلبها للزواج من أهلها ، وفي إحدى الأمسيات ونحن نتمشى في الريف
هجم علينا رجل "من بين الأشجار ، امسك يد الفتاة محاولاً اختطافها ،
ما رأيك يا سيدي ، هل أسمح له بها؟ لو رأيته لادركت أنني أستطيع
وبنفحة واحدة من فمي رميه أرضاً ، وبدا الشجار بينما غير أنني كنت
البس معطفاً ثقيلاً جداً منعني من ضربه ، آخر لو لا وجود ذاك المعطف ،
لكنت سأريه ماذا سأفعل به ، لكن ما باليد حيلة ، فالمعطف موجود ، ..
لتبلئ عينا المعطف بالعماء ، أخذ الرجل الفتاة من بين يديه قسراً وغابا
بين الأشجار ، والفتاة صارت تصرخ بدون ادنى خجل وتقول لي : تفوه
عليك ، ... أي رجل أنت؟ وكأنها لا ترى المعطف الذي البسه ، ولا
تدرك مدى ثقله فقلت لها : لو لا وجود المعطف ... ولكن ما باليد حيلة.

وبعد ذلك يا سيدي ، تعافت الأيام ، تزوجت وتوفي والدبي ، أمد
الله بعمرك ، كنا نسكن في بيت واحد ، أمي في الطابق الأرضي ، وأنا
وزوجتي في الطابق الثاني لم يمض من عمر زواجنا سوى شهرين عندما

هجمت علي زوجتي ولسبب لا اعرفه وبدأت تقاذف اي شيء تصادفه في طريقها على جسدي . وعندما لم يبق اي شيء امامها فهرت عالي كالدليك ، وصارت تخمنني وتعضني . وانا اقسم لك يا سيدى ، باستطاعتي رميها أرضا فقط لو وضفت يدي عليها دون ان أضر بها ولكن فكرت . ماذا لو سمعت امي ؟ آه لولا وجود امي لضررتها ضربا سير حار ... آه لولا وجود امي الذي معنني منفتح فمی او النطق بآية الكلمة ، المهم بعد شهر من الملاج تم العلاج بیننا .

وعلى هذا المنوال دخلت عامي الثلاثين ... الخامس والثلاثين . في منتصف احدى الليالي استيقظت من نومي وقفزت من السرير على صوت ضجيج في البيت ، وإذا بلص دخل بيتي وراح يفتح الخزانة ، اقول لك الصدف يا سيدى . لو علمت انه لص لتفاهمت بالنوم ، ولكنني فهرت بحربة لا إرادية وعندما رأني اللص هجم علي ، يا له من لص وقبح يسرق البيت ويهاجم على صاحبه . ماذا كنت ستفعل لو كنت مكانى ؟ مستضربه . حسن . أنا أيضًا فكرت بذلك ، ولكن لو مات بيدي ماذا سافعل ؟ هل يسامحني القانون ؟ آه لولا وجود القانون . وضع اللحاف على رأسي وكلما صرحت « النجدة » كان يزيد الضغط على رأسي وأخيراً لم يبق أمامي سوى التظاهر بالاختناق فأخذ الرجل كل محتويات البيت وذهب . ليدع هذا الرجل للقانون الذي انقذه من بين يدي ، لولا القانون لو رضعته تحت رجلي ولا ادعه حتى يصبح جثة هامدة .

بعد ذلك تزوجت من امرأة ثانية ، وفي يوم من الأيام كنت ذاهبا إلى إنقرة لقضاء بعض الأعمال ولكنني لم الحق بالقطار فعدت إلى البيت ، دخلت بهدوء على رؤوس أصحابي كيلا أو قط زوجتي من نومها . دخلت غرفة النوم — لقد طلبت مني الا أخفى سرا — نظرت إلى السرير فرأيت حركات غريبة ، وباليتها افتشت بالحركات فقط بل وباللحوظ التي أدخلت من التفوه بها امامك « يا روحى ، يا قلبي يا حبيبى ، يا حياتى ... » لقد غلى الدم في عروقى . إنه الشرف يا سيدى . الشرف الذي لا يشبهه أي شيء آخر . مباشرة سأسحب مسدسي و .. « دان دان دان » سأقتل

الاثنين ، مسدس ؟! يا سيدى أنا لا أحمل مسدساً ، . . . ليكن ،
الانسان يعيش من أجل شرفه «دان دان» سأقتل الاثنين . . . ولكن تعال
وفي وقت كهذا . . . في منتصف الليل ، ماذا بإمكانك أن تفعل ؟
سيستيقظ الجiran ويتساءلون عما يحدث ، آه لولا وجود الجiran ،
لأرسلت الاثنين إلى جنة الحمير . . .

ولكن الجiran موجودون ، ليحمنا الله وليديعا للجiran . . . المهم
تابعت طريقى على رؤوس أصابعى وخرجت من البيت .

نعم اعتقادك بمكانه ، كنت سأطلقها ، ولكنى ما إن نويت ذلك حتى
جاءنا ولد وتبعه آخر وهكذا . . .

رحلنا الى بيتنا الصيفي . . . وفي إحدى الامسيات دخلت بيتي ،
كانت زوجتى ، عفوا ، بوضع غير لائق . . . نعم أمي الآن غير موجودة ،
ولا يوجد جiran حولنا ، ولكن . . . آه يا سيدى يوجد أطفال . . . آه لولا
وجود الأطفال . . . عندما رأى الرجل ظن أني سأقتله فهجم علىّ وهو
عار قلت له : « يا أخي البس ثيابك أولاً ثم تعال . . . » ولكنه لا يفهم
هجم علىّ . . . آه لو لم يكن عارياً . . . ولو لا خوفى من ملامسة شيء من
هنا أو شيء من هناك بأصابعى ، ولكن الرجل يضربنى ، لولا زوجتى
ولولا وجود الأطفال لكنت سأعرف ماذا سأفعل به ، ماذا سأفعل ؟!
سأطلقها طبعاً ، ولكن آه . . . طأطأت رأسي خوفاً على الاولاد . أمضينا
اسبوعاً ، وبعد ذلك خرجنا قسراً ، آه ليحمنا الله وليديعا لهؤلاء
الأولاد فلولاهم لقتلت الاثنين .

وتفت حادثة مهمة أيضاً في الدائرة ، فلم يبق صنف من العذاب
لم أذقه من المدير العام ، حتى وصل به الأمر للدرجة أن يحرقنى ويشتمنى
أمام الموظفين . لقد أصبح وضعى لا يحتمل ، في الحقيقة نويت أن أقدم
شکوى ضد المدير العام ، ولكنى أخاف من الله . . . فقد يحرم من عمله
ومن لقمة عيشه . . . آه لولا خوفى من الله ، وفي يوم من الأيام برصق فى
وجهي قائلاً « تفوه ». . .

ما زلت نستطيع أن أفعل !! .. يوجد بيننا حاجز واحترام .

لقد ذقت العذاب على يدي هذا المدير لدرجة التي تويت قتيله
ختقاً . نعم كنت سافلته ... ولكن ماذا لو قدموا ضدّي شكوى .
من المؤكد سيطردوني من العمل . يوجد في بيتي اطفال يتوجب على تلبية
احتياجاتهم ... آه يا سيدى لولا وجود الاطفال لما وقفت صامتاً امام
هذا المدير الفظالء .

في أحد الأيام جاءت امرأة من المراجعين وبجانبها طفل في الخامسة
من عمره . بسبب من الأسباب رمتني المرأة بداوة الحبر ... ولكنهما
انسان وأنا واحد آه .. لو لم يكونا اثنين لعرفت ماذا سافعل بهما .. آه
لو لم تكن امرأة ...

على كل حال ... تقاعدت من العمل والحمد لله ...

جاءني في أحد الأيام المستاجر وضربني بالحذاء على راسي مع العلم
أنني لم أعرف سبباً للتصرفه هذا . انظر لم يزل أثر الحذاء واضحاً على
جبهتي ... ماذا سافعل الآن وقد تقدمت بالعمر الى هذا الحد .. ماذا
لو وقعت هذه الحادثة في أيام الشباب لعلمه كيف يضرب الناس .
تسألني عن عمري .. يا سيدى أنا في الثالثة والسبعين من عمري الآن
وأنا قادم الى حضرتك اعترضني أحد من قليلي الادب ... لماذا ؟! ومن
أين لي أن أعرف ...؟ إنها قلة أدب ... كنا نركب الباص سوية فقلت
له « أبعد من خلف زوجتي » فلكلمني على وجهي ، انظر ما زال إلى الآن
أثر المكمة واضحاً على وجهي .

ماذا فعلت ؟! .. وماذا بإمكانى أن أفعل يا سيدى ؟ أمامي
مستقبل أخاف عليه .. آه لولا مستقبل لما تركته قبل أن أشبعه ضرباً .
اقسم بالله كنت سادوسه بقدمي وادفنه هناك . لولا الخوف على
مستقبل يا سيدى لكنت قتله هناك .

هذا كل ما لدى يا سيدى .

الدنيا كبيرة لمن لا يجد لنفسه مكاناً عليها

صغرت الدنيا بالنسبة لبعض الناس الدرجة انهم يستطيعون التقاطها
باصبعين وضعها في فمهم وابتلاعها . أما بالنسبة للآخرين الذين
يتجولون في الشوارع دون هدف ودون أن يعرفوا إلى أين هم ذاهبون فهم
يرون بأن الدنيا كبيرة لدرجة أن المحيطات لا تسع لها .

أحسست بكبر هذه الدنيا عندما كنت أعاني الجوع لليوم الثاني ،
ولذلك فرحت كثيراً عندما رأيت كمال وقلت له :

— إلى أين أنت ذاهب ؟

— لا أدرى .

من خلال جوابه أدركت بأن الدنيا كبرت بالنسبة له . فقلت :

— الدنيا كبيرة لم لا يجد له مكاناً عليها .

لم أدرك تماماً إذا كان قد فهم قصدي أم لا ، لكنه قال :

— الناس لا يفكرون بشكل جدي الا اذا ذاقوا طعم الجوع . وتتابع
يقول :

— اذا أردت ان تملأ معدتك بالكاتو والبسكويت تعال معي .

— على اعتبار أنني أحترم كل فكرة وبما أن ما طلبته يعبر عن فكرة
ما ، اذا أنا مجبر على احترامها .

دخلنا إلى أحد محلات الحلويات الموجودة في غلاتا سراي ، وصعدنا
إلى الطابق الرابع ، دخلنا من باب عريض مفتوح على مصراعيه ، عندما

نظرت في وجوه الوجودين أدركت ان متوسط اعمارهم فوق الثمانين عاماً . اي اننا ستجلس مع مواطنى الطبقة العليا في المجتمع . نظروا إلينا باستهجان وكأنهم عرفا علينا وفيمنا . يوجد بينهم .. أمرأتان إن صح التعبير - كن يجلسن على كراسٍ مزركشة ومرينة بالمجوهرات ووجوه من القماش الملمع اما بالنسبة للنواخذ ، فقد كانت واسعة ذات ستائر مصنوعة من المخمل وممتدة من السقف الى الأرض . كانت الشريا تنشر اضواءها من خلال عدد من المصابيح الكهربائية . جلسنا بجانب بعضنا على طاولة فارغة . وضع كمال رجلاً على رجل وأسند طهره الى الخلف . كنت افكر بأمررين ، الاول هو سبب وجودنا بين هؤلاء الناس والآخر كيف سنبطوننا بالكتو . مد كمال يده الى علبة فضية موضوعة على الطاولة وأخرج منها سيكاراً وأشعله ، فأخذت انا ايضاً سيكاراً وأشعلته . ولانتي لم ادخن اية سيكاراة من الصباح فقد أحسست بدوار حالما سحبت اول نفس من السيكار .

بعد وصولنا حضر عدة اشخاص آخرين ، همست بإذن كمال قائلاً:

- من هؤلاء ؟ فأجاب هامساً :

- هؤلاء هم مثقفو بلدنا ومشهوروه ، إنهم من الناس التي لا تدجن .

- وماذا سيحدث هنا ؟

- سنعرف الان .

كان ضمك هؤلاء الاشخاص أشبه ما يكون بقرعة جنرال السفينة . إنهم معرض للطبقة المخملية في المجتمع ، الذين كثيراً ما نراهم في الجرائد والجلالات . كان يوجد بين الحضور رجل بدین ذو ذقن طويلة تدللت خالدتها الى صدره . صعد فوق احدى الطاولات بعد ان نظر الى ساعته وبدأ كلامه :

يا أبناء هذه الدولة المحترمين ، نجتمع اليوم ، كما تعرفون ، بناء على الإعلان الذي نشر في الصحف بفية تأسيس « جمعية تطوير تركيا بإستخدام السياحة » وكما هو معلوم بناءً على قانون تأسيس الجمعيات يجب أن تشكل هيئة مؤسسين للجمعية . وكما أرى يوجد فائدة عظيمة إذا كان عدد المؤسسين كبيراً، ولهذا إذا سمحتم لي سأعتبر كل الحاضرين من هيئة التأسيس ، وتعالى الأصوات « موافق » « موافق » « موافق » « موافق » تابع الرجل البدين قائلاً :

— إذا دعونا نسجل أسماء الحاضرين .

بدأ التسجيل من الجالسين قرب الباب ، ومع أنه يعرفهم واحداً واحداً فقد كان يردد أسماءهم بصوت عالي ويكتب :

— البروفيسور جودي رنلي أوغلو ، الاستاذ البروفيسور إلهام ناريت ، الدكتور ذهنى كل أباجي منهم البروفيسور ومنهم العضو في البرلمان ومنهم رئيس التحرير وهكذا

وعندما أتي دورنا سألنا الرجل البدين :

— وأنتم ..

نفح صاحبي دخان سيجاره وقال :

— كمال بالز .

— وأنتم ..؟ قدمت اسمي قائلاً :

— حسن جيمبريك .

وبهذا أصبحنا من مؤسسي « جمعية تطوير تركيا بإستخدام السياحة ». .

قال الرجل البدين :

— لقد تم تشكيل هيئة المؤسسين . نبدأ سنتنتر البيان العام للجمعية في الصحف بعد إتمام تحضيره . والآن بح ا اختيار رئيس للجمعية من بين المؤسسين .

وبعد فترة من الصمت تخللها نوع من الهمس ، كانت حركة مؤخر انهم على المقادير ، ندل على ان كل واحد منهم متشوّق لأن يصبح رئيساً للجمعية . قلت لكم بصوت منخفض بعد أن انهكني الجوع :

— متى سنأكل كاتو ؟

همس قائلاً :

— بعد التسلية .

قال الرجل البدين :

— إذا سمحتم لي فانا ارشح الاستاذ البروفيسور علي سعاد لرئاسة الجمعية .

نظر الجميع الى الرجل البدين بفضب ، لأنهم شعروا انه يأخذ حقهم في وضح النهار .

ولكن ما باليد حيلة ولذلك بدؤوا بالتصفيق لأنه عليهم مساندة الرئيس الجديد . وبعد أن مضى تأثير الدهشة الأولى وأثناء قيام البروفيسور علي سعاد — الذي وصل طرفاً فمه حتى اذنيه — عن كرسيه ليشكر الآخرين على تشجيعهم ... قال كمال :

— دقيقة يا سيدي .

وَمَا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا كَمَالٌ ؟ .. كُلُّ الرُّؤُوسِ التَّفَتَ إِلَى كَمَالِ الَّذِي

قَالَ :

— يَا سَيِّدِي ، إِنَّ اسْتِلَامَ الْاسْتَاذِ الْبِرْوَفِيسُورِ عَلَى سَعَادِ لِرْئَاسَةِ
الْجَمْعِيَّةِ ، لَيْسَ فَخْرًا لِهَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ وَحْسَبَ بَلْ هُوَ فَخْرٌ لِكُلِّ عَضْوٍ مِنِ
أَعْصَمَاهَا .

نَظَرَتْ إِلَى الْمَدْعُوِّ عَلَى سَعَادِ ، كَانَتْ شَفَتَاهُ تَرْفَضَانِ الْاِنْطِبَاقِ فَوقَ

بَعْضِهِمَا مِنْ شَدَّةِ فَرْحَةِ ، وَكَادَ الْعَابِهُ أَنْ يُسْبِلَ مِنْ فَمِهِ .. وَتَابَعَ كَمَالٌ
قَائِلًا :

— وَلَكِنَّ الْاسْتَاذِ الْبِرْوَفِيسُورِ عَلَى سَعَادِ هُوَ الْاسْتَاذُ الْوَحِيدُ لِمَادِهِ
الْحَقُوقِ الْإِسَاسِيَّةِ ، مَنَاتِ الْطَّلَابِ يَسْتَنِيرُونَ مِنْ عِلْمِهِ ، وَلَهُنَا لَا أَعْرِفُ
مَا مَدِي صَحَّةِ طَلْبَنَا مِنَ الْبِرْوَفِيسُورِ أَنْ يَصْبِرَ رَئِيسًا لِهَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ
وَتَرْكَ أَبْحَاثَهُ الْعَلْمِيَّةِ مِمَّا كَانَتْ فَائِدَةً رَئِسَتِهِ لِهَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ كَبِيرَةٌ .

تَضَايِقُ الْبِرْوَفِيسُورِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَهُمَّ أَنْ يَتَكَلَّمُ مَا أَدِيَ
إِلَى خَرْجِ صَوْتِ قَرْقَعَةِ مِنْ أَسْنَانِهِ الْأَصْطَنَاعِيَّةِ ، وَلَكِنَّ كَمَالَ لَمْ يُعْطِهِ
فَرْصَةً لِلْحَدِيثِ وَتَابَعَ قَائِلًا :

إِنَّ الْبِرْوَفِيسُورِ عَلَى سَعَادِ يَعْمَلُ رَئِيسًا « لِجَمْعِيَّةِ الْاِكْتِشَافَاتِ
الْعَلْمِيَّةِ » وَرَئِيسًا لِكُلِّ مِنِ الْجَمْعِيَّاتِ التَّالِيَّةِ « جَمْعِيَّةِ الْحَقُوقِيِّينِ الْعَالَمِيِّينِ »
وَمَنْدُوبٌ تَرْكِيًّا في « جَمْعِيَّةِ أَبْحَاثِ الْمُنظَّمَاتِ الْحَقُوقِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ » . وَرَئِيسًا
لِجَمْعِيَّةِ « تَحْمِيلِ الْبَرَكَ وَالتَّوَافِرِ » الْمُوجَودَةِ فِي مَنْطَقَتِهِ السُّكْنِيَّةِ ، وَيُجَبُ
إِلَّا نَسْسَى أَنَّهُ يَعْمَلُ رَئِيسًا لِجَمْعِيَّةِ « اِنْقَاذِ الْأَطْفَالِ الْيَتَامَىِ » .

أَصْفَرَّ وَجْهَ عَلَى سَعَادِ بَيْكَ وَأَصْبَحَتْ أَسْنَانَهُ الْمُسْتَعَارَةَ تَقْرَعُ دَاخِلَ
فَمِهِ لِدَرْجَةِ أَنِّي خَفِتَ أَنْ يَصَابَ بِفَالِجِ ، وَتَابَعَ كَمَالٌ حَدِيثَهِ بِذِكْرِ عَدَةِ
جَمْعِيَّاتٍ أُخْرَى يَرَاسُهَا عَلَى سَعَادِ :

— كما هو واضح جداً فإن السيد علي سعاد المحترم يقوم بفعاليات اجتماعية كثيرة وبخدمات لا تنسى لبلدنا مما جعل منه رجلاً معروفاً على مستوى العالم . ولهذا لا أعتقد بأن السيد علي سعاد المحترم لديه وقتاً يسمح له كي يترأس جمعيتنا .

اما إذا أراد أن يقدم خدمه لجمعيتنا ويستلم إدارتها فسنكون سعداء بذلك ...

صدق الجميع بسعادة وهم يحيون كمال حتى تقاد تظن أن في القاعة أكثر من خمسين شخص . كان كمال قد أزاح من طريقهم شخصاً كاد يستلم الإدارة التي هي حلم الجميع دون استثناء .

وقف على سعاد على فدميه بصعوبة وكتنه تقدم به العمر أكثر من عشرين عاماً . شكر الجميع وقال :

— حقيقة . أرجو أن تغدروني وتفغوني من رئاسة الجمعية لانه لا يوجد لدى وقت للتفرغ لها ممه كهذا . وجلس على كرسيه كمن لا يريد أن يقول ثانية .

فإن الرجل البدين :

— في هذه الحالة اسمحوا لي أن أرشح جمال خضرلي بيك لرئاسة الجمعية .

ولأن الملل قد غزا روح علي سعاد فقد همس :

— افعلوا ما بدا لكم .

كان واضحاً من وجوه الحاضرين العابسة أنهم غير راضين . لأن كل واحد يحب أن يصبح رئيساً للجمعية .

شِكْر جمال خضرلي بيـك الحضور يـا يـاءـةـ من رـأـيـهـ ، غـيرـ انـ كـمـالـ
انتـصـبـ وـاقـفـاـ وـصـرـخـ :
ـ إـذـاـ سـمـحـتـ لـىـ لـدـيـ فـكـرـةـ .

وـ مـنـ جـدـيدـ إـلـتـفـتـ الرـؤـوسـ إـلـيـهـ فـتـابـعـ قـائـلاـ :
ـ إـنـهـ لـشـرـفـ عـظـيمـ لـنـاـ أـنـ السـيـدـ جـمـالـ خـضـرـلـيـ بـيـكـ سـيـنـغـضـلـ
بـاسـتـلـامـ رـئـاسـةـ جـمـيـعـنـاـ .
وـصـلـ طـرـفـاـ فـمـ الرـجـلـ الـذـيـ يـدـعـيـ جـمـالـ خـضـرـلـيـ إـلـىـ اـذـنـهـ لـدـيـ
سـمـاعـهـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ وـقـالـ وـهـوـ يـظـهـرـ عـلـامـاتـ الـخـجلـ .

ـ اـسـتـغـفـرـ اللـهـ ... اـسـتـغـفـرـ اللـهـ ، يا سـيـديـ أـنـ أـقـدـمـ
خـدـمـةـ

قـاطـعـهـ كـمـالـ قـائـلاـ :
ـ لـأـحـبـ أـمـدـحـ الرـجـلـ بـحـضـورـهـ وـلـكـنـيـ لـلـحـقـيقـةـ وـلـلـتـارـيـخـ أـحـبـ
أـنـ أـقـولـ بـأـنـ السـيـدـ جـمـالـ عـضـوـ فـعـالـ فـيـ الـبـرـلـانـ وـلـهـذـاـ فـانـ مـتاـكـدـ مـنـ
الـفـوـائـدـ الـكـثـيـرـةـ الـتـيـ سـتـجـنـيـهـ جـمـيـعـنـاـ إـذـاـ قـبـلـ اـسـتـلـامـ اـدـارـتـهاـ .ـ وـلـكـنـ
يـجـبـ أـلـاـ نـسـىـ أـنـ السـيـدـ جـمـالـ بـيـكـ مـنـ النـوـابـ الـفـعـالـينـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـةـ.

قال جمال خضرلي بيـك :
ـ لـدـيـنـاـ أـيـامـ عـطـلـةـ فـيـ الـمـجـلـسـ ، أـيـامـ الـعـطـلـ كـثـيـرـةـ .

لـكـنـ صـوتـ كـمـالـ طـفـيـ عـلـىـ صـوتـ الرـجـلـ قـائـلاـ :
ـ وـكـمـاـ هـوـ مـعـلـومـ فـإـنـ السـيـدـ جـمـالـ يـدـهـبـ إـلـىـ النـاخـبـينـ فـيـ أـيـامـ
الـعـطـلـ لـيـقـيـمـ التـواـصـلـ مـعـهـمـ وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ فـهـوـ يـرـأـسـ نـادـيـ «ـسـاحـاجـيـ»ـ

تبه » ومن جهة ثالثة يعمل رئيسا لجمعية « هواة جمع الطوابع » فكما ترون أن السيد جمال خضرلي رجل متقل بالأعمال والمسؤوليات وبعد ذلك فهو رئيس جمعية « اصلاح نسل الحول » ورئيس جمعية « شاي الشعير » .

وصل صوت أسنان الرجل الى آذانا ومن خلال الشرر التي كانت تتطاير من عيني الرجل . أدركت أنه سأكل كمال لقمة إن وقع بين يديه .

وبعد أن أضاف كمال عدة جمعيات أخرى يرأسها جمال خضرلي
ذلك أضاف قائلاً :

ـ كما ترون أيها السادة ، من كثرة أعمال خضرلي بيك لا يجد وقتاً ليحك رأسه وفوق ذلك تريدون أن تحملوه فوق طاقته بترشيحكم إياه لرئاسة جمعيتنا ، لهذا هو العدل ينظركم ؟ .. العدل يا سادة .. العدل أرجوكم أن تعدلوا .

ـ نان السيد جمال خضرلي سيقبل بالترشح رغم كل ما قاله كمال عنه لولا تدخل الطامعين بائز ناسة :

ـ هذا صحيح يا سيدى .

ـ فعلاً لا يجوز .

ـ الرجل محق في كل كلمة قالها .

ـ وعندما اشتد التصقيق لكمال شكر جمال خضرلي بيك الأصدقاء قائلاً :

ـ حقيقة ، بما تفضل السيد فانا مشغول جداً لذلك أرجوكم أن تعفونني من هذه المهمة . قال هذه الكلمات وسقط على كرسيه قطعة واحدة .

قال الرجل البدين :

وفي هذه الحالة أرشح السيد جاهد أمجان بيك
لأننا نتفق الذين فاتهم فرصة استلام الرئاسة شكر جاهد
أمجان بيك الأصدقاء وهم أن يتكلم غير أن كمال قفز من مكانه وقال :

— أريد أن أتحدث .

لما ادرك الموجودون أن كمال سيفسد على جاهد أمجان استلامه
للرئاسة قالوا له :

— تفضل ...

— تفضل يا سيدي ...

قال كمال :

— إن السيد جاهد أمجان بيك يتحلى بكل المواقف اللازمه
لن يريد رئاسة جمعيتنا ، فكم ستكون سعادتنا عظيمة إذا تفضل وقبل
استلام رئاسة الجمعية .

توجه جاهد أمجان بالشكر الى كمال قائلاً :

— شكرًا لهذا الإطّرء ، شكرًا لجماليتك يا سيدي .

تابع كمال قائلاً — ولكن السيد جاهد أمجان يرأس تحرير إحدى
أكبر الصحف في البلد ...

صرخ جاهد أمجان :

— ليكن ... ليكن ... أنا راضٍ بذلك وأقبل به .

استاذن كمال فائللا» من إذنك يا سيدى . وتابع :

ـ فكروا معى بخطورة المهام الواجبة على عاتق الصحافة . التي تمثل السلطة الرابعة . أمن السهولة بمكان ثانية مقالة صحفة في هذه الأيام العصيبة التي يمر بها بلدنا ، حيث الاخطار تهاجمنا من الخارج ومن الداخل ومن واجبنا الاتحاد والعمل بعد ونشاط .

فقال جاهد أمجان :

ـ ولكنني أفتت هذا العمل حتى أصبح نوعاً من العادة ...

لكن كمال لم يسكن :

ـ ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن السيد جاهد أمجان عضو من اعضاء مجلس الإدارة في عدة شركات منها « شركة الطيران التركية » « إدارة المياه » ... سارت رجلاً جاهد أمجان تهتز أكثر من خمسين هزة في الثانية من شدة غضبه . وكانت أصواته تنقر الكرسي كالنواس واحد أن عدد كمال المناصب التي يشغلها جاهد من جمعية الصحفيين المالية إلى اتحاد أصحاب الصحف تابع فائلاً :

ـ فوق كل هذه المسؤوليات أترون من العدل ترشيح السيد جاهد أمجان لرئاسة جمعيتنا ، أمن حقنا ذلك أيها الأصدقاء ! لا اعتقاد أن السيد جاهد يستطيع فبرولة ترشيحه فوق كل هذه المسؤوليات التي ادرجناها سابقاً ، ومع ذلك فهو أدرى . ومن جهتي أرجوكم أن يقبل باستلام الرئاسة .

ومندما لم يبق أي مجال للقبول لدى جاهد أمجان قال :

ـ كلاماً ... لن استطيع فبرولة ترشيحةكم مع كل أسف .

قال الرجل البدين :

— في هذه الحالة سأرجح شكري إرغن إن كنتم تروه مناسباً .

همس كمال بإذني قائلاً :

— لقد أتي دورك ، قم وتكلم ...

فقلت له :

— ولكنني لا أعرف هذا الرجل .

— قل ما تشاء .

وعندما هم شكري إرغن القبول الترشيح شاكراً الأصدقاء ، وخزني كمال بإبرة في جنبي فصرخت « هه » ... فقررت كمال قائلاً :

— هذا السيد يريد أن يتكلم ..

وفجأة وجدت نفسي واقفاً ، حينئذ تذكرت حادثة قرأتها في إحدى الصحف في عمود الشروق الصحفية عن قصة زواج شكري إرغن من فتاة أصغر من ابنته .. فقلت :

— أيها السادة المحترمون ، أعتقد أن السيد شكري إرغن من أكبر الموجودين سنًا ، ولهذا السبب فهو أكثرنا تجربة ، وهذا ما يأخوه لاستلام رئاسة جمعيتنا ، ولكنني أحب أن استغل فرصة وجوده هنا لأقدم أجمل التهاني لحضرته بمناسبة زواجه من فتاة شابة ومازالا إلى الآن يقضيان أجمل أيامهم في شهر العسل ، ولكن أيها السادة فكروا معى بضيق وقتهمما أعتقد أنها لا يجدان وقتاً لحك رأسيهما .

قال شكري إرغن بيوك بصوت مرتجف وكأنه يبكي :

— لا أريد ... لا أريد هذه الرئاسة .

وهكذا كلما كانوا يرشحون سحضاً كان كمال يطلب الإذن بالكلام
لهدف تحطيم سعادتهم وكان كمال لا يجد الحق بالرئاسة من المرانين
العجزتين ، وأما الأشخاص الذين لم تذكر اسماؤهم بعد فقد كانوا
ساندون كمالاً على أمل أن يأتي دورهم بالترشيح وبدأوا بمراقبة
مفاوضات الترشيح .

وفي النهاية لم يبق سوى أربعة أشخاص لم يرشحوا للرئاسة ، ورجل
مسن والرجل البدين وأعمال وأنا . كلن الرجل المسن البروفيسور في
الجامعة في الكلمة الطبع .

عدد كمال الماصب التي يشغلها البروفيسور من كرسى الاستاذية
في الجامعة الى حاجة المرضى له إلى محادثاته حول الأمراض في الإذاعة
إلى هواية السيد الخ الخ . . .

وبناءً على كمال فالللاً :

ـ أما إذا أراد البروفيسور أن يقدم خدمة للجمعية ويقبل الترشيح
فهذا عمل لننساء خاصة وأن البروفيسور إنسان يحب المساعدة
ولا نعرف كيف سنجزه خيراً على عمله هذا . وأخيراً رشح الرجل البدين
نفسه للرئاسة . وكان كلما قال كمال شيئاً يقول :

ـ ليكن ساقب الترشيح .. وأصبح رئيساً .

ـ قال كمال :

ـ بعد كل هذه الاعمال التي يقوم بها السيد ، لا أعتقد بأنه سيقبل
الترشيح أما إذا تفضل وقبل أن يكون رئيساً للجمعية فسيكون هذا
القبول بمثابة تضحيه لننس لها له والرجل البدين يصرخ :

ـ نعم إنها تضحيه .. نضحيه ، هل لديك اعتراض على ذلك؟!

خرج الرجل البدين عن طوره ونبي حدود التربية وكمال يرد عليه بكل ادب وبكل بروادة اعصاب حيث قال :

— لا ياسيدى ، حتى إن قبلى أن تكون رئيساً ، فلن نسمح لك لأننا نعرف أنك بذلك تضحي بسعادةك وهذا شيء أن نرفضه .

— نعم سأضحي .

— ليس من حقك ياسيدى ، لن نقبل بذلك .

— صرخ الرجل البدين : — وماذا لك أنت ؟!

أجاب كمال بكل بروادة اعصاب : — أنا أعلم أنك لا تفهم شيئاً

— كيف لا اتدخل وأنت عضو فعال وهم وضروري لهذا الوطن ، حتى لو أردت أن تضحي بنفسك فالوطن لا يستغني عنك . نعرف أنك تحب التضحية ولكننا لن نقبل .

— الله الله ... وماذا لك أنت يا أخي ، لا تتدخل بما لا يعنيك .

— لا !!! إنه يعنيني ... إن هذا الوطن بحاجة ماسة للأشخاص المهمين لأن وطننا لا ينجب الاشخاص المهمين أمثالك بسهولة ، انت رافت بنا وقبلت رئاسة الجمعية ولكن مهما حاولت فلن قبل بذلك لأن وطننا يتضرر منك خدمات أكبر وأعظم .

صار الرجل يصرخ وكأنه أصيب بمس :

— وما دخلك أنت ولا !!! ... ؟!

حاول كمال تهدئة روع الرجل قائلاً : — يا سيدى ،

— لا يمكن يا سيدى لا يمكن ...

قال رجل مسن لكمال :

— لقد فشلنا بترشيع كل الموجودين ولم يبق سوا كما دون ترشيع

بذا الموجودون يتهامسون :

— الآن فهمنا ما تريدان .

قال مبasherة :

— لن اقبل مطلقا ياسادة ، ارجوكم الا تلحوا علينا بطلبكم ان
رئاسة جمعية تضم اناسا مهمين امثالكم ، تحتاج لستوى أعلى من
مستواني الفكري وتحتاج لكفاءة غير موجودة عندي . وعندما أتي دوري
بالكلام قلت :

— لا يمكن ... أنا أعرف حدودي جيدا ، فلا عمري ولا ثقافي
تسمح بذلك .

وبعد نفاثات فارقة لساعات طويلة وطرحت اثناءها تساؤلات
كثيرة :

— إذا ... ماذا علينا أن نفعل ؟! ماذا سيحدث ؟

قال أحدهم :

— لقد تأخر الوقت . ستفكر برئيس الجمعية في الاجتماع القادم ،
هيا لنذهب الآن الى البو فيه .

قال الرجل البدين لكمال ونحن نمر بجانب البو فيه الغني بالأكلولات :

— هيه هه .. أنت .. من تكون ؟

قال كمال :

— ليس مهما من أكون .

— وكيف لا يهم ، قل لي من أنت .

— لست مهما ، أنا مواطن عادي .

— أي مواطن ؟

— لقد أدركوا الموقف وبدؤوا بوابل من الأسئلة :

— من تكونان ؟

— ماذا تفعلان هنا ؟

— من دعاكم إلى هنا ؟

قال كمال :

— أرجو أن تسمحوا لي كي أشرح الموقف ، لقد كنت وصديقي هذا نبحث عن عمل ، لم نترك مكانا إلا وبحثنا فيه عن عمل ، ولما وجدنا الباب مفتوحا دخلنا بقصد السؤال عن عمل . وبعد ذلك سجلتم أسماءنا وأصبحنا أعضاء مؤسسين لهذه الجمعية ... هذه هي حكايتنا .

بعد أن أنهى كمال حديثه ، هجم الجميع علينا ، كل واحد يريد الشارمنا .

— المخربون ... الوقحون .

— الخونة .

— لقد ادركت منذ البداية انهم مخربان .

— اخرجوا من هنا .

— نادوا الشرطة .

— لا تفسحوا لهم مجالاً للهرب . امسكوهما ، اخبروا الشرطة .

— اتصلوا بالهاتف .

ركضنا نحو الدرج وتخلصنا منهم ، التفت كمال الى الوراء وصرخ
فأنا لا :

— هيه ... هيا الى الرعاء ... يو ٥٥٥ ٠٠٠ .

ركضنا صوب الشارع واختلطنا بالزحام ، كان الليل قد خيم
على المدينة وانارت المصايد الكهربائية الشوارع وال محلات ، ضحكنا
وضحكنا حتى امتلأت عيوننا بالدموع .

قلت لكمال : — هل اعجبك العمل الذي قمت به ؟ ما الذي كنت
ستخسره لو تركتهم يختارون رئيساً من بينهم ، لنتملا معدتنا بعد ذلك
بالكاثو والبسكويت .

فقال كمال : — دعك من هذا ، اقسم ان تسلية كهذه تستأهل ان
تفني جائعاً ليلة اخرى .

فقلت : — تستأهل ... تستأهل .

الدنيا تكبر ، وتكبر ، وتكبر ، ... ما عادت ارجملي تقوى على
المسير من شدة الجوع ... هذه الدنيا كبيرة جداً لمن لا يجد لنفسه
مكاناً عليها .

الكلب ، كاشف أسرار البشر

عندما كنت أقيم في المستشفى لم يكن يزداد وزني ولكنه على الأقل لم يكن ينقص ، غير أنهم لا يسمحون لي بالاقامة في المستشفى أكثر من ستة أشهر ، وبعد خروجي من المستشفى كان ينقص وزني كيلوغراماً واحداً أو اثنين ، وهذا طبعاً من تأثير الجوع .

في الحقيقة ، أنا لم أكن اهتم لزيادة وزني بل كان ما يهمني هو إلا ينقص أكثر مما هو عليه ، فقد كان وزني عندما خرجت من المستشفى ، مع الالبسة ، حوالي ثلاثة وأربعون كيلوغراماً . ولهذا السبب دُهش الرجل الذي قابلته في الأونة الأخيرة وأنا أبحث عن عمل . فقال لي :

— أتريد عملاً ؟! وأي عمل تستطيع القيام به ؟

— لا فرق يا سيدي . أي عمل تراه مناسباً .

— بحالتك هذه ؟ ... كيف ؟

— وهل كنت تعتقد بأنني كنت سأقبل بأي عمل لو لا حالي هذه ؟
يا سيدي ليس بوسع أمثالي إلا أن يقولوا : «نعمل أي عمل تراه مناسباً» .

لا شك أن الرجل أعجب بكلامي كثيراً ، لأنه قال :

— اجلس لنرى .

جلست على المهد الذي دلّتني عليه بيماءة من رأسه ، وقال :

— افتح اذنيك جيداً ، واسمع كل كلمة سأقولها لك .

سالخص لكم ما قاله الرجل فيما يلي :

سأذهب الى بيت أحد الأغناه ، لقد عرفته معاشرة واسمها ف.ب.
وسأجده في البيت حتماً لأنه لا يخرج يوم الأحد بعد الظهر من البيت .
ولأن السيد ف.ب ليس لديه أولاد فهو يحب كلبه كثيراً .

إنه يعني بهذا الكلب كثيراً كما لو كان ولده ، إنه يحبه محبة الآب
لابنه ، في الحقيقة ، إن زوجته هي التي تحب الكلب وأنه يحب زوجته
كثيراً فهو يحب الكلب الذي تحبه .

يقال بأن هذا الكلب مثل الإنسان ، وبعبارة أدق ، هو مثل الإنسان
الذكي ، لأنه أذكي من الإنسان العادي . إذ أنه يتمتع بقدرة خارقة على
كشف الإنسان الجيد والانسان السيء ، إن السيد ف.ب يستعمله
لاختبار البشر ، فإذا ما اقترب الكلب من الشخص وبدأ بلمسه ومداعبته
فهذا يعني أن هذا الشخص إنسان جيد ، أما إذا نبع عليه وغضبه فهذا
يعني أن هذا الشخص إنسان سيء . إنه شيء لا يصدق ، ولكن هذه
هي الحقيقة لأن السيد ف.ب لم يخدع بأى إنسان اختبر بهذه
الطريقة .

رسول الرجل :

ـ افعل ما بوسعتك كي يحبك هذا الكلب . لأن الزوجة تحب كل
من يحبه هذا الكلب والسيد ف.ب يحب كل من تحبه زوجته . أفهمت؟!
إن السيد ف.ب . سيساعدك ويقدم لك عملاً إذا لم ينبع عليك الكلب .

ولأنه ما باليد حيلة فقد اضطررت لأن أجرب ما قاله هذا الرجل .
بقي حتى يوم الأحد يومين فقط ، مضى يوم السبت دون أن أتناول طعام
الغداء أو طعام العشاء . ولم أضع لقمة واحدة في فمي في صباح يوم
الأحد . لم يبق معى من العشر ليرات التي كانت يحبى سوى ثلاثة

ليرات اشتريت بهما بسكويت . قطع سكر ، شوكولاته ، وقليل من السجق . وذلك كرشوة اقدمها للكلب كي أثال رضاه .

لقد كنت جائعاً للدرجة التي حاولت أكل قطمة بسكويت غير التي صبرت ولم أكل شيء .

ذهبت الى بيت السيد ف.ب الذي حصلت على عنوانه من الرجل الذي حدثني عنه . وعلمت انه يسكن في الطابق الاول في واحدة من البناءات الواقعة في كوموش سو . يعتبر بيته في الطابق الاول بالنسبة للمدخل ولكنه من الجهة الأخرى أعلى بكثير .

فعلت كما قال الرجل ، ولكن المرأة التي فتحت الباب لم تسمح لي بالدخول فكذبت عليها ، كما علمني الرجل ، وقلت :

ـ لقد دعاني السيد الى هنا ، لقد أخذت منه موعداً .

مندئه سمحت لي بالدخول قائلة :

ـ تفضل ، انتظره هنا .

كان الصالون كبيراً جداً ومفروشاً باثاثٍ فخمٍ كما القصور ، كان ييدو منظر البحر ، من النافذة الواسعة ، وأضحاً وجميلاً . عندما اقتربت من النافذة ونظرت الى الاسفل ، ادركت التي في الطابق الخامس على الأقل .

كل ما كان يشغل تفكيري هو الكلب ، ولهذا كنت في حالة من الخوف والقلق لما ينتظري من مفاجآت . شعرت وقتئذ أنني في إحدى مغارات الموت التي كانت تكثر في العصور القديمة ، وبعد قليل لا شك بأن الأبواب ستفتح لتهاجمني الأسود العجائعة .

كنت انتظر بجانب النافذة . ويدتي في يدي تمسك قطع البسكويت .
لا استطيع تقدير الزمن الذي مرّ وأنا في هذه الحالة . فتح محرار الباب
الواسع الذي امامي ... يبدوا ... بهدوء . وظير رأس سلوق ما .
نعم إنه رأس ولا ريب . ولكن رأس ماذا ؟ هذا ما لم استطع معرفته .

إنه أشبه ما تكون برأس إنسان ضخم . ولكن مقاطع وجهه لا تشبه
مقاطع وجه الإنسان . لو كان يملك قرنيين لقلت إنه رأس ثور . آد .
با إلهي . لا يسلطون هذا الرأس لا لا نظروا بأنه لم يخطر بذهني إنه
رأس الكلب الذي انتظره . ولكن استبعدت ذلك ، إذ لا يمكن أن يكون
رأس كلب . لأنه أعلى من قبة الباب بارتفاع إشبار على الأقل .
على كل حال . استطعت أن أعرف شيئاً واحداً وهو أن عيناً هذا الرأس
كائناً تحدسان بي . لقد تحملت في مكانى وكانت توأم تشويمَا
بغناطيسيا . ولو لا ذلك لهررت من هذا المكان . وفتنا تبادل النظارات
لقرة من الزمن لا استطيع تحديدها . بعد ذلك استدركت .. لم
لا يكون هذا الذي أمامي هو السيد ف.ب وقد أتى قبل الكلب . لا، لا...
لا يمكن لهذا الوجه مكسو بالشعر ولكن ربما تأخر المسكين بالاستيقاظ
ولذلك لم يطلق لحيته . نعم إنه هو . هل أقدم له التحية ؟
وماذا سيحدث إن لم يكن هو لا شيء .. وماذا سيحدث لا يا رجل
... السلام .. إن قبليه كان خيراً وإن لم يقبله « بعطفـل » المهم هو
أن ظهر بانتى تلقـيت تربـية مصارـة .

حالـا ابـسـمت وـهـزـت رـأـسي . اـكتـشـفت أـنـي اـسـاتـ التـصـرف .
ولـكـنـ ماـ السـمـلـ لاـ أـرـدـتـ نـقـديـمـ التـحـيـة ، فـسـمعـتـ صـوتـ « هـرـرـرـرـرـرـرـرـرـرـ »
وـدـخـلـ بـسـدـلـ إـحـدـى مـخـلـوقـاتـ ماـ قـلـ التـارـيـخـ .

الله ، الله .. أـيـ مـخلـوقـ هـذـا ؟ .. أـهـذـاـ ماـ يـسـمـونـهـ كـلـبـاـ ؟ لاـ شـكـ
أـنـ تـشـوـيـهاـ ماـ قـدـ حـدـثـ فيـ سـلـ الكلـبـ حـتـىـ اـنـتـجـتـ كـلـبـاـ كـهـذاـ . إـنـهـ
عـسـارـةـ سـعـيـدـينـ بـيـنـ العـوـامـيـسـ وـالـجـمـالـ .

لو كانت قصتي انتهت بدخول هذا الكلب الى الصالون لاعتبرتها نهاية سعيدة . بعد أن دخل الى الصالون أغلق الباب بمؤخرته كما يفعل البشر ، ووقفنا وجهًا لوجه ، استطال وجهه ... استطال شفاه ، وظهرت أسنانه وكان الكلب ابن الكلب قليل الادب هذا يريدي أن يغضني .

لقد فهمت انني لم أقل إعجابه وذلك من خلال نباحه ، وبكلمة أخرى ، لن أجد عملاً هنا ، ولكن كيف سأتمكن من الخروج من هنا لأنقذ نفسي من التهلكة ؟

تَقدِّمُ خطوةً أخْرَى :

- هررررر ..

الحمد لله انه توقف ، ما زال يحتفظ بقليل من الشرف . نظرت الى اليمين فوجدت باباً آخر ... يا إلهي .. إنه يراقب حركة عيني ولا يريدني أن أنظر الى أي مكان آخر . خطر بذهني أن أركض بسرعة رافتح الباب وأنادي « النجدة وفة ... » ولكن ، ماذا لو كان أسرع مني . فيمسكني من مؤخرتي ، عندئذ لن يتركني سالماً .

منذ زمن وأنا أسمع أن الكلاب لا تهاجم الناس إذا كانوا عراة . اذن لم لا أخلع ثيابي ، أرميها فوق الكرسي ، واهرب من الباب ؟ .. لا .. لا يمكنني . لأنني ما أن أحرك أصابعه حتى ينبع ونباحه يكفي لرعب الإنسان ، أين الناس الذين يعيشون في هذا البيت الواسع ؟ ليس أمامي سوى الصرارخ .. وبدون أن أدرى صرخت :

ـ هيـ هيـ هيـ هيـ

أجابني الكلب بأن اقترب خطوتين نحوه ونباح :

-- هررررر ..

عندئذ تذكرت الرشوة التي وضعتها في جيبي ، ولكنه سينبج اذا ما حركت أصابعي ... وبلمع البصر اخرجت الشوكولاتة والمسكر والسبحق . راح ينسى الاشياء التي رميتها على الارض . وعده ذلك بعد رأسه عنها و كانه اشمنز منها .

لهم يا كلها !!! يا إلهي ماذا سافعل ؟ لا شك ستفاهم فكما يقولون يتفاهم الكلاب بالشتم والبشر بالكلام . لا أقل كلمتين لتهذنة الجو مع هذا المارد . ربما ينفع الكلام العيد مع هذا الكلب . نعمت صوتي وقلت :

-- بوبى .. بوبى يىي .. يا حبيبى .. يا روحى ... يا لك من ثلب جميل ... تعال ... تعال ...

نشر عن انبابه ونبع ردا على كلاسي . فضممت شفتي ربما يحبني
نشر :

اد سنت اد ...

-- هررررر ...

-- ما شاء الله ... أنت جميل جدا ، ما أسمك يا حبيبى ؟!

-- هررررر ...

-- يا ساحب الصوت الجميل ... ولدك ... ولا ... يا حبيبى
... يا ولدي ...

-- هررررر ...

-- يا روحى ... يا حبيبى .. يا وحيدى ...

-- هررررر ...

- هيا ... تعال الى هنا ... هيا تقدم من أخيك الكبير ... تعال يا روفي .. يا حلو ..

- هرورد ...

قلب الحجر يلين وقلب هذا الكلب لا يلين ، لا يوجد في قلبه ذرة عدل أو رحمة . فعلا لم يكنوا حين قالوا عنه « كلب يشبه البشر » .

لقد سرت كثيراً لأنه لم يهاجمني حتى الآن ، ولذلك فكرت أن أكل الأشياء التي أحضرتها بذلك لسبين ، الأول : لأنه لم يحبها والثاني : لأن الجوع بدأ يزداد شيئاً فشيئاً وعندما مددت يدي لأخذ قطعة بسكويت حدثت المصيبة الكبرى ، ودخلنا في معمعه كما يحدث في أفلام الكرتون ، درنا عدة دورات وبعد ذلك اصطدمت بالجدار وقفزت من الباب الخارجي فاصطدمت بإمرأة تلبس زوب نوم أحمر كانت تنزل الدرج . فتدحرجنا عدة درجات وتمددنا فوق بعضنا ، المرأة في الأسفل وأنا فوقها والكلب فوقي . ولكن ما أثار دهشتي فعلا هو الكلب الذي صار يلحس وجهي ويداعبني وهو يهز ذيله . قالت المرأة بعد ان سحبت نفسها من تحتي .

- من أنت ؟

لكني صرخت من شدة دهشتي :

- ها قد ثلت رضا الكلب ... لقد صار يحبني .

ذهبيت المرأة ، التي كانت تبدو جميلة وشابة ، بعيداً وهي تهرؤ خلفها ، وبقيت أنا والكلب ، نظرت الى الاسفل فادركت أن سروالي قد تمزق ، والكلب ما برح يهز بزيله ... يا إلهي ما الذي يحدث ، لا أكاد أصدق أنني اداعب رأسه بيدي ، بعد ذلك شبكت سروالي بدبوس ياقه القميص لانه ليس من المنطقى الخروج بسروال ممزق الى الشارع . دخلت

إلى المسالون وتبيني الكلب انه لا يدركني . يدفعني بصدره كي يرمي
أرضاً ويبدأ بالحس وجهي . حتى ملا جدي بلعابه . وكلما أردت
النهوض يضع نطافه الاماميتان على لثفي ويرميني أرضاً . يريد ان
أن يلعب ويلهو وكأنه كلب اخر غير الذي كان ينبع منه قليل . يرمي
وارميه وتقلب فوق السجاد وتندحرج . . . لقد اجتمعت عدة عوامل
الجوع من جهة والمرض من جهة ثانية والخوف من جهة ثالثة فاحسست
بالإنهاك والتعب . ألمي إننا الفنا بغضنا للدرجة التي جمعت السكوت
والشوكولاتة والسباحة من الأرض ويدات بإلتهامها .

قدمت له بعضها ولكنه لم يأكل .

لقد أريحت يوماً . فصرت ألاعب الكلب بصوب عمال وذلك شيء
بسهني السيد ف . ب :

ـ يا حبيبي . . . يا روحني . . . يا حلو . . . يا تعال . . . هيا تعال .

لقد الفنا بغضنا .

وعند دخل السيد ف . ب . كان الكلب يلحس وجهي للسان
بطول حذالي وكانت اول كلمة قالها السيد ف . ب :

ـ لقد أحبك .

ـ فقلت :

ـ آلامه الله .

ـ إنه كاشف أسرار البشر . لا يالف لكل الناس ، ويعرف الشخص
الجيد فوراً .

ـ شكرًا لك .

ولكن الكلب لا يفسح لي مجالاً كي أتحدث مع الرجل بحرية :

— إنه يسمع الكلمة وينفذ الأوامر مثل البشر تماماً .

فقلت :

— آه يا سيدي ، الـيت كل البشر يسمعون الكلمة مثله .

ثم خاطب كلبه قائلاً :

— هيا الى الخارج يا رينتين .

فطوى الكلب ذيله وخرج . ابتسم السيد ف. ب. قائلاً :

— سرورالك !

— لا يوجد اي ضرر يا سيدي ، لقد تمزق قليلاً عندما كنا نلعب .

وبعد ذلك اعتذرـت عن الازعاج الذي قد أكون قد سببـته له في يوم العطلة وطلـبت عملـاً ، ثم أعـطيـته اسمـ الشخصـ الذيـ أرسـلـنيـ اليـهـ .

فقال :

— تعال الى المصرف غداً .

ثم شـكرـتهـ عـلـىـ اـسـتـقبـالـهـ وـخـرـجـتـ مـنـ الـبـيـتـ .

ولـكـنـ الـلـغـرـ الـذـيـ لـمـ أـسـتـطـعـ فـهـمـهـ هوـ مـوـقـفـ الـكـلـبـ فيـ بـدـاـيـةـ الـأـمـرـ وـمـوـقـفـهـ فيـ النـهاـيـةـ .ـ ماـذـاـ نـبـحـ فيـ بـدـاـيـةـ لـقـاءـنـاـ وـبـعـدـ ذـكـرـ أـحـبـنـيـ وـصـارـ يـدـاعـبـنـيـ ؟ـ لـقـدـ حلـ لـيـ هـذـاـ اللـغـرـ أـخـدـ مـعـارـفـ الـعـالـةـ فـقـالـ :

— فـعـلاـ إـنـهـ كـلـبـ ذـكـيـ .ـ إـنـ زـوـجـةـ السـيـدـ فـ.ـ بـ.ـ درـبـتـ الـكـلـبـ عـلـىـ عـادـةـ مـفـادـهـ أـنـ يـعـرـفـ مـبـاشـرـةـ الشـخـصـ الـذـيـ يـدـاعـبـهـاـ وـيـمـارـسـ مـعـهـاـ

ويمضي معها أو قاتا سعيدة . فيحبه ولا ينزع عليه . أما اذا دخل الى
البيت شخص آخر غيره فإنه يسرقه اربا اربا . هل راعست السيدة
وامضبت معها وقتا ممتعا ؟ .

قلت :

ـ نعم لقد سقطنا فوق بعضنا اربعة او خمسة درجات وبعد ذلك
ومن هنا على ارجلنا .

ـ جيد . بعد ذلك أحبك الكلب . ولو لا ذلك لمرقك إربا إربا .
لأنه مهما يكن فإنه يبقى كلبا فمن أين له أن يعرف سبب وجودكما فوق
بعضكما أنت والمرأة ؟ .

لقد عشت كثيرا . ورأيت كثيرا . وتعلمت الكثير الكثير حتى وصلت
إلى هذا السن . لقد رأيت الكثير من القوادين بين البشر ، ولكنني اليوم
ولأول مرة رأيت قوادا بين الكلاب . يا لهذه القدرة الخارقة التي يملكونها
البشر ، الدرجة قد علموا الكلاب القوادة .

ـ ماذا ! أتسائلني من العمل ؟ ! .

ـ إلا لم أهن في المصرف . لأن روجة السيد ف. ب. قالت لهم :

ـ « لا توظفوه » .



جاء ابو الشراشر

— لقد مات نهاد السكران .

— الم تسمع ؟ لقد مات منذ زمن .

— مات المسكين عندما كنت في فرنسا ، وعندما رجعت سمعت بهذا النبا السيء ... آه ... آه .

— كان يشرب كثيراً .

— واضح من اسمه ، نهاد السكران ... هل بقي يشرب كما كان في الماضي ؟ ! .

— وهل تسمى ما كان يرشفه في الماضي شرباً ؟ صار يبدأ بالشرب في الصباح ولا أحد يعرف بأي حفرة يمضي لياليه ، كان غالباً ما يصحو من سكرته في المخفر ، الحمد لله أن كل الشرطة كانت تعرفه . أحياناً كان يبقى غائباً عن الانظار يومين أو ثلاثة أيام يعود بعدها بوجه مجريح مليء بالخطوط الحمراء .

— لكن شربه كان جميلاً .

— كان هذا في الماضي . ولكن في أيامه الأخيرة لم يعد شربه جميلاً ، إذ أن شكله كان يتغير من الكأس الأول الذي يشربه ، يبعس وجهه ، يتبدلى شفناه ، تحرّم عيناه ويغلق لسانه . فيصبح حديثه عديم المعنى ويتفوّه بالفاظ حقاء . لقد أصبح المرحوم مكروهاً جداً في أيامه الأخيرة وأصبح لا يحتمل ، وأصبح ثريزاً فإذا ما جلس في مكان ما لا يبرحه ولا يمكنك التخلص منه بأية طريقة إذا ما جلست معه .

— آخ ... آخ ... كم كان إنساناً جيداً وذا تربية ممتازة !! ..

— لقد جعلني سخرية لكل الناس في إحدى المرات . هل سمعت بتلك الحادثة ؟ .

لا أتوقع أنك سمعت بها . لأنك كنت وقتلـ في فرنسا .

* * *

حتى الآن لم أعرف ما الذي أحبتـه تلك الفتاة في شخصيـتي .
اما أنا فقد كنت أحب كل شيء فيها . كانت آيسفين فتاة محبوبة جداً
ولا ينقصها أي شيء .

أم أكن أؤمن بالحب من نظره . ولهذا ظنتـ أنها كانت تسخر مني ،
طبعـاً كان يجب أن أظن ذلك وإنـا لاـنـيفـ سبـبـ اختـيـارـهاـ ليـ . وهيـ
الـتيـ باـسـطـاعـتهاـ اختـيـارـ ايـ شـابـ منـ الشـابـ الـوـسـيـمـينـ . آيسـفـينـ فـتـاةـ
شـابـةـ وـغـنـيـةـ .

عندما تكون جالسين لايمكن ان تدرك الفرق بينـناـ ، وعندما نـمـتـيـ
يـظـهـرـ عدمـ التـنـاسـبـ بيـنـنـاـ بشـكـلـ واـضـعـ ، كانت طـولـ قـلـمـتـيـ تصـلـ إـلـىـ
مـسـتـوـيـ كـتـفـيـهاـ فـقـطـ وـسـبـ ذـلـكـ لـيـسـ طـولـهاـ غـيرـ العـادـيـ بلـ قـصـرـ قـامـتـيـ
غـيرـ العـادـيـ . كـنـاـ نـلـفـتـ اـنـتـيـاهـ المـارـيـنـ عـنـدـمـاـ كـنـاـ نـمـشـيـ بـمـحـاـذـةـ بـعـضـنـاـ .
دـمـتـنـيـ آيسـفـينـ فـيـ الصـيفـ إـلـىـ بـيـتـهـ حـيـثـ كـانـوـاـ يـقـيـمـونـ فـيـ الـجـزـرـ ، قـالـتـ :

— تستطيعـ هـنـاكـ انـ تـعـرـفـ عـلـىـ أـمـيـ وـأـبـيـ .

ولـكـنـ كـمـ كـانـ تـعـلـمـ إـلـاـ خـحـولـ جـداـ ، فـلـيـسـ مـنـ الـلـائـقـ انـ أـذـهـبـ إـلـىـ
بيـنـهـاـ وـالـتـعـرـفـ عـلـىـ وـالـدـهـاـ وـوـالـدـتـهـاـ دـوـنـ مـنـاسـبـةـ . ثـمـ بـأـيـ صـفـةـ
سـأـذـهـبـ ؟ـ وـالـأـسـوـاـ مـنـ ذـلـكـ أـنـيـ وـوـالـدـ آـيـسـفـينـ بـنـفـسـ الـعـمـرـ تـقـرـيـباـ فـانـاـ
أـكـبـرـ بـنـهـاـ بـخـمـسـةـ وـعـشـرـيـنـ عـامـاـ .

طبعاً انت تعلم ان هذا الوضع غير محبب . هيا لنفرض الطرف عن الورم الذي تحت عيني بتأثير السن ، ثم ان أباها أيضاً يشبهني بهذه الناحية ولكن هندامي قديم جداً ، و كنت يومئذ عاطلاً عن العمل ولا أستطيع انأشتري ثياباً جديدة ، قلت :

ـ سأتي إلى الجزر ولكن لن أذهب إلى بيتكم .

الحق كثيرة ولكنني قلت :

ـ لا يمكن ان أذهب فالقرار ليس بيدي ، سأتعرف على والدك في مناسبة أخرى . ذهبت إلى بيوك أضا « الجزيرة الكبرى » قابلتني في الميناء وذهبنا إلى شارع العشاق الموجود في الطرف الخلفي للبيوك أضا . شبكت آيسفين أصابعها بأصابعى ، طبعاً كما تعلم هذه الوضعيّة تناسب تماماً ما يسمى بالحب الأفلاطوني .

بعد فترة من الزمن شعرت بأن آيسفين قد تعبت كثيراً لأنها اضطرت للانحناء قليلاً كي تصل أصابع يدها إلى مستوى أصابع يدي نتيجة للفرق الكبير بين طول قدمينا . ولهذا فقد تراجعت عن الوضع السابق وحاولت وضع ذراعها فوق كتفي فحسبت بذلك رأسي تحت ذراعها . و كنت بين الحين والآخر أخرج رأسي من تحت إبطها كي أحجب على بعض الأسئلة التي كانت توجهها إلى . عندما وضعت آيسفين ذراعها فوق كتفي توجب علي أن أرفع خصرها بذراعي وذلك كي يكتمل منظر العشق الأفلاطوني ، ولكن على الرغم من رفع ذراعي إلى أقصى حد ممكن لم أتمكن من مسك خصرها ولهذا « لا تواحدني » بقيت يدي تحت مؤخرتها تماماً . انظر الى هذا الوضع غير اللائق ، و مع ذلك فانا واثق من أن ذراعي كانت ستصل إلى مستوى خصرها لو لم تضع رأسي تحت إبطها .

ما كان يدهشني دائماً هو ما الذي تحبه آيسفين الجميلة في شخصيتي ؟! طبعاً طرحت هذا السؤال على أحد معارف العائلة أقصد عائلة آيسفين فأجابني قائلاً :

— جميع أفراد عائلتها ينسقون المأدبة .

— وكيف ذلك !!

— أنها تحب القطط كثيرا ، ووالدها يحب الكلاب ويوجد في بيتهما كما يعتقد أكثر من أربعين أو خمسين قطة وكلبا . وكل هذه الحيوانات تتصف بصفات مشتركة : فمفع منظرها وغير محبوبة . لأنهم لا يأخذون إلى بيتهما أية قطة جميلة أو كلب مقبول ، وكلما وجدوا قطة قبيحة في الشارع يأخذونها إلى بيتهما . وعندما سألت أنها عن السبب ، قالت : « القطط والكلاب » المحملة موجودة في كل بيت ولكن الحيوانات التي نهائلاها لا يوجد في أي بيت حيوانات شبيهة بها » .

— أي أن هذه العائلة تحب الأشياء المختلفة ، وكل معارف العائلة يعرفون هذه الميزة التي تسمى بها هذه العائلة . ولذلك فقد كان كل شخص بلتفقط قطة أو كلبا مجروباً أو وسحاً أو قبيحاً يذهب ويبقيه إلى هذه العائلة . فليس عجباً أن تعجب بك آيسفين ومحبتها لك طبيعية جداً لأنها ورثت هذه الميزة عن أهلها .

أراحتني هذه الكلمات كثيراً ومع ذلك فقد كانت الصيرة تتملعني بعض الشيء .

كنا نتمشى في طريق المشاق بخطوات بطئية جداً فطلبت منها حال وصولنا إلى الشاطئ المقابل قائلاً : — هل تحبين أن نجلس قليلاً؟ .

قالت : — طبعاً .

جلستنا بجانب بعضنا ، قلت :

— آيسفين . هناك أمر يحرمني جداً .

— وما هو ؟

— أنت فتاة جميلة ، متطرفة ، تذهبين الى الجامعة ومن عائلة عنية جداً ، إنسانة بهذه الصفات الكاملة ما الذي يعجبك في شخصيتي حتى تعلنين حبك لي ؟ .

قالت بلا أي تردد :

— أحب كل شيء فيك . أنت رجل ذكي وحديثك رائع ... إنك شخصية رائعة .

نظرت الى وجهها وحدقت داخل عينيها كي اعرف إن كانت تسخر مني ... كلا إنها لا تسخر مني لأنها تتحدث بجدية تامة ولا يوجد أية علامات للسخرية في ملامح وجهها . ولو اكتشفت وقتئذ أنها تسخر مني لخنقتها ورميتها في البحر ، كنت أصدق في عينيها ...

قالت :

— لا تنظر إلي هكذا ... هكذا ... لم استطع إبعاد نظراتي عنها ، فقالت بهمجة :

— لا تنظر إلي هكذا ، إنك تخيفني .

طمانت وشعرت بالراحة والامن فوجهت نظراتي الى البحر .

هي التي طلبت الزواج مني ، ولو كان الأمر بيدي لما استطعت ان اقول لها « لتنزوج » حتى لو عشت عشرة آلاف عام ، نظرت الى الارض قائلًا :

— لتنزوج .

قالت : إن اكثرا ما أحبه فيك هو هذا الحبجل وهذا الكبراء ...

بالرغم من أنها فتاة متطرفة جسدياً فمد كانت مرتبطة بالعادات والتقاليد الاجتماعية . ولهذا فقد كانت تعترض أنه من الضروري أن يبارك أبوها وأمنها هذا الزواج .

فقلت : - يمكن أن أثال إعجابهما ؟

- لقد حدثت أمي وأبي عنك وهم لا يرفضون طلبًا لي . وفصال أبي : « ادعه إلى البيت لتعارف » .

- لا أستطيع أن أذهب إلى بيتكم الآن ، سأتعرّف على والدك في مناسبة أخرى .

منذ ذلك اليوم أو آيسين تخلق الفرصة ليتم التعارف بيني وبين عائلتها ولكنني خواف بطبعي . فقد كان يتعين عليَّ أن أجده عملاً ما ، وأن أجمع التقويد . غير أن آيسين كانت ترى أن العمل مؤمن بعد الزواج إذ أن والدها يعمل في الاستيراد والتصدير وممثلاً لعدة شركات أجنبية وهو بحاجة لشخص مثلني يساعدته في عمله .

قالت آيسين في أحد الأيام :

- لقد أتت الفرصة ، غداً ستتعرّف على والدي في السهرة التي تقيمها .

أعطتني بطاقة دعوة . نظرت إلى البطاقة بطرف عيني « يجب الحضور بالباس الرسمي » .

أي يتوجب علي أن أجده طقم سموكين ، ولكن ... لا يوجد لدى أية ألبسة غير التي ألبسها . كانت هذه السهرة عبارة عن حفل تعارف بين الصحفيين الأجانب ووكالات الأنباء الموجودة في إسطنبول . سياتي

إلى الحفل موظفو السفارات الأجنبية لأن رالدها مندوب لشركات أجنبية
كثيرة وله علاقات مع الأجانب .

وعدتها بأن أحضر إذا سنت الفرصة . ولكن كيف سأذهب ؟
وهل أملك ثياباً تليق بالاحتفالات ؟

في الليلة التي ستقام فيها السهرة كنت أتجول في الشوارع بملل
لا يطاق . وبالبطاقة في جيبي ، ولأنني لا أملك سوى ثمن كاسين أو ثلاثة
كؤوس من الخمر دخلت إلى إحدى الخمارات في لامبو لأنها أرخص من
غيرها . أتعرف بمن التقىتي ؟! لقد التقىت بهاد السكران هناك ، وكعادته
في كل مرة يلقاني فيها احتضنني وقبلني وحللا وجهي بلعابه اللزج . كنت
وقئلاً بحاجة لاي شخص كيأشكى له همومي . وبدائنا نشرب ، كأس ،
إثنان ، ثلاثة ... أربعة ... قال نهاد السكران : - نحن في اي يوم من
ايام الأسبوع ؟

- الأربعاء .

ـ تقو ... تقو ... يامنه ، ولك خرجت من البيت صباح الاثنين ،
أي أنني خرجت منذ ثلاثة أيام . كنت أعتقد أني خرجت صباح اليوم
من البيت ، لنـ كـيف سـاقـع زـوجـتـي بـذـلـك ...

ـ وفجأة وكأنه استفاق من سكرته قال :

- في اي يوم من ايام الشهر ؟

- اليوم الرابع .

ـ إيه ... الحمد لله ، للحظة ظننت أني خرجت من البيت في يوم
الاثنين من الأسبوع الماضي ولهذا خفت كثيراً .

— لا تحف . اليوم هو الرابع من شهر شباط .

— ماذما !!!؟ أيوااااااه ...

— ماذا حدث ؟

— ولك ... أنا خرجت من البيت في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني لقد وقع الفاس بالرأس . لا شك أن زوجتي ستطلعني . لقد وعدتها بأن « أشرب في البيت » وأقسمت بيمينا على ذلك . قالت « وإلا سأطلك » والله ستطلعني ...

بدأ زياد السكران بالبكاء فاختلط سائل أنفه مع لعابه مع دموعه .

وقال :

— لم لا تشرب ؟!

— لم يبق معي نقود . شربت بالنقود التي كانت معي .

— أنا أملك نقوداً . اكتشفنا عندما كنا نحضر طعام الفطور أنه لا يوجد شاي في البيت فاعطتني زوجتي قطعة تقدمة من فئة الخمسين ليرة وقالت « اشرب شايا وعد بالباقي ، ولكن لا تتأخر . وخرجت من البيت ولم أعد حتى هذا الوقت .

بدأت أبحث عن أحد يصرف لي الخمسين ليرة . بحثت وبحثت حتى وصلت إلى التي أوعلو فقلت سأشرب قدحين من الخمر كي يصرفوا لي الخمسين ليرة .

وأما عن بقية القصة فانت تعرفها . آد يا زوجتي العزيزة .. آه ..
منذ شهر وانت تنتظريني على مائدة الافطار كي أحضر لك شايا .

حضرت عزياد أشيه بششورى ماء من شدة البكاء .

— يا اسطة لامبو املاً قدحين آخرين .

تقرب حالة السكر من الانسان عندما يكون مهموماً ولهذا فقد ثملت من القدح الثامن او التاسع ، لا اعرف امن شدة الشمالة أم تضامناً مع نهاد السكران بدأت بالبكاء يبكي فابكي على بكائه .

— اسطة لامبو ، املاً الاقداح من جديد .

— قال اسطة لامبو :

— لا ... كفى شرباً .

— ارجوك ، آخر قدح .

— ولا قطرة واحدة .

— خرجنا من الحانة نهتر تارة ، نسقط على الارض فنقوم تارة أخرى ونبكي تارة ثالثة وهكذا حتى دخلنا الى خمارة أخرى .

قال نهاد السكران :

— أنا أبكي من أجل زوجتي ، ولكن لمْ تبكي أنت ؟

شرحت له الظرف الذي أمرّ به . فقال :

— هل أنت مجنون ؟ هيا اذهب الى الحفلة . أيمكن أن تضيئ من يدك فرصة كهذه ؟!

— انظر الى ما هو مكتوب في هذه البطاقة ، اللباس الرسمي إجباري .

— هذه البطاقة لشخصين .

— لا يوجد بطاقة الشخص واحد .

— حسین . لنذهب سویه . الشهیر الفرعی من اخر اصدقاء .
ساحر فک علیه کی لا بقول والد العناه الم حمی وفایل السار .

— لا يمكن ان تختبئ بهذه الالبسه .

— الذي في البيت شاعر اسمونین . لنذهب ونلبسهما . ولكن يجب
رسائل كل شيء ان تستقرى عليه شای .

— الساعة السابعة عشرة الا ثلاثة، ان مستجد شيئاً في وقت كهذا ؟

— مستجد في المفاهي . إن اعطيتهم نقوداً . . . احظة لقد خطرت
بالي فكرة : ستفول زوجتي كان نجاد عندي في البيت ولم افركه بفادر
لاسرى ادب فداء . ووفاء لصداقتنا يحاول التوفيق بيننا . هل فهمست؟
والبيوم مستقبل والد النساء . . . إن زوجتي إنسانة رقيقة جداً مستعدة
لذلك .

جزءها من الشماره موجوداً بعده على وشك الإغلاق ، أخذ منها
شدة شای وأعطي صاحبها ثلاثة أو اربعة أضعاف احتمالها . وذهبت بعد
ذلك الى بيت نجاد السكران .

ادخل بهدوء . . . ربما تكون زوجتي نائمة ، سطرين ببابها
وخرج دون ان تو عظها . اخرج المفاجع من جيبه ولحتنا لم يجد تقب
الباب . اشعالت عود ثقاب في نرى الثقب . خمسة عيدان . عشرة عيدان
ولكن دون فائدة قال نجاد بعد ان اخترت اصابعي :

— ابحث عن الثقب وانا سأشغل عود الثقاب .

— اشتعل العود فاصتعلت العلبة باكمليها . . . قال نجاد :

— يا إلهي لقد احترقت ... ، وتدحرج ..

واخراً وجدت الثقب ، ولكن المفتاح لا يدور داخل القفل ولا
استطيع نزعه من مكانه فخاطبته نهاد قائلاً :

— ولد نهاد ربما تكون قد أتينا الى بيت غير بيتك ، هل أنت متأكد
من أن هذا البيت هو بيتك ؟

تراجع نهاد الى الخلف ، أنسد ظهره على الجدار المقابل ونظر الى
الباب عن بعد ثم قال :

— طبعاً إنه بيتنا ، لا يعرف الإنسان بيته ..

في هذه الاثناء دار المفتاح ، فتحنا الباب ودخلنا الى البيت على
رؤوس أصابعنا ، أشعلنا المصباح الكهربائي واخرج نهاد طفمي السموكين
ولبسناهما ، ولكن كان أكبر من مقاسى بكثير فقال نهاد :

— إنه على مقاسك تماماً ، وكانه قصيل من أجلك .

فقلت :

— لكنه واسع جداً يا صديقي .

— لا يقال واسع والاصح ان تقول « فلو » ، إنه الموديل الدارج
هذه الايام .

— أكمام البنطال طويلة جداً ، ستكتس الأرض .

— حسن ، اطويها قليلاً ، هيا ... ، لنخرج بهدوء .

مشيت على رؤوس أصابعي ومشى نهاد خلفي وبدأنا بنزول الدرج
... فجأة سقط نهاد فوق ظهري وكانت تابوت ، وصرنا نتدحرج فوق

السلم حتى نزلنا الى مكان مقلبه جداً بقى نهاد مستلقياً فوق ظهرى
قالت له :

ـ انزل عن ظهرى ولا ١١١.

ـ دع رجلي كي انزل .

لقد حصل سوء تفاصيم بسيط فبدل ان امسك درابزون الدرج
مسكت برجل نهاد وسقطنا

قال نهاد :

ـ على ما يبدو ان هذا اربيت ليس بيتنا . لمن دخلنا الى بيت
بالخطأ .

ـ ولكننا ليسنا ثيابك كما ترى .

ـ اعلم ذلك إنها ثيابي ولكننا عندما سقطنا دخلنا الى بيت الجيران .
فعلى بيتنا لا يوجد مكان " كهذا .

اضبطات لمبة الدرج فسمعنا صوت زوجة نهاد وهي تقول :

ـ إنه بيتك إنه بيتك .

ـ روجبني العزيزة . لقد احصرت الشاي ولكنك كنت دائمـة
وتشفقت عليك ولم أشا إيقاظك من نومك كي لا أسبب اي إزعاج لك . . .
أين الشاي . . . الشاي . إنه يوجه سؤاله لي . قلت :

ـ الشاي معك .

ـ ولد ماذا فعلنا بالشاي ؟ .

— هجمت زوجته علينا وبيدها عصا طويلة وهي تقول :

— شاي ها ... شاي ها ١١١ ... اخرج من هنا .. هنا الى
المكان الذي كنت فيه .

— اهدئي يا زوجتي العزيزة ... لا تضربيني ... ستعذرني
عندما أشرح لك .. يوجد معي ضيف ... والله عيب ... صديقي
سيتزوج وانا سا ... لا تضربي ... يا ١١١ ... اهدئي واسمعيني
... انظري ... يسأول ...

رمتنا في الشارع وأغلقت الباب خلفنا بقوة ... بقينا فترة من
الزمن على الأرض بعدئذ مشينا بتشاقل ، كان نهاد السكران يبكي
وهو يقول :

— هذه هي زوجتي قليلة الشرف ... لقد قضت على حياتي ...
ولذلك لا يستطيع الرجل خلال اربعين عاماً ان يحضر ضيفاً الى بيته
... اليس من حقي إحضار ضيوفى الى بيتي ؟ قلت اريد شاياً وها انذا
حضرتها لك ... افعل كل ما تريدينه ... فهمت كل شيء رغم اني
عمل ... فقلت :

— يجب ان ننسى فكرة الذهاب الى الحفل .

— أيمن ذلك ؟ ... بعد كل الذي فعلته لاجلك .

ركبنا سيارة وذهبنا الى بي اوغلو قال نهاد السكران :

— لن نستطيع ان نذهب بهذا المنظر الى الحفل .

لقد عاد الى رشده كما يبدو ، قلت :

— طبعاً ... لن نذهب .

ـ ستراتير قادحين او ثلاثة اندفع من الخضر لي تستعيد شجاعتها
والذهب بعده ذلك .

ـ لقد اغلقت كل الهمارات .

ـ اعرف في الشارع الحنفي دكانا يبقى مفتوح الى وقت ما تخر
من الليل . ستأخذ من عنده رجاجة وشربها .

ـ سمعت بالتوتر يصدق ان ثورت رجاجة الحمر . ووجدت نفسى
شائعا بين امراء . او امدا ان هذا اليوم هو يوم سبي الاخر للتعزف على
والد العلاء والثانية ان الراية ، جاودت الثانية بعد منتصف الليل . وبعد
قليل سيسفرق المدعون .

ـ هنا باسمه لطفه حينا ونادى حينا آخر . وله من رجاجة
خاصية للتبول من اثر ما شربته خمرا . قال نهاد السكران :

ـ اريد ان ابول .

ـ مفه .. لا يمكن ان ابول هنا . ابحث عن مكان مناسب .

ـ دكانا الى زرقاء خلفي ، ودخلنا بين براميل القمامات الموجودة امام
ابواب الابنية والتي قلبها الفطاط والكلاب اثناء البحث عن الطعام مما
ادى الى انتشار القمامات في كل مكان اقصد وجدت ان هذا المكان هو
المناسب للتبول غير انى فدت صوابي وسقطت ارضا فتدحرجت فوق
الاوستران . حلمت انى فوق سريري غير ان اصوات الكلاب والقطط
انقطضت من حلمي ... نظرت حولي فسمعت صوت نهاد يهدى قائلا :

ـ يا روجيني العزيزة ... ارجوتك ان تصغي ... اسألكي لما
تقول ... سلعني هذا سينتروج و ...

ضرخت باعلى صوتي :

- نهاااااااد . . .

- جاءني صوت استغاثة :

- اي ي ي ي . . .

- اين انت ؟

-انا هنا ، وانت ؟

-انا هنا ايضاً .

- هيا انقض . . .

- لا استطيع الخروج من هنا .

نهضت فوجدت نهاد مقلوباً ، راسه في برميل القمامه ورجليه في الماء ، امسكته من رجليه وسخنته . قائلًا :

- هيا سينفرق المدموون .

- يجب ان اغسل وجهي .

- دعك من غسيل وجهك الان .

- لا يمكن . . . لقد فعلوها فوق راسي قليلو الادب .

سخنته قائلًا :

- هيا .. امش .

إن أصل المشكلة بدأت في هذه الفحامة : فعندما بدأ بفك أزرار السروال تدحرجت على الأوضاع فدخلت إلى سروالي جدور قصبة نيات الكرة مع اوراقها القاسية المتهمة باكياس البذار وبعد أن نهضت روت سروالي غير أن جدور النبتة بقيت داخل السروال وتدللت الوريفات القاسية المتهمة باكياس البذار إلى الأسفل من خارج السروال ، أما بالنسبة لنهاد ، فقد كان ثملاً أكثر مني فensi ان يذر سروالي ولكننا لم نكن مدركون للوضع الذي نحن فيه . وبهذا المنظر وصلنا إلى باب فندق النبطة ، وقبل أن ندخل قال نهاد :

— لنرتب منظرينا مليلاً .

طبعاً ربنا منظرينا ودخلنا من باب الفندق ، وما ان وضعننا ارجلنا في الداخل حتى تساطط علينا أذواه الكاميرات ... سقطت الأضواء على وجهي وكأنها لكمه وجنت إلى أفعى فاصطدمت رجلي ببعضهما ، الحمد لله أنه لم أسقط على الأرض . لقد كانوا يصورون فيلماً وفانينا . سيعرض في دور السينما . صوروا كل الموجودين ولكنهم تركوا علينا أكثر من الجميع وبالضبط كان التصوير سوياً نحو نصفنا السفلي . طبعاً انت تعلم سبب ذلك ، رجل يليس السموكيين وتتدلى من بين فخديه ومن خلفه اوراق نبات الكرة التي شكلت مع اكياس البذار التي ظرفها شكلًا أشبه ما يكون بالشرافر وأما الرجل الآخر فقد كان منظره اسوأ بكثير .

هرتنا من الأضواء ودخلنا إلى الصالون فضحك الجميع بأصوات عالية وصار الشباب والشابات يصرخون باعلى صوتهم :

— ابو المرأشر .

— ابو الشرافر .

— انظروا إلى أبي الشرار .

ـ يا أخي ومن هو هذا الأبو الشراشر ؟! كان الموجودون يضحكون بشكل جنوني . أما أنا فقد كنت جدياً للغاية . ولم افهم أنتي سبب كل هذه السخرية ، بل ظننت أنهم يسخرون من نهاد لأنه ثمل أكثر مني .

ـ يا نهاد ، ولك قف بلا اهتزاز ، إنظر إنهم يسخرون منك .

ـ وهل في شخصيتي أو في مظيري شيء يدعو إلى السخرية ؛ إنهم يسخرون منك .

ـ وهل في مظيري ما يدعو للسخرية ؟

نظرنا يميناً ويساراً ، فقد كنت أبحث عن أيسيفين .

قال نهاد السكران :

ـ انظر ... إنه هنا .

ـ من ؟

ـ السفير الفرنسي .

ـ دعك الان من السفير يا ...

ـ تعال سأعرفك عليه ، إنه صديق حميم ، لا شك أن والد الفتاة سيعطيك علامات أكثر في الامتحان اذا ما راك مع السفير الفرنسي .

الحمد لله القد وصلنا الى طاولة السفير دون أن نسقط على الأرض أما النساء والفتيات الجالسات على طاولة السفير فقد هربن بعيداً بعد أن وضعن أياديهن على أفمامهن وأخرجن أصواتاً « هه » « به » .

ضغط نهاد على يدي السفير قائلاً :

— كيف حالك ؟

— مرسى ... وأنت مسيو نهاد ؟

— مرسى ... أحب أن أقدم لك صديقي حسن ...

صافحت السفير يدا بيده . وبعد أن تحدثنا جملة أو جملتين قال السفير :

— برودون^(١) ... وابعد عن الطاولة .

قال نهاد :

— بين فنائك ؟

فقلت :

— أي أبحث عنها .

وما إن نظرت إلى إحدى الطاولات حتى التقت نظراتي مع نظراتها حيث كانت تجلس مع ابها وأمها وعندما رأتهما إدارات رأسها في جهة أخرى ، ما معنى هذا ؟ ومن الذي يجلس معها ؟ مشيت نحوها فجأة رجل نحوني وقال :

— برودون مسيو ...

وأثار ذلك بياءة من راسه ان يدلني على الطريق بعية إظهار اوراق الكرات اتدليلة من بين فخذي . وما ان نظرت الى المكان الذي دلني عليه الرجل حتى وقع نظري على سحاب سروال نهاد المفتوح فقلت :

— نفواوا ... لعنك الله يا نهاد ، لقد أخجلتني بين الاكابر .

(١) برودون : عفو .

— وماذا فعلت لك ولهم ؟! ..

— وهل بقي شيء لم تفعله ؟! .. انظر الى سروالك .. كلسونك
الابيض ظاهر من فتحة السر وال ف قال نهاد :

— اف .. يومه ..

وخشية أن يراه الناس استدار نحو الخلف كي يزر سرواله ، ولكن
ما الفائدة ونحن نقف في وسط الصالة ، فقد رأه الذين كانوا خلفه .

تركته واتجهت نحو ايسفين التي غادرت طاولتها عندما رأتني
متوجهًا نحوها . أمسكت بها في الممر ، كانت تبكي بحرارة . قلت لها :

— لماذا لا تعرفيوني على والدك ؟

— أيهذا المنظر ؟

— وما به منظري ؟ ألم تقولي إنك تحبني ؟

طبعاً أنا أحبك ولكن ليس بهذا المنظر بل بشكلك الطبيعي .

فظننت أنها لم تحبني باللباس الرسمي .. قلت لها :

— وماذا باستطاعتي أن أفعل ، اللباس الرسمي إجباري .

— وهذا هو لباسك الرسمي ؟

— طبعاً لقد فعلت هذا كي يليق منظري بحفلة كهذه .

— ازداد بكاؤها قلت :

— يا حبيبي ، أقسم بالله أنني لبست هذه الشياطين كي أنا إعجاب
والدك ووالدتك هربت ايسفين وهي تبكي ، وكلما اتجهت نحو جهة ما
كانت الأصوات تعلو والقهقات تزداد وهم يرددون :

— أبو الشراشر ، أبو الشراشر .

بحثت عن نهاد السكران فوجدها وخرجنا من هناك وانا أبغى الانتحار اخذت من نهاد عشر ليرات ، اتعرف اين كنت ابعي الانتحار ؟ في البيوك اضا ، من فوق الصخرة التي شهدت ايسفين وهي تقول لي « انا احبك » ، سارمني نفسي من أعلى الصخور الى البحر .

ركبت اول باخرة متوجهة نحو البيوك اضا ، اشتريت من الماء زجاجة خمر ومشيت . جلست فوق تلك الصخرة ، ابكي تارة وأشرب تارة اخرى ، وبعد ذلك وقفت على قدمي ، وعندما نظرت الى الاسفل نحو البحر رأيت اوراق نبات الكرات المتسلية بين فخذي فسقطت بمقاييس .

إيه ... لقد وضع نهاد السكران وجبي في الطين يا أخي ، صوروني فيما بالشراشر وعرض هذا الفيلم في السينما تحت اسم الوقائع المحلية ولكن الرقابة منعته من العرض ، ومن يومها أصبح اسمي حسن الشراشر وكان نهاد السكران هو السبب في ذلك .

* * *

— الله تر تلك الفتاة بعد تلك الليلة لا

— احياناً اراها هنا او هناك ، ولكنها ما ان تراني حتى تنظر الى الاسفل .

— من اجل النظر الى ساقيك ؟.

— لا يا أخي ، من شدة حجلها .

(*) الشراشر : الذنب : اطراقه وذبشه وما انتشر منه .

يا سيدي الولد

دخلت من الباب الزجاجي الدوار وقلت للرجل الواقف على اليمين الذي ظننت أنه يعمل بباباً : أين غرفة السيد المدير؟

أجايني الرجل بإيماءة من رأسه مشيراً إلى اليمين ، شعرت أن هذا الرجل مغدور بطبيعة أو أنه ازداد غروراً لأنني استشرته بأمر ما .

ووجدت مصدراً في الطرف الذي أشار إليه الرجل ، حالما فتح الباب سألني رجل اعتقد أنه عامل المصد :

— إلى أين؟

قلت :

— إلى غرفة السيد المدير .

احسست أن عامل المصد قال : « هذه الدنيا مليئة بالاغبياء »، وذلك من خلال الأصوات التي خرجت من فمه نتيجة لالتقاء طرف لسانه مع الاسنان « جك » « جك ، جك » قال :

— الا تراني واقفا هنا ، استشرني على الأقل .

— حسناً ، أريد مقابلة السيد المدير .

— أنتظري حتى يأتي ثلاثة أشخاص آخرين .

— ولكنني أريد أن أرى السيد المدير .

— أصعد من مكان آخر ... فالمصد لا يصعد بأقل من أربعة أشخاص .

كما يبدو أن هذا الرجل قد فرح كثيراً لانه جعلني انتظر ، صار يمشي وهو يشبك يديه وراء ظهره . جاء رجل آخر أو قنه عامل المصعد قائلاً :

ـ ولك ... هل ستفترج لكل رجل بدوره . هذه الآلة لا تتصعد إلا بأربعة أشخاص على الأقل .

اصبحنا أربعة بمجيء امرأة قابلناها بروح سرحة كي تصعد . لكن عامل المصعد وبحركة سريعة أغلق المصعد ووضع المفتاح بجيبه . قالت امرأة :

ـ نريد ان نصعد الى الأعلى .

رفع عامل المصعد آنفه الى الهواء اكثر وأكثر وقال :

لو جئت قبل قليل لصعدت ، أما الان فقد بدأت استراحة الغداء . أين كنت حتى هذا الوقت ؟ تعالى الساعة الواحدة والنصف عنده . سيبدأ المصعد بالعمل .

ـ ولماذا ؟

وأشار بسبابة يده اليمنى الى ساعة موجودة في ساعده الأيسر وقال :

ـ أين رأيت مصعداً يعمل في استراحة الغداء ؟ ممنوع ووع . تعالوا في الساعة الواحدة والنصف ، وإصعدوا إلى المكان الذي تريدون .

لم يكن لدى أي عمل في ذاك اليوم ، فقط أتيت كي أبارك للمدير الجديد ، لقد كان شاباً في مقتبل العمر كنت افخر به كثيراً . أفتح له مكتبي ويأخذ منها ما يحتاج من الكتب والمراجع . وكم كان يزداد

سروري عندما كان يردد « أنت الذي زبستي » ولكن لم أره منذ ذهابه إلى أوروبا .

تناولت طعام الغداء في المطعم ، ثم أمضيت بعض الوقت أمام واجهات محلات وعدت إلى الدائرة في الساعة الواحدة والنصف ، كان رقمي العشرين في طابور المصعد . ولما أتى دورني ركبت مع ثلاثة أشخاص آخرين بالإضافة لعامل المصعد ، قلت له من جديد أنني أريد مقابلة السيد المدير . نزل الجميع من المصعد ، فتح العامل الباب فسألني :

— في هذا الطابق ؟

قال :

— من ؟

— السيد المدير ، ألم أقل لك أنني أريد مقابلته ؟

— ولمَ لم تقل منذ البداية ... اخرج من هنا ثم انزل طابقين ، لأن النزول بواسطة المصعد ممنوع .

نزلت طابقين ، كان ممر هذا الطابق وسيماً للغاية والصالون كذلك . يوجد أبواباً على طرفي الممر ، ويجلس بباب على كل كرسي موضوعة أمام باب كل غرفة .

سالت أقرب بباب :

— أين غرفة السيد المدير ؟

أشار إلى لوحة من التوبيع موضوعة على الباب وقال :

— لا تعرف القراءة ؟

مكتوب على اللوحة « معاون المدير » .

— أين غرفة السيد المدير ؟

وأشار بطرف أنفه الى الصالون ، ذهب الى هناك فوجدت ثلاثة أبوابا لم توضع أية لوحة على أي منها . ذهب نحو رجل يسند يده على حافة النافذة ويقرأ الصحيفة وسألته .

— عفوا ، أين غرفة السيد المدير ؟

ومن دون أن يرفع ظره عن الصحيفة قال :

— أي مدير ؟

وعندما صمت ، تابع :

— أي مدير تريد ؟ المدير الأول أم الثاني أم الثالث ؟

— لست أدرى . وكل ما أعرفه هو أن اسمه جيتين .

— أمم ... أقصد الشاب التحيل ، ... ذو الاكتاف الهابطة ؛
ذو العينين الدايبتين . يا لقلة التربية ... خاطبته بلهجة قاسية :

— أيّاً كانت أوصافه ، أريد الذي يدعى جيتين ...

— عرفته .. عرفته . ذو الشعر السابل ، نعم إنه هو ، يمشي بيطء ... أليس كذلك ؟ وعندما يتكلم لا تفهم ما يقوله ، نعم إنه هو بشكل مؤكد . يعني ذلك أنت تريد المدير شو الانف الحاد .. نعم إنه هو المدير العام ... وماذا ت يريد منه ؟

توترت أعصابي فقلت :

- وما دخلك أنت ؟
- أنا بباب المدير العام .
- الا يوجد مديرأً لمكتبه ؟
- يوجد وماذا سينتظر في الموضوع ؟
- قل له أني أريد مقابلته .
- أالديك موعد سابق ؟
- كلا .
- لا يمكن مقابلة المدير العام بلا موعد سابق .
- كل ما أريده منك هو أن تخبره أني أريد مقابلته .
- أيمكن أن أسمح بالدخول لكل المراجعين ؟
- اعطيه بطاقة وقلت :
- أعطه هذه ..
- أخذ البطاقة بإسمه ودخل من أحد الأبواب الثلاثة ، ولم يخرج بعد ذلك . وعندما يأس من خروجه نزلت إلى الطابق السفلي وخرجت من المبنى ، فخطر بيالي أن أتصل به هاتفياً .
- اتصلت بجيتيين هاتفيًا من مقسم البريد ، فرح كثيراً عندما عرفني وقال :
- أرجوك أن تأتي إلى مكتبي .

فقلت :

ـ ساتي حالاً .

عندما دخلت الى المبنى وجدت جيبيين ينتظري عند الباب الرئيسي .
قال لي بعد ان تصافحنا :

ـ كنت ساذهب إليك ولكنني لم اعرف مكان إقامتك .

قلت له ونحن في المصعد :

ـ لقد أخجلتني يا جيبيين . لماذا خرجم من مكتبك لاستقبالي ؟

ابتسم قائلًا :

ـ سأشرح لك في المكتب .

ادركت انه لا يريد ان يسمعه عامل المصعد . دخلنا الى مكتبه .
فعلاً كان مكتباً ملفتاً للنظر يليق بمدير عام ٠٠٠

قلت :

ـ يا إلهي يا جيبيين . ما زلت شاباً . لم اختلطت بين طلاب المدرسة
الثانوية . لما فرقتك عنهم ... هل أصبحت في الثلاثين ؟

ـ يا أخي لقد أصبحت في الثالثة والثلاثين .

ـ إن استلامك لهذا الموقع الهام وانت في الثالثة والثلاثين شيء
رائع . لقد اتيت لأبارك لك بهذا المركز الحساس - أقسم بالله لا يطير
عليك انك في الثلاثين من عمرك .

— نعم ... ولهذا لا يوجد أحد هنا يجد أن رتبة مدير عام تليق بي فلو لم انزل الى الباب الرئيسي لاستقبالك لما استطعت مقابلتي مهما حاولت .

طبعا لم أخبره أني أتيت إليه ولم أستطع مقابلته . قال :
— لقد حاصروني جيدا ، فلا يسمحون لأحد بدخول مكتبي .

دشت لما ي قوله فسألته :

— ومن الذي يحجبك عن الناس ؟

— في الحقيقة أريد أن أشرح لك كل شيء ، فأنا بحاجة لاحدٍ كي يسمعني والحمد لله أتيت الى هنا بعد عودتي من أوروبا عينت في أنقرة وبعد ذلك ترقيت درجتين وعينت كما ترى مديرأً عاماً لهذه الشركة . كان المدير السابق رجلاً بديناً ذو كرش وكفين عريضين دشن كثيراً عندما رأني فخاطبني وكأنني طفل صغير وقال ما شاء الله ، ما زلت شاباً يا سيدي الولد إشاء الله سيكون النجاح حليفك

فقلت له بعصبية : « أنا اسمي جيتين » ، انزعج كثيراً ولكنـه استمر بمخاطبتي بنفس اللهجة « يا سيدي الولد » أمـام الموظفين والبـوايين والـحجـاب وأثنـاء الـاسـلام والـتـسـليم كان يردد دائمـاً عبارـة « التجـربـة مهمـة جداً ... يا سيـدي الـولـد » . أدرـكت وـقتـئـدـ أنـالـرـجل يـعـانـي منـ عـقـدةـ نـقـصـ المـرـفـةـ ، إذـ أنهـ لمـ يـسـتـطـعـ استـيعـابـ أنـ بـسـتمـ شـابـ أـصـفـرـ مـنـ وـلـدـهـ مـكـانـهـ ، قالـ : « يا سيـدي الـولـد ، إنـ صـادـقـتكـ أـيةـ مـشـكـلةـ لـاـ تـنسـىـ اـسـتـشـارـةـ الـبـوـابـ عـبـدـ الدـاـيـةـ ، لـانـهـ يـسـتـطـعـ مـسـاعـدـتكـ » . فـقلـتـ « أـرجـوكـ يـاـ سـيـدـ ، لـستـ مـمـنـ سـيـتـعلـمـونـ مـنـ بـوـابـهـ » فـقاـلـ « لـاـ لـاـ لـاـ ... لـاـ تـقلـ هـذـاـ يـاـ سـيـديـ الـولـدـ يـحـبـ الـاتـفـرـيكـ الـمـاـنـصـبـ »

وala تنظر اليه بصفته بوابا او حاجبا او خادما . لقد خدمت في وظائف الدولة أكثر من ستة وعشرين عاما .

واستلمت خلال هذه الخدمة الطويلة مناصب مهمة جداً وأستطيع أن أعترف لك بأنني استفدت كثيراً من البوابين . خاصة وأن عبد الداية، يملك خبرة وتجربة طويلة وغنية . يجب أن تستفيد من خبرته وذلك من أجل منفعتك » .

بعد أن انهى كلامه ضفت على الجرس وقال للباب عبد الداية الذي دخل إلى المكتب فوراً « يا عبد الداية . إن المدير العام الجديد ما زال شاباً وقليل التجربة » وتابع « يجب أن تسير الأمور على نفس الوتيرة ، كما كانت سابقاً . فلا تدخل بمحنتك وبمعلوماتك عليه » . فقال الباب « إنه مثل ولدي . ومساعدة من إحدى واجباتي » .

فقلت للحاجب « هيا اخرج » فخرج .

انه يتظاهر بحمایتي كي يتفزّعني ويقضى على صلاحياتي ومسؤولياتي . وعندما انتهيت أمرر الاسلام والتسليم قال لي « اسمح لي بأن أقدمك للرملاء يا سيدى الولد » .

فقلت « ارجوك لا تزعج نفسك » . وما ان مشينا جنبا الى جنب في مكاتب الدائرة حتى أصبحت كلثمه هي المهمة لأن كل شخص يستمع لها . اجتماع المدراء والمساعدين والموظرون في الصالون . فأخرجنى المدير العام السابق من المكتب مشبكأ ذراعه بذراعي محاولاً إظهار محبته وحمایته لي . وكما تعرف يا أخي أنا لست خضوعيا لهذا الحد ولكنني كنت اقول « على كل حال سينذهب ولن أرى وجهه ثانية » .

خاطب المدير العام الموجزدين قائلاً « أيها الرملاء المحترمون أقدم لكم المدير العام الجديد » ووضع يده فوق كتفي وبعد ذلك أمسكتي من

ذنبي كطفل . وقال : « أنا واثق من انكم لن تبخلو باحترامكم لمديرنا العام الشاب » . قال هذا وقرصني من خدي .

لعنة الله ، لقد حقرني أمام الجميع . يا إلهي ماذا سأفعل ؟ لم يكتمه على وجهه سأضع نفسي في موقف حرج لا أحسد عليه . وليس حلاً أن أترك الجميع وأدخل إلى مكتبي ، لقد توترت أعصابي ولم أعد أقوى على التفكير فالابتسمت وصمت؛ وأما هو فقد تابع حديثه وبين الحين والآخر يقرصني من خدي مظهاً حبه لي قال : « أيها الزملاء المحترمون المثل يقول العقل في الرأس وليس في العمر فلا تنتظروا لكون المدير العام ما زال شاباً . ولا تخدعوا بذلك ، فقد تعلم في أوروبا وقرأ كتبًا كثيرة ولا أشك بأنكم وأصدقاءكم المناوبون بعد الظهر ستتحبونه وتطيعون أوامرها مثلما كنت تحبوني وتطيعون أوامري ولا تبخلو أيها الزملاء بتجاربكم على سيدي الولد المدير العام لأن التجربة مهمة جداً كما تعلمون ، فلا تحرموا سيدي الولد ، مديرنا العام من تلك الخبرات ، هل تعدونني بذلك ؟ ! » .

ارتفعت أصواتهم « تبعدكم » ضمن جوٌ من الضحك . أما أنا فقد أحررْ وجهي من كثرة الدم الذي احتقن فيه ، فكُرت بآن أتكلم كلمتين لأنسخ حدأً لهذا الرجل فقلت « اسمحوا لي » ولكن المدير العام ضمَّ وجهي إلى صدره الضخم مما أدى إلى إحتقان الكلام في فمي وكدت أختنق ، وبعد ذلك قبلي المدير العام السابق وخاطب الموجودين قائلاً « استودعكم الله » . وصار يبكي فبكى الحاضرون على بكائه . حتى النساء أو صلنه باكيات إلى الباب الرئيسي . وبقيت وحدي في الصالون .

عندما أتينا من انقرة لم نجد بيتاً للإيجار يتناسب مع التقدُّم التي نملكتها فأقمتنا في بيت « بالذر » وبدأنا البحث من جديد ولكن لم نوفق بسبب غلاء البيوت .

اما بالنسبة للدائرة فقد اتيت كل شخص فيها يعاملني بابوة
خائلاً « يا سيدى الولد » حتى ضاربة الاله الكاربة المقدسة بالسر قليلاً
كانت تناذيني فاتلة « يا سيدى الولد » يا أخي مدت اصاب بالجنون
وأنا اسمعهم يقولون « سيدى الولد نوق ... سيدى الولد تحت ...
ذهب سيدى الولد ... اتى سيدى الولد ... » وكانت لست مديرًا
عام هذه الدائرة . بل بينما فيها وكل شخص يرى نفسه بأنه مسؤول
عن حمايتها .

ولما راجعت الملفات والأوراق التي في الدائرة اكتشفت ان الفساد
قد تغلغل الى أبسط الأمور . وله اتمكن من فهم اي شيء في هذه الدائرة
لأنهم افسدوا ترتيب المراجعات بحيث تتوزع نتائج الفش على الجميع .
إينما اضطر بدي أحد نفسي جاهلا بخفايا الأمور . ولا يمكن ان تكتشه
من المسؤول عن كل هذه الامور لأن الفساد والرثوة تبدأ من البوابين
ورؤساء الأقلام وحتى أعلى منصب في الدائرة .

صرت اعمل من أجل اصلاح الفساد حتى ساعات متأخرة من
الليل ، دخل الباب الى مكتبي في إحدى المرات وقال بحنان :

ـ يا سيدى الولد . لقد اوصاني مديرنا السابق بك خيراً ...

فجاءه توترت اعصابي فصرخت :

ـ هيا اخرج من هنا .

فقال باليقنة اب يغفر لولده العاق :

ـ علمي راسى يا سيدى الولد . ساخرج ولكن اريد ان اقول امرا
لصلحتك .

فسمير خمت بغضب « اخرج من هنا » فلم يكتثر بما اقوله فبداء
بسرج لي ويعلمته سعادتنا « لاما بـ « يا سيدى الولد » . قال :

— يا سيدى الولد ، منذ استلامك لهذا المنصب وانت تائى كل صباح بنفس الوقت مع ادنى الوظيفين رتبةً وتنصرف مع انصاراً لهم وأحياناً تفادر مكتبك بعد انصاراً لهم ، فإذا استمر الوضع على هذه الوريرة فلن يكون بينك وبينهم اي فرق وستتدنى قيمة جنابكم بمنظارهم الى ادنى حد وقد لا يعطيك اية اهمية ، عفواً يا سيدى الولد لا يمكنك اهمال قيمة التجربة والخبرة . صار لي في هذه الوظيفة اكثر من أربعة وعشرين عاماً عاصرت خلالها مدراء كثيرون ، لأنني بعمر والدك يا سيدى الولد .

— اخرج من هنا . . . هيا اخرج من هنا !!!

لولا خوفي من الفضيحة لرمته بشيء ما على رأسه . ولم اجد طريقة للتخلص منه أفضل من طرده من العمل :

— هيا اخرج من هنا . . . لا أريد أن أراك في هذه الدائرة بعد الآن .

بعد قليل جاء الى مكتبي معاوني والمدير الثاني وبذاتنا بالحديث وكلما انتهى كلام الاول يبدأ حديث الآخر :

— يا سيدى الولد ، انت محق ، ولكن هذا الرجل خبير في كل شيء ، طبعاً جنابكم من يقرر يا سيدى الولد ، ولكن من الأفضل الا تطرد هذا الباب ، إننا نتحدث معك بصفتنا اصدقاءك المقربين ونريد مصلحتك .

— وما ان غادرا المكتب حتى اتى غيرهم وهكذا . . . عندئذ فهمت انهم حلف واحد ابتداءً من الباب وحتى المدير .

ووجدت نفسي أمام امررين ، الاول ، إذا ما طردت هذا الباب من عمله سيصبح الجميع اعداءً لي وسيقتصر العمل بالكامل ، والثاني ، إذا غيرت مكانه سأخسر تجاربه .

في يوم من الايام كنت مسكت على عملني في المكتب حين دخل نفس
الباب وقال :

ـ يا سيدى الولد . إذا سمحت لي أريد ان احدثك قليلاً ولا أريد
ان يذهب كلامي هدراً . إنك ذكرى غالبة ترثها لنا مدبرنا السابق . منذ
مجيك الى هذه الدائرة وانت تتجهز كل الاعمال بنفسك يا سيدى الولد .
مع هذه الاعمال للآخرين إنك مدير عام ولهذا يجب الا تعمل شيئاً
يا سيدى الولد .

ضحك من شدة غضبي وقلت :

حسن حسن

أنت في يوم آخر وقال :

ـ يا سيدى الولد . إنك تسمع لكل شخص بالدخول الى مكتبك
لتنهى له عمله . فإذا أنهيت الاعمال بهذه السهولة لن يعطوك ايته أهمية .
ولهذا يجب ان يأتي المواطن وينذهب اكثر من مرة حتى يعرف مدى
صعوبة عملنا . اقسم بالله انقول هذه الكلمات كي اصون مصلحتنا
يا سيدى الولد . حتى ان اضرار تصر فك لحقت بنا ايضاً . نحن البابون
في هذه الدائرة . لم يبق أحد يحترمنا إذ أن المواطن الذي لديه عمل هنا
يأتي ويدخل متى يشاء دون ان يراجعنا يا سيدى الولد .

وأنت في يوم آخر علمتني الاـ استقبل احداً دون موعد سابق . فعلى
كل مواطن يريد ان يقابلني ان يأخذ موعداً قبل اسبوع ، وعليه الاـ يتكلم
معي مباشرة بل يصل الى مكتبي عن طريق التسلسل من الحاجب الى
المكتب الى الموظفين الى المدراء الثلاثة وبعد ذاك يصل الى مكتبي .

ـ وإلاـ فلن تجد احداً يعطيك ايته أهمية يا سيدى الولد . المدير
العام . هو من يجلس في مكتبه دون عمل يكون اكثر ثقلاً من الآخرين .

بدأت أفهم أساس الفساد في هذه الدائرة ، من المؤكد أنه لا يوجد موظف في هذه الدائرة يعيش من راتبه فقد عملوا ترتيبات تومن لهم أضعاف رواتبهم وبذلك يحصلون على أموال مثل التراب ، وبسبب أسلوبه الجديد في إدارة الشركة انقطعت عنهم هذه المونات مثل : البخشيش والرشاوي والبراطيل وغير ذلك .

بينما كنت أبحث عن طريقة لإصلاح الفساد في هذه الدائرة كان أهل بيتي يبحثون عن بيت مناسب للإيجار ، وأخيراً وجدوا بيته الشهرية ستمائة ليرة ولكن صاحبه يطلب الدفع مقدماً .

قالت زوجتي :

ـ سمعت أن صاحب البناء يعمل موظفاً في دائرتك ، قد يتراجع عن شروطه إذا ما قابلته وبذلك لا يأخذ منا إجرة سنة سلفاً .

فقلت :

ـ ما اسمه ؟

ـ لا شك أنه أحد مدراء الشركة ، اسمه سلام بك .

لا يوجد أحد بهذا الاسم في دائرتنا ، ذهبت يوم الأحد مع زوجي كي نرى البيت الذي سنستأجره ، إنه عبارة عن شقة واسعة في بناء كبيرة مولفة من ثلاث طوابق ... وصاحب البناء يسكن في إحدى الشقق فذهبنا إليه ، أتعرف من هو صاحبها ؟ إنه عبد الداية .

يا أخي كدت أجن ، ففي الوقت الذي أبحث فيه عن شقة صغيرة لاسكن فيه . يملك بباب مكتبي بناء كبيرة بهذه ، وباختصار ، قال لي :

ـ يا سيدي الولد ، إنك من ميراث مدربنا السابق ولهذا لن آخذ منك إجرة سنة مقدماً بل ساكتفي بستة أشهر .

ولا لم افتح فمي تابع :

ـ إن قبليت . تستطيع ان تكسب اجرة سنة كاملة خلال شهر واحد .

سأله :

ـ وكيف ؟

ـ يكفي أن ترفض استقبال من يريد مقابلتك ، لأنك لم تترنني
ابنة فرصة عمل .

وبيا خصار ، رجعت الى البيت .

وهكذا يا أخي أصبح لي في هذا المنصب قرابة الشهرين وقعت في حيرة من أمري خلال هذه المدة ، ماذا سأصلح ومن أين سأبدأ بالصلاح ؟ لقد شكل جميع الموظفون جبهة واحدة متماسكة الى حدٍ غريب ، فإذا ما وضعت يدي على أي فساد في هذه الدائرة سينتهي كل شيء كما تنسل خيوط الجراب . ماذا بإمكاني أن أفعل ؟ لقد حاصروني فلا يسمحون لأحد بمقابلتي ويصعبون الامور أمام المراجعين ، عينت استعلامات في الأسرع من أجل القضاء على هذه المحاصرة ولكن البوابين والنجاب يتخلعون لوحة الإعلانات ولا يظهروها لأحد . ولهذا نزلت الى الأسفل كي أقابلنك ولو لا ذلك لما سمحوا لك بمقابلتي مهما حاولت .

هناك اشخاص يأتون الى الدائرة من أجل مقابلتي عشرة أو خمس عشرة مرة ولكن دون فائدة .

فقلت لجيدين :

ـ وماذا ستفعل الآن ؟

ـ سأذهب الى أنقرة وأطلب مقابلة الوزير ، خاصة أن الذي استلم الوزارة رجل يعرف الله ، سأشرح له كل شيء .

ـ جيد ، وماذا ستطلب منه ؟

ـ إذا لم ينقل هؤلاء الموظفين الى مكان آخر ويعين بدلاً منهم موظفين آخرين ، فلن نستطيع القضاء على الفساد ، أو على الأقل يغير موظفاً واحداً من كل ثلاثة .

قلت :

ـ إنشاء الله .

وبعد هذا اللقاء فارقت جيتين وأنا حزين لوضعه .

بعد عدة أشهر سمعت أن جيتين قدّم استقالته ، وفي أحد الأيام قابلته في الباحرة ، كان حزيناً جداً ، سأله عن سبب استقالته .

فقال :

ـ ذهبت الى الوزير وشرحت له كل شيء ... كاد الوزير أن يبكي وقال « أعرف كل هذا ، ولكن هذه الأمور ليست موجودة في دائرك وحسب بل موجودة في كل الدوائر .

الطريقة الوحيدة التي يتم بواسطتها القضاء على الفساد هي تغيير كل موظفي الوزارة . ولكن أين سنجد بدلاً منهم ؟ ثم هل نملك القدرة على ذلك ؟ فسألت الوزير « وماذا سنفعل ؟ » فأجاب « إما أن نعتاد على ذلك أو نقدم استقالاتنا » وبعد ثلاثة أشهر قدمت استقالتي .

فسألته :

ـ والوزير ؟

ـ مازال في سنته ، ولكنني سمعت أنهم سيعينون وزيرًا آخر بدلاً منه وهذا هو ما كتبته الصحف عن الأزمة الوزارية .

قال :

ـ إنها أفضل طريقة ، تغيير وزير واحد أفضل من تغيير كل وزارات .

قال :

ـ لا ينتهي الأمر بتغيير الوزارات .

قال :

ـ وماذا تفعل الآن ؟

قال :

ـ لا شيء عاطل عن العمل .

بعد هذه المحادثة بقيت مدة طويلة لم أر فيها جيتين ، سمعت أنه

اهتم بالسياسة وكتب عنه الصحف كثيراً ، إنه سياسي ممتاز ، وبعد ذلك أصبح وزيراً ولكن ليست له أية علاقة بالدائرة التي كان يستلمها ، واستلم بعد ذلك عدة وزارات .

كم هو حزيف أنه لم يستلم الوزارة المسؤولة عن الدائرة التي كان قد اسلمهما فيما مضى .

ربما لو استلمها الآن لكان بإمكانه إصلاحها . ومع ذلك فقد فرحت لكتابته البريدية .. فهو إن لم يستطع إصلاح الوزارة فقد استطاع على الأقل إصلاح وضعه .

عندما قرأت خبر استلامه للوزارة لم أنس أن أرسل له برقية تهنئة كتبت فيها « يا سيدي الولد ، أهنتك على منصبك الجديد » .

فكتب لي رسالة يرجوني فيها أن أذهب الى انقرة من أجل مقابلته . ذهبت إليه فعینني في الوزارة براتب قليل حوالي الف وثمانمائة ليرة ، إنه راتب ضئيل ولكن لا أعمل بعد الظهر ، ولا أحد يسألني إن ذهبت أم لم أذهب . ولكن عندما لا يكون عندي في البيت اي عمل ماذا سأفعل في البيت ؟ أفضل شيء أن أذهب الى الوزارة على الأقل من أجل التسلية .



كيف قمنا بالثورة

حقيقة ، لو كنتم منصفين قليلاً ، لادركتم واعترفتم ، بأننا الأصحاب الشرعيون للسلطة الحالية . وأما عن سبب عدم تواجدنا في السلطة وفي إدارة دفة الحكم فهذا يرجع لسوء حظنا من جهة ، والخطأ بسيط ارتكبناه من جهة أخرى .

لقد قمنا بالثورة واستلمنا السلطة ، ولكن ، مع الاسف ، لم يسمع بثورتنا أي إنسان ، وكما هو معلوم ، لا يمكن أن تنجح ثورة ما وتستمر ما لم تسمع بها الجماهير العريضة .

فكروا قليلاً واستنتجوا ، كم هو مأساوي موقفنا ، في ليلة واحدة قمنا بالثورة وسقطت السلطة في أيدينا ، ولكننا لم نستطع إخبار أحد من الجماهير باستلامنا للسلطة .

تفقوا تماماً بأننا حسبنا كل شيء بدقة تامة ، لدرجة أنها أخذنا بعين الاعتبار أصغر الأمور وأقل الاحتمالات ، كما أنها واثق من أنه لم تدرس ثورة قامت قبل هذا التاريخ مثلما درسنا ثورتنا ، إذ أنها تمت دون أخطاء . غير أنها نسينا أمراً بسيطاً للغاية ... النظر إلى التقويم . نعم ، لو أنها نظرنا إلى التقويم لما غاب عن ذهاننا بأننا في منتصف شهر تموز ، ويعني ذلك أن الجو في هذا الوقت بالذات سيكون ماطراً في أفريقيا ، ربما يكون الهيجان والإضطراب الذي أصاب الأصدقاء الذين في لجنة قيادة الثورة هو الذي منعنا من الاستماع للنشرة الجوية من الإذاعة . ولم نفكر بالإتصال بإدارة الأرصاد الجوية لمعرفة أحوال الطقس .

هل تعلمون ماذا يعني هطول الأمطار ولو بشكل طفيف في أفريقيا في منتصف تموز ؟ إنه يعني توقف الحياة والشلل التام للبلد ... حمالا

تهطل أول قطرة ماء من السماء . تستقطل الإذاعة وشبكة الهاتف وتقطع الماء والكهرباء والغاز وتتقطع حركة الواحر والقطارات والطائرات والباصات والسيارات . ولكننا ولسبب وجيه وجدنا أن الفرصة سانحة لعمام بالثورة في منتصف شهر تموز ، وهذا السبب هو الحرارة العالية التي تعم أنحاء أوقيانوسيا مما يجعل عاصمتنا مترال بوليس خالية من السكان إلا من بعض الفقراء الذين يبحثون عن لقمة العيش . أما الوزراء ورجالات الدولة والشخصيات المعروفة في أوقيانوسيا وعائلاتهم المحترمين الذين لا يحملون حرارة الطقس ، فهولاء يذهبون إلى المدن الجبلية أو إلى المناطق الريفية ولا يبقى أحد في الدوائر الحكومية المتواجدة في مترال بوليس عاصمة أوقيانوسيا إلا بعض البوابين النائمين على كراسיהם أمام كل دائرة . أي أن الدوائر الحكومية تكون حالية تماما . في وضع كهذا لا يبقى على الثوار ، كي يستولوا على الحكم ، إلا فتح الغرف والدخول إلى الدوائر . يستطيع كل مواطن في وقت كهذا – إن كان يتسمى بالملل – القيام بثورة . إذ يكفي أن يقول « هيا يا أصدقاء لتعمل ثورة » .

ما زالت الدهشة تصيبني . كلما تذكرت ما حصل ، فكيف نحسب كل شيء ونسى هطول المطر في منتصف شهر تموز في أوقيانوسيا ... أي حماقة هذه يا إلهي !؟

وزعت المهام على أعضاء الثورة كما يلي : أنا والعميد عبد الحجاب واللازم أول عبد البوليل سنهابيم الإذاعة . الفريق أول حسين ماتراكي بائسا مع ثلاثة من أصدقائه سيهاجمون مطعم الطعام اللذيذ ، القائمقام محمد مرديان مع أربعة من أصدقائه سيهاجمون مركز البريد وغرف أرم المدرسة الثانوية الداخلية للبنات . أما الهجوم على الملعب البلدي والمسلح فقد كلف به خيام باشا وفرقته العشارية .

باختصار . وزعنا مهام الإستيلاء على المراكز الحساسة على أعضاء مجلس قيادة الثورة . ولم ننس أن تكلف موظف سرية التأديب كور حميد

/ متقادم الآن / بمهمة الإستيلاء على السجن . وذلك كي يؤمن الأماكن الممتازة في السجن لأعضاء قيادة الثورة إذا ما فشلنا بمهامنا . أي أنتا أخذنا أدق الأمور وأصغرها بعين الاعتبار .

وفي ساعة الصفر ، تحركنا للإستيلاء على الدوائر الحكومية ، قال العميد شهاب الجناب ، وهو من مجلس قيادة الثورة « يجب الا نستولي على المصرف المركزي ». ولما سأله الفريق أبو الفضال « لماذا ؟ » . أجاب « كي لا نهدى فواتنا بتوزيعها على أماكن عديمة النفع » . وعندما قبيل هذا الإقتراح تراجعتنا عن فكرة الإستيلاء على الأماكن عديمة النفع مثل وزارة المالية ، البلدية ، الدوائر العامة مثل النفوس والإحصاء ، وبعد أن أحصينا الدوائر عديمة النفع في بلدنا لم يبق أية دائرة ذات فائدة تستحق الهجوم عليها . فقال العميد أبو الحجاب « إذا كنا لا نريد الإستيلاء على الدوائر الحكومية بحججة أنها عديمة النفع ، فلنتراجع عن القيام بالثورة » . فقال القائم مقام بهلول : « يا أصدقاء يجب الا ننسى أننا نقوم بهذه الثورة لأن دوائرنا الحكومية لا تنفع لأي شيء » وبذلك حددنا الهدف الذي ستقوم الثورة لاجله .

اتفقنا على أن يتصل الأصدقاء بي هاتفياً فور استيلائهم على الدوائر الرسمية ، وأنا بدوري سأخبر أهالي أوفريكا بنجاح الثورة عن طريق الإذاعة . وقد كلفني الأصدقاء بمهمة الحديث الإذاعي لخشونة صوتي .

وعندما قررنا التحرك قال الملازم أول ابن البوّل « لنـ إنـ كانـ الأمريـكيـونـ موافقـينـ عـلـىـ قـيـامـ هـذـهـ الثـورـةـ .ـ لـانـ اـحـتمـالـ نـجـاحـ آـيـةـ ثـورـةـ لـاـ يـرـضـىـ عـنـهـ الـأـمـرـيـكـيـونـ مـعـدـوـمـ » .ـ فـقـرـرـنـاـ إـنـ ذـكـ تـشـكـيلـ لـجـنـرـيـاعـيـةـ مـؤـلـفـةـ مـنـ آـنـ شـخـصـيـاـ وـثـلـاثـةـ مـنـ الـأـصـدـقـاءـ ،ـ وـذـهـبـنـاـ لـمـراـجـمـةـ السـفـيرـ الـأـمـرـيـكـيـ .ـ

عـنـدـمـاـ دـخـلـنـاـ إـلـىـ السـفـارـةـ شـاهـدـنـاـ خـمـسـةـ أـشـخـاصـ يـخـرـجـونـ مـنـ مـكـتبـ السـفـيرـ ،ـ فـاعـتـقـلـنـاـ هـمـ عـلـىـ الـفـورـ ،ـ وـلـوـلاـ اـعـتـقـالـنـاـ لـهـمـ لـقـامـوـاـ بـالـثـورـةـ

قبلنا واستلموا الحكم . استقبلنا السفير استقبلاً لائقاً . قال صديقنا الذي يتكلم اللغة الأمريكية « يا شباب . مدينتي وقعت على رؤوسنا ، لا أستطيع تذكر معنى الكلمة ثورة باللغة الأمريكية . أ يوجد بينكم من يعرف ؟ » . في الحقيقة ، كنت أعرف معنى الكلمة ثورة باللغة الأمريكية ولكنني نسيتها بسبب الإضطراب الذي أصابني ، قلنا للسفير إننا نوي القيام بشيء ما . ولكن لم نستطع شرح ما هو هذا الشيء . وحينما حاولت أن أشرح له معنى الكلمة ثورة بإشارات من يدي ، فهم إشاراتي فيما خاطئناه وغضب كثيراً . المهم إننا استطعنا بعد عناء أن نشرح له مرامنا . فقال السفير : « إن نجحتم سندعمكم وإن فشلتكم فإننا سنواصل دعمنا للحكومة الحالية » .

بعد أن أخذنا موافقة الأمريكية توزعنا على أعمالنا من أجل إتمام السورة .

دخلنا إلى مبنى الإذاعة ونحن نهز أيدينا إلى الإمام والى الخلف لازماً لم نواجه بأي مقاومة . وبدأنا ننتظر الأخبار التي ستصلنا من الأصدقاء بواسطة الهاتف .

مرّ على موعد الإتصالات ثلاثة ساعات ولم يأتنا أي خبر فأصبنا بالقلق والإضطراب . لأننا إذا افترضنا أنهم اعتقلوا أصدقائنا فيجب أن نعرف أنهم سيهاجمون الإذاعة ويعتقلونا أيضاً . فقررنا بناء على ذلك أن نجيب على قوات الحكومة إن سألونا : « ماذا تفعلون هنا ؟ ! » بأننا نريد تقديم حفلة موسيقية ونريد أن نعزف بعض الأناشيد الوطنية . ولكننا هنا أيضاً اكتشفنا مصيبة جديدة إذ لا يوجد بيننا من يتقن عزف آلة موسيقية . ومع ذلك فقد بحثنا في الغرف وأحضرنا الآلات الموسيقية الموجودة فيها .

أنا ، وجدت طبلة فأحضرته وبذلت اتدرّب عليه ووجد أحد الأصدقاء دفنا ، وأخر لا أعرف اسمه وردد برقاً .

قلت للعميد أبو الحجّاب :

— اذهبوا واستقصوا الأخبار ، ترى ؟ هل استولى الأصدقاء على السلطة ؟ ! .

مشى العميد بخطوات عسكرية وغاب في عتمة الليل ، ولم يعند بعد ذلك . ولما لم يأت منه خبر أرسلت الملازم أول ولكن الآخر لم يعند أيضاً . صرت أرتجف خوفاً من احتمال فشل الثورة . لقد وجدت أفضل حلٍ هو الذهاب إلى السلطة وإخبارها بإندلاع الثورة وبذلك أكون قد أنقلت نفسي . وأنا في هذه الدوامة قال لي آخر من يقني معي من الأصدقاء :

— لا شك أن الأصدقاء استولوا على الحكومة في هذه الساعة .

يجب عليك إخبار المواطنين بواسطة الإذاعة بإستيلائنا على السلطة كي لا تحصل أية تغيرات تؤدي إلى حدوث الإضطراب عند السكان .

فقلت :

— إن إذاعة خبر كهذا ، في غاية السهولة ، ولكن ماذا سنفعل إن تم اعتقال أصدقائنا وأودعوا في السجن ، ألم يكون اعلاننا عن الثورة شيء مثير للضحك ؟

بعد قليل انقطع التيار الكهربائي ، فظننت أنه قد حدث تماس في الدارات ، ولكننا فهمنا بعد ذلك أن التيار الكهربائي قد انقطع فعلاً .

نزلت إلى الشارع فلم أر أي ضوء في المدينة ، ولم أجد أية واسطة نقل ، فاضطربت للذهاب إلى مجلس الوزراء مشياً على الأقدام . وجدت هناك العميد أبو الفضال . فسألته :

— مَاذَا حَدَثَ يَا أَبُو 'الْفَضَّالِ؟

فَاجَابَ :

— لَقَدْ اعْتَقَلْتُهُمْ .

فَقُلْتَ :

— مَنْ؟! الْمَلِكُ؟!

— كَلَّا . لَقَدْ اكْتَشَفَتْ لِجَنةُ ثُورِيَّةٍ أُخْرَى تَحَاوُلُ قلبَ الْحُكُومَةِ ، كَانُوا يَنْوُونَ الْقِيَامَ بِشُورَةٍ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . فَاعْتَقَلْتُهُمْ قَبْلَ أَنْ اعْتَقَلَهُمْ أَرْكَانُ الْحُكُومَةِ . لَا نَهَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا إِلَّا نَسْمَحُ لَأَحَدٍ بَعْدَ يَسْبِقَنَا لِلْقِيَامِ بِالشُّورَةِ .

فَهَمَتْ فِيمَا بَعْدَ . مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارَدَةِ إِلَيْنَا . أَنَّهُمْ اكْتَشَافُ أَرْبَعَةِ لِجَانِ ثُورِيَّةٍ ، غَيْرِ لِجَانِنَا . وَكُلُّهُمْ كَانُوا يَحَاوِلُونَ الْقِيَامَ بِالشُّورَةِ فِي نَفْسِ الْلَّيْلَةِ .

قُلْتَ لِلْعَمِيدِ زَهْرُوِيَّ :

— لَمْ لَمْ تَخْبُرُنِي عَنْ نِجَاحِ الشُّورَةِ بِوَاسْطَةِ الْهَاتِفِ؟!

فَقَالَ :

— وَكَيْفَ سَنُخْبِرُكُمْ وَإِلَيْكُمْ فَاتِحَةُ مَعْتَلَةِ

— كَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ عَدْمُ قَطْعِ كُلِّ الْهَوَافِنِ .

— نَحْنُ لَمْ نَقْطِعُهَا . بَهْتَلَتْ فِي الْمَسَاءِ . بَضَعْ قَطْرَاتٍ مِنَ الْمَطَرِ أَدْتَ إِلَى قَطْعِ الْخَطُوطِ الْهَافِنِيَّةِ .

— ألم تستطعوا إرسال أحدهم بالسيارة؟!

— نقول لك : هطلت الأمطار ... الا تفهم ؟ الا تعرف ان حركة السير تتوقف في اوقيكما بشكل كلي عندما تهطل الأمطار .

— حسناً ، وماذا سنفعل الآن ؟ جماهير اوقيكما لم تسمع بإسلامنا للسلطة .

بسط العميد زهروي خريطة الحركة فوق الطاولة ووضع فوقها أحجار الشطرنج وخاطب أبو الفضال قائلاً :

— لقد شئْ تفكيري ، ولن أقوى على التفكير قبل أن العب قليلاً بالشطرنج ، فتفضل الى رقعة الشطرنج يا سيد العميد .

اما بالنسبة لي ، فقد استلمت الطريق متوجهًا الى دار الإذاعة من أجل إخبار الجماهير بإسلامنا للسلطة . وفي الطريق قابلت المقدم حبيبي ، كان يضع المسكين حذاء تحت إيطه كي يستطيع السير في وحل الطريق ، عندما رأني بادر قائلاً :

— انظر الى هذا المنظر ، لقد أجبرونا على القيام بالثورة .

وبعد ذلك أخبرني بأنه استولى على وزارة المالية وعلى الخزينة ، غير أنه وجدها فارغة فتركها دون حراسة واستولى أيضًا على وزارتين آخريتين .

وقال الفريق خيام باشا :

— لو كنت أعلم بأن القيام بالثورة سهل لهذا الحد لما انتظرت كل هذه السنين . بل كنت قمت بشورة مذ كنت برتبة وكيل ضابط ، ورفعت نفسك مباشرة الى رتبة مشير .

بدأت بترديد نشيد « من السهل خداع شعبي ؟ » مع الأصدقاء الذين التقيتهم في الطريق وذهبتنا سوية الى دار الإذاعة .

بدأت أتكلم بصوتي الأحسن معلناً بـ قيام الثورة للأوفريكيين .
قال القائم مقام :

ـ إنك تصرخ دون فائد . يوجد عطل فني في محطة الإذاعة بسبب هطول المطر .

ـ حسناً . ولكن كيف سنخبر المواطنين بأننا استولينا على السلطة ؟ من غير المنطقي إخبار المواطنين فرداً فرداً .

قال أبو الحجاب :

ـ لقد عادت الخطوط الهاتفية للعمل . لنخبر بعض الأفراد بواسطة الهاتف وهم بدورهم يخبرون الآخرين .

وعلى الفور طلب رقمًا لا على التعين . وببدأ يتكلم يجب على كل عصو من أعضاء مجلس الثورة أن يكون تحت المراقبة ولهذا فقد أمسك كلّ منا سماعة الهاتف وبدأنا نستمع للحديث الهاتفي الذي يجريه أبو الحجاب .

قال أبو الحجاب :

ـ نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة .

فقاله الصوت النعسان :

ـ ماذا ؟ مجلس ماذا ؟

وبعد ذلك جرت المقابلة التالية بينهما :

— لقد استولينا على الحكم .

— يا إلهي ... الله يوفقكم ... كم انتظرنا شخصاً ما ليقلب هذا النظام ويخلصنا من مصائبها ... من أنتم ؟

— أنا العميد أبو الحجاب من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، نريد أن نخبركم باستيلائنا على الحكم ، نرجوا أن تخبروا أصدقاءكم .

— من أين تتكلمون ؟

— من دار الإذاعة ، ... ومن أنتم ؟

— أنا الصدر الأعظم مختار باشا .

فقال العميد أبو الحجاب « من ن ن ... ؟ ». وسقط مغمياً عليه .

لقد حدث تماس في خطوط الهاتف فبدل أن يطلب أحد المواطنين طلب الصدر الأعظم وأخبره بقيام الثورة .

قال الملازم أول محمد :

— يا لسوء طالعنا ، لن يسمع أحد " ياستلامنا للسلطة .

فقال خيام باشا :

— دعك من هذا .. بعد قليل سيأتون لإعتقالنا .

فسألتهم :

— ولماذا لم تعتقلوا الصدر الأعظم ؟ .

فأجابوا :

— لأن السيارات لم تستطع السير بسبب المطر .

وبعد ذلك افترقنا وذهب كل واحد مني إلى وظيفته . دهبت إلى مكتبي في وزارة الدفاع . وغبت بين الأوراق والملفات . وبعد برهة طلبني السيد المدير إلى مكتبه وقال لي :

— يؤكّد التقرير الذي قدمه مخبرنا السري أنه لو لا هطول المطر لملأ أمس لاستطاع الثوار الإستيلاء على السلطة وقلب النظام الحاكم ، هذا هو التقرير ، أريد تحقيقاً كاملاً حوله .

سأله :

— هل نعتقلهم ؟

فصرخ السيد المدير فائلاً :

— ولماذا ؟ بالعكس تماماً ، سنتصرف كما لو أننا لم نسمع بأي شيء . فقد ينتحرون في المرة القادمة وينقذون البلد من مصائب هذه السلطة الحاكمة ولكن لانسوا تجهيز الطائرات التي سنهرب فيها .

هذا قد مضى على قيامنا بالثورة خمس سنوات ، حقيقة ، يجب أن تكون قيادة البلد لنا ، لأننا نحن الذين قلبنا الحكومة القديمة واستولينا على الحكم . ولكن ما نفع استلامك للسلطة ما لم تسمع بك الجماهير .

يا لشعب أوفريكا المسكين ، إنه يعتقد بأن الحكومة التي تحكمه حقيقة ، ولا يعرف بأنها مزيفة ، لأن هذه السلطة قد قلبت منذ خمس سنوات .

وصيتي الأخيرة لكل الذين يريدون القيام بالثورة في أوفريكا ، أن يختاروا ليلة غير ماطرة وأن يخبروا الحكومة بشكل سري عن عزمهم على القيام بالثورة .

لن ننتخب عمر آغا

طرق باب الدار في ساعة متأخرة من الليل ، لا أعتقد بأنني كنت سأستيقظ وقتئذ لو لم توقظني زوجتي ، لأنني كنت متعباً جداً . فقد ذهبت في الصباح الباكر إلى الجبل لاحتطاب وعدت في المساء كنت متعباً فنمت كالميت الذي توارى تحت التراب ، فلو ضرب المدفع مقابل أذني لن اسمعه أو أشعر بوجوده .

غفرت وقلت :

ـ من هذا ؟

فقالت زوجتي

ولك يا رجال هل مت ؟ إني أواخرك منذ الصباح ولا تستيقظ ، انهض وانظر من يطرق الباب .

ـ قلت بصوت كஸول وأنا أمد رأسي من النافذة :

ـ من هناك ؟

فسمعت صوت سيد الأعرج يقول :

ـ نحن ... افتح يا أخي افتح .

ـ عندما وصلت إلى الباب رأيت ثمانية من رجال القرية قد جمعوا أنفسهم وأتوا إلى بيتي .

ـ تفضلوا ... ماذا حصل في هذا الوقت يا أخوان ؟

قال سيد الأعرج :

ـ لا نستطيع الدخول . اردننا اعلامك فقط . لقد اجتمعنا هذه الليلة . وقررنا بالإجماع بالاندلي بأصواتنا لصالح عمر آغا في الانتخاب مختاراً للضجة . ماذا تقول حول هذا الموضوع ؟

قلت :

ـ لا إله إلا الله و لك الله نجتمع في الامس و توصلنا الى قرار مشترك حول هذا الموضوع ؟

ـ هذا صحيح . ولكننا أحبينا أن نذكرك كي لا تنسى .

ـ الله تستطيع الانتظار حتى الصباح يا سيد الأعرج ؟

ـ وهل يوجل أمر كهذا حتى الصباح ؟ فقد يأتي أحد رجال عمر آغا و يجعلك تتراجع عن قرارك .

ـ وهل بقي في هذه القرية رجل؟ لسر آثما يأتي إلي ؟ الله تجتمع القرية بأكملها ضدك ؟ لقد أصبح غريباً ووحيداً . ها دخلوا واستربوا قليلاً ...

ـ يجب أن نمر على بيوت أخرى .

قالوا هذه الكلمات وانصرفوا .

ـ لا نعرف هذا الرجل الذي يدعى عمر آغا إلا مختاراً لهذه القرية، ولا أحد إلا الله ونحن ندرى ، بما قاسينا له . ولهذا فقد قررنا شيئاً وشيئاً :

ـ الموت ولا ننتخب عمر آغا .

كان هذا حديث الساعة في كل أنحاء القرية . في البيت وفي المقهى ،
في الصباح وفي المساء نتحدث ونتناقش ونجدد القرار :

— لن ننتخب هذا النذل عمر آغا .

اتفقنا أن ننتخب ابن الفرّاء نوري أفندي ، لأنه رجل خفيف الظل
تدخل محبته إلى القلب ببراعة وحدينه رائع جداً ، إنه رجل بكل
ما تحمله هذه الكلمة من معنى متعلم ويعتبر من أكفاء موظفي النفوس في
المنطقة . والده متوفي وقد أتى السنة الماضية إلى القرية كي يصبح
صاحب أراضٍ وأطيان ومواشي ، بإختصار حسب كل المقاييس المعروفة
لا يمكن أن نجد شخصاً أهل لمنصب المختار أفضل منه .

كان نوري أفندي كلما رأى ثلاثة أو أربعة رجال في الجامع أو في
الساحة أو في المقهى يتكلم قائلاً :

— أيها المواطنون الكرام يا أبناء بلدي الأعزاء ، ساطبق الديمقراطية
في قريتنا ... كان العسل يسيل مع كل كلمة تخرج من فمه ، وكانت
خطباته أشبه ما تكون بتلك التي نسمعها من المذيع ، وأما عمر آغا فقد
كان رجلاً لا يحرك ساكناً ، حتى عندما نتكلم أمامه فقد كان الكلام
يصل إلى أذنيه ومع ذلك لا يتكلم .

كنا نجتمع كل يوم وتقرّر ، لن ننتخب عمر آغا ، وعندما تذهب إلى
بيوتنا نكتشف أن هذه المجتمعات لا تكفي فنذهب إلى البيوت في أوقات
متاخرة من الليل لنبلغ سكانها نفس القرار ، لو أتنى لم أنم تلك الليلة
لذهبت لأخبارك نفس القرار وإذا لم تتم أنت تذهب إلى بيتي . هذا من
جهة ، ومن جهة أخرى أنا شخصياً أشفع كثيراً على خطبات السكين
ابن الفرّاء نوري أفندي ، يا سيدي أقسم لك بأن قرية كهذه لا تصلح
لخطباته ، لا أشك مطلقاً بأنه يستطيع قلب حكومة بأكملها بخطاب واحد
إذا ما ذهب إلى أنقرة ، إلهم اتنا أقسمنا بآبائنا وأمهاتنا وبأطفالنا
وبزوجاتنا ، وتعاهدنا على أن نموت ولا ننتخب عمر آغا .

قبل الانتخابات بيومين طرحت باب بيتي في ساعة متأخرة من الليل
ظننت ان سيد الاعرج قد عاد من جديد . فمددت راسى من النافذة
و قللت :

- فهمست يا بني ، ابن تتحب الخنزير عمر اغا ،

فتساءلت صوتها بنادي :

عمي خضر ، افتح الباب ، افتح ...

ـ اسي ان هذا الصوت ليجيء آخر . تتحب الباب فوحدث ابن اع
عمر اغا .

لقد ارسل عمي عمر سلاما خاصا لى .

تعلمت :

- اي طفل ...

صال الطفلى .

- قال لي عمي عمر اذهب الى عملك خضر وقل له إذا كان يريد ان
يكسب الدعوى التي بينه وبين غوجور موسنوفا لصالحه . فلذهب غداً
معي الى المنطقة لأنني وحدت له محامياً كفه ، وقل له ألا يفكر بالتفود .

ـ عندما سمعت عبارات « دعوى ، غوجور موسنوفا ، المحامي »
شعرت بعيداً .

لوجور موسنوفا من الله أعداني . يا أخي إن هذا الرجل خالي من
الدين والأخلاق إنه يريد ربط حماره عند حدود حعلنا ويطعمه من آزهار
الرمان . وعند تكرر هذا السبيل تلده ثرات . ولا يكفيه ذلك بل يبيت ولده

الى مخزنا لسرق الطحين . و حتى إن أمسكناه فلن نستطيع فعل اي شيء معه لأنه قوي جداً . ولا أحد في القرية يقدم المساعدة لجاره ... آخر لو استطاع أن التخلص من غوجور مستوفا بمساعدة عمر آغا .

حسن ، ولكن إذا ذهبت غدا الى بيت النذل عمر آغا لا أشك بأن الرجال سيف sclون على وجهي .

قال الطفل كأنه شعر بما افکر به .

— قال عمي عمر ، ليتظرني غدا قبل الظهر بجانب جدار انبار القرية من المقبرة .

فقلت للطفل :

— سلم لي على عمك عمر آغا ...

شرحـت لزوجـني ما جـرى بيـني وبيـن هـذا الطـفل فـقالـت :

... وهـل تـوجـل عـملاً كـهـذا ، غـداً صـباـحاً ، إـذهب وـخذ حـقـنا مـن غـوجـور مـسـتوـفاً .

لم أـسـتطـع النـوم فـي تـلـك الـلـيـلة حـتـى الصـبـاح ، مـع بـزوـغ نـور النـهـار مـشـيـت عـلـى الطـرـيق عـدـة خطـوات فـرأـت كـوـرـمـوـرـسـال قـادـم وـهـو يـحمل وـالـدـتـه عـلـى ظـفـالـة ، سـلـمـت عـلـيـه قـائـلاً :

— إـلـى أـين يـا مـورـسـال ؟

— إـلـى الـبـلـدـة .

— وـمـاـذـا سـتـعـمل هـنـاك ؟

ـ سأخذ امي الى الطبيب . وانت ؟

ـ انا ايضا ذاهب الى البلد .

ـ ماذا ستعمل هناك ؟

ـ بمادا يرد الإنسان على تساؤلات هذا السافل الذي يسأل وكتابه الفاضسي ؟

ـ رفعت دعوى ضد نجور موستوفا . وساوكل محامي .

ـ وما ان شئينا قليلا حتى رأينا بكر اغا يركب حماره . وبجانبه تسير زوجته ويمشي ولده خلف الحمار . انت .

ـ خير ايش الله . الى اين ذاهب في هذا الوقت المبكر يا بكر اغا

ـ الى البلد .

ـ ماذا ستعمل هناك ؟

ـ مه ندرس اخذت زوجني الى الدكتور فكتب لها على دواء واكبتا لم نستطيع شراؤه لفلاء ثمنه ، الان ساذهب لشرائه .

ـ والى اين تأخذ زوجتك ؟

ـ اهد شاجرتي البارحة مع روجة حنفة وقد رفعت دعوى ضدها .

ـ والطفل ؟

ـ انه يخرج ديدانا مع برازه ، ساعرضه على الطبيب ، وانت

نـحن أـيضاً شـرحـنا إـه وـضـعـنا ، وـصـلـنا إـلـى البـئـر حـوـالـي خـمـسـة
عـشـر أو عـشـرـين شـخـصـاً وـكـلـهـم إـلـا مـدـعـيًـا أو مـدـعـيًـا عـلـيـهـ . إـذ لـا يـوـجـدـ في
قـرـيـتـنـا أـي رـجـلـ لمـ يـتـشـاجـرـ معـ جـارـهـ أوـ معـ قـرـيبـهـ وـعـنـدـمـا وـصـلـنـا إـلـى
بـئـرـ وـجـدـنـا سـكـانـ القـرـيـةـ مـجـتـمـعـينـ هـنـاكـ حـتـى سـيـدـ الـأـعـرـجـ كـانـ هـنـاكـ .

سـأـلـتـهـ :

ـ ماـ هيـ اـخـبـارـكـ يـا سـيـدـ ؟

فـقـالـ :

ـ سـأـوكـلـ مـحـاـمـيـ ، لـقـد رـفـعـتـ دـعـوى ضـدـ شـوـكـتـ .

أـمـرـ هـذـهـ القـرـيـةـ مـحـيـرـ فـعـلاًـ ، هـلـ أـجـلـ الـجـمـيعـ أـمـراضـهـ وـدـعـاـوـيـهـ
إـلـىـ هـذـاـ الـيـوـمـ ؟

حـتـىـ غـوـجـورـ مـوـسـوـفـاـ كـانـتـ سـيـجـارـنـهـ بـفـمـهـ وـكـانـ وـاقـفـاـ بـجـانـبـ
بـئـرـ . فـقـلتـ لـسـيـدـ :

ـ مـاـذـا يـفـعـلـ هـذـاـ القـوـادـ هـنـاـ ؟

فـقـالـ :

ـ إـنـهـ يـقـولـ أـنـهـ مـدـعـيـ عـلـيـكـ . وـيـرـيدـ أـنـ يـوـكـلـ مـحـاـمـيـ ضـدـكـ .

كـنـاـ صـامـتـيـنـ مـطـاطـيـنـ رـؤـوسـنـاـ حـيـنـ جـاءـ عـمـرـ آـغاـ . يـا إـلـهـيـ كـيـفـ
سـأـذـهـبـ معـ عـمـرـ آـغاـ اـمـامـ أـعـيـنـ أـبـنـاءـ قـرـيـتـيـ ؟

اقـتـرـبـ عـمـرـ آـغاـ مـنـاـ وـقـالـ :

ـ السـلـامـ عـلـيـكـمـ يـا أـغـاـوـاتـ .

قلنا بعدم اكتراث :

— وعليكم السلام .

— هل العدد شامل ؟ الجميع موجودين ؟

— بعضه .

صعد على جدار البسيط . نظر إلينا وقال :

العدد غير شامل . انتظروا مثلاً .

انتظرنا حوالي خمس دقائق او اهل واد بابن الفراء نوري افندى
قادم من بعيد ، سلم علينا .

قال له عمر آغا دون أن ينظر إلى وجهه .

— هل أتيت ؟

— نعم أتيت .

استدار نحونا وقال :

— هيا اتبعوني . . .

وبعثنا هذا الخنزير المسمى عمر آغا ، كذا حوالي الثلاثين او اربعين
شخصاً بين نساء ورجال وأطفال وحمير . منهم من تحمل طفلها ومنهم
من يحمل مريضه على كتفه .

مات لنوري افندى الذي يمشي بجانبي :

— الى اين نحن ذاهبون يا سيدى ؟

فقال :

أنا ذاهب لأنه لدى عمل في دوائر الدولة .

شيء عجيب فعلا ، كل هؤلاء الشرذرين موجودين ومع ذلك لا يوجد أي صوت خارج منهم . دخلنا الى البلدة مثل عربة يجرها حمار وكان عمر آغا في القدمة . توقف عمر آغا رفع اغفنه نحو السماء وأخرج مسبحته من جيبه وتابع سيره أمامنا .

وعندما وصلنا الى «الجامع قال :

— انتم انتظروني في الساحة ، بكر آغا تعال ...

ثم قال لي «تعال» ذهبنا ثلاثة وأما البقية فقد انتظروا في الساحة . دخل عمر آغا الى مكتب المحامي بصري بيك ودخلنا وراءه ، وقف انا وبكر آغا مشبكين أيدينا امام بطوننا وبدائنا نسمع للحديث الذي يجري ، قال عمر آغا :

— السلام عليكم .

وجلس على اول كرسي ، وتتابع :

— يا بصري بيك إننا نقاسي كثيرا من رجال الأحزاب المارضة .

فقال بصري بيك :

— قربا إنشاء الله ، سنضع اللجام على ذقونهم ونقطع اصواتهم وآتفاسهم .

ثم تابع متسائلاً :

— ما هو موقف حزبنا في قريتكم ؟

— ما معنى هذا ؟ وهل يستطيع أهل قريتي انتخاب أحد آخر ما
دامت أنا موجوداً بينهم ؟

— شكراً .

— عندماً أكون موجوداً ، دع كل الأمور لي ولا تفكّر بأي شيء .

فـ**سؤاله بصري بيـك :**

— من أي قرية أنت ؟

— من قرية يان إـي ، سكان القرية جميعهم من حزبنا .

وبعد ذلك ناقشوا أمور الحزب ، الساعات تمر بسرعة ، هل أتـينا
إلى هنا من أجل الثـرثـرة ، همس بـكر آغا باذني قائلاً :

— لقد نسيـ الدـعـوى ، إنه يـنـاقـشـ أمـورـ الحـزـبـ .

لـفتـ نـظـريـ أورـقةـ مـلـصـقـةـ عـلـىـ الجـدـارـ مـكـتـوبـ عـلـيـهـاـ «ـ إـجـرـةـ المـحـامـيـ
٢٠ لـيرـةـ »ـ تـحدـثـواـ عـنـ كـلـ شـيـءـ وـبـعـدـ ذـلـكـ قـالـ عمرـ آـغاـ :

— اـسـمـعـ لـنـاـ ، إـنـاـ نـرـيدـ الـاـنـصـرـافـ .

— فـقاـلـ الـحـامـيـ :

— أـرـجـواـ أـنـ تـعـمـلـوـاـ بـجـدـ وـنـشـاطـ .

— لا تـهـتمـ بـأـيـ شـيـءـ مـاـ دـمـتـ مـوـجـداـ .

نظرـ إـلـىـ وجـهـ بـكـرـ آـغاـ وـقـالـ وـكـانـهـ تـذـكـرـ شـيـئـاـ مـهـماـ :

— ٢٢ ... صـحـيـعـ ... قـبـلـ أـنـ أـنـسـىـ ، هـذـاـ الرـجـلـ الـفـقـيرـ ، إـنـهـ
مـنـ أـعـضـاءـ حـزـبـناـ النـشـيـطـينـ ، يـرـيدـ أـنـ يـرـفـعـ دـعـوىـ ضـدـ أـحـدـ الـمـعـارـضـينـ
الـانـذـالـ لـأـنـهـ يـضـايـقـهـ كـثـيرـاـ وـلـكـنـهـ فـقـيرـ جـداـ ، وـلـاـ يـمـلـكـ تـقـودـاـ .

— لا تهتم لأمره ، إن من شيمتنا استلام قضايا أعضاء حزبنا .

— شكرأ لك ، ولكنه لا يملك نقوداً تعطى تكاليف المحاماة .

ضحك بصري بيـك و قال :

— اسـمح لي بهذه الخـدمة ... إنـا سـادفع التـنـود .

استدار عمر آغا نحو بـكـر و قال :

— الله المـلـوـفـقـ ، هـاـ هوـ الـاسـتـاذـ الـمـحـاـمـيـ سـيـنـظـرـ فيـ قـضـيـتكـ ، اـبـقـ هـنـاـ

ترـكـهـ هـنـاكـ وـخـرـجـ ، إـنـاـ لـمـ أـفـهـمـ أيـ شـيءـ ، فـكـمـاـ أـعـلـمـ وـيـعـلـمـ الـحـمـيـعـ
أـنـ بـكـرـ آـغاـ لـاـ يـتـعـاـذـلـ الـسـيـاسـةـ وـلـاـ يـفـهـمـ بـالـاحـزـابـ .

وعـنـدـمـاـ خـرـجـنـاـ قـالـ لـيـ عـمـرـ آـغاـ :

— اـرـكـضـ وـنـادـيـ السـيـدـ الـاعـرـجـ ، لـيـاتـ إـلـيـ حـالـاـ .

نـادـيـتـ السـيـدـ الـاعـرـجـ ، اـخـدـنـاـ هـذـهـ المـرـةـ إـلـىـ مـكـتـبـ مـحـاـمـيـ مـنـ
الـاحـزـابـ الـمـارـضـةـ ، سـلـمـ وـجـسـ علىـ أـوـلـ كـرـسيـ فيـ الـمـكـتبـ ، وـاماـ نـحنـ
فـقـدـ شـبـكـنـاـ أـصـابـعـنـاـ أـمـامـ بـطـوـنـنـاـ وـبـدـانـنـاـ نـسـتـمعـ . قـالـ عـمـرـ آـغاـ :

— إـنـاـ نـقـاسـيـ كـثـيرـاـ مـنـ السـلـطـةـ الـحـاـكـمـةـ يـاـ اـسـتـاذـ . لـقـدـ شـرـبـتـ
دـمـاءـ الـشـعـبـ ، لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـمـرـ عـلـىـ الـبـلـادـ أـنـذـلـ مـنـ هـذـاـ الحـزـبـ .

وـكـانـ الـمـحـاـمـيـ يـنـتـظـرـ كـلـامـاـ كـهـنـاـ فـيـداـ نـقـاشـاـ حـامـيـاـ حـولـ الـحـزـبـ .
الـحـاـكـمـ ، قـالـ الـمـحـاـمـيـ :

— مـاـ هـوـ وـضـعـ حـزـبـنـاـ فـيـ قـرـيـتـكـمـ ؟

ـ قوي جداً ، إن جميع سكان قريتنا ضد الحزب الحاكم ، ولتكن واثقاً بأن حربنا سينجح بالانتخابات الحالية ما دمت موجوداً ، يكفي ما قاسيناه .

فقال المحامي :

ـ عندما نستلم السلطة سنقلع السنتم من جذورها .

وبعد أن ناقشوا أمور الحزب وتحذثروا كثيراً هم عمر آغا بالن هو ض قائلاً :

ـ لا يمل من الجلوس معك ، اسمع لنا ... وفجأة وكأنه تذكر شيئاً مهماً قال :

ـ صحيح ... كنت سانسى . أشار الى سيد الأعرج وتابع قائلاً :

ـ هذا الرجل الفقير ، من رجال حربنا الصادقين ، لقد قاسي كثيراً بسبب أحد رجال الحزب الحاكم ، ويريد الآن أن يرفع دعوى ضده ، ولكنه فقير ولا يملك ما يسد به رمقه .

فقال المحامي :

ـ سننتظر أيامه ، إنه عملنا .

ـ لكنه لا يستطيع أن يدفع تكاليف المحاماة .

ـ دعك من ذلك .

فقال عمر آغا لسيد الأعرج :

ـ لقد سارت أمورك على ما يرام ، أدع للاستاذ والعمل بنشاط من أجل حربنا أبق هنا كي ينظر بوضعك .

وعندما خرجنا قال لي :

— نادي لمرتضى وتعلّم :

ناديت الله وحضرت ، هذه المرة ذهبنا الى عيادة طبيب الأسنان ، وكان ضرس مرتضى يقوله كثيراً . لقد اورم خده حتى أصبح كالطبل .

كلن طبيب الأسنان أحد المرشحين عن حزب من أحزاب المعارضة وبذا يقدّم الشتائم على الحزب الآخر ...

تركنا مرتضى هناك إذ أن الطبيب تمهّد بقطع ضرسه ومعالجته دون أي مقابل . أخذنا والدة كورمورسال إلى الطبيب الذي كان من أعضاء الحزب الحاكم اتحد مع عمر آغا وبذا يقدّم الشتائم على أحزاب المعارضة وبعد ساعات فتح موضوع علاج والدة كورمورسال فقال الدكتور :

— على راسي ، ولكن لا تتحمّل عن النقود أبداً .

وهكذا سارت كل الأمور ، وأخذ العلاج من الصيدلية مجاناً ، وأنا ما زلت قلقاً بخصوص الدعوى التي سأرفعها ضد غوجور موستوفاً .

قال :

— نادي غوجور موستوفاً .

أخذني وعدوّي إلى مكتب محامي آخر . ولعب نفس اللعبة ، وقبل أن يخرج أشار إلى غوجور موستوفاً وقال :

— هذا الصديق من إنصارنا ، إنه رجل فقير وغيرّب ، لقد وقعت بينه وبين أحد المعارضين الانزدال مشكلة كبيرة .

ما هذا يا... إنه يصفني بالنذالة هكذا، أمامي ودون أي خجل... .

تركنا غور موستوفا هناك ودخلنا إلى مكتب محامي آخر ، وهنا أشار نحوي قائلاً :

ـ إ إنه من أعضاء حزبنا الفعالين ، ولكنه قاسى كثيراً من أحد أعضاء الحزب الحاكم الخنازير .

وباختصار ، تركني هناك ، أخرج المحامي النقود من جيبه وعمل سند وكالة ، وقدم لي الطعام .

رجعنا إلى القرية . وفي اليوم التالي جرت الانتخابات .

ذهبنا إلى الصناديق وانتخبت عمر آغا كل رجل قال :

ـ لن ننتخب عمر آغا .

لقد فاز عمر آغا في الانتخابات ، وربع نوري افendi صوتاً واحداً فقط ، اعتقدينا أنه صوت نوري افendi ذاته .

ولكن ابن الفراء نوري افendi قال :

ـ اقسم بالله أني أعطيت صوتي لعمر آغا .

قال عمر آغا :

ـ أمان يا ربى ... أنا من أعطى صوته لنوري افendi ... ألم تتفق نحن أهل القرية على أن نعطي أصواتنا لنوري افendi ... لقد وجدت أن الخروج عن رأي الجماعة عمل غير لائق ... ولهذا أعطيت صوتي لنوري افendi .

لقد انتخينا عمر آغا مختاراً على قريتنا ونحن ننادي « لن ننتخبه ... لن ننتخبه ... » وفي النهاية لم يثبتت على موقفه أي رجل في قريتنا سوى عمر آغا .

البيانو الذي نعامله كالعروس

— قال :

أنا أحب الآتراك جداً .

تعتبر هذه العبارة من أكثر العبارات التي تسعد الآتراك الذين يعيشون في الخارج خصوصاً عندما تخرج من فم أحد المشاهير الأجانب. وبالخصوص عندما تخرج من فم عازف البيانو الشهير (جولييو كاتشين) الذي يعتبر الأشهر في العالم في هذا المضمار .

تکاد تطير فرحاً ، يا له من رجل رائع ، كم أود حضنه وتقبله على وجهتي ما دام يحبنا جداً ، فهل سيقبل إذا ما دعیناه الى استانبول من أجل تقديم حفلة موسيقية يقول سكريته :

— لديه أعمال كثيرة خلال هذا الشهر فهو سيسجل اسطوانة في اوركسترا الفلارموني في اسرائيل ولكن تحدثوا معه لعله يقبل .

طلينا منه فقال :

— أتشرف بقبول دعوتك ، سالفي كل مواعيدي من أجل تقديم حفلة موسيقية في استانبول ، فأنا أحب الآتراك كثيراً .

كدنا نطير فرحاً ، كلغني الأصدقاء بتنظيم الاحتفال وحالما وصلت الى استانبول بوساطة الطائرة بدأت بالعمل من أجل التحضير للحفلة فلم أجد مكاناً في دارين للسينما المخصصة لمنزل هذه الحفلات قال صاحب إحداها أنه سيقدم فيلماً محلياً في الوقت الذي ستقام فيه الحفلة والآخر لا يسمح إلا بتقديم الحفلات التي ينظمها بنفسه .

اتفقت مع سينما أخرى مع أنها لا تليق بمثل هذه الحفلة وفور
عقد الاتفاق طبعت الإعلانات ولصقت على جدران الشوارع العامة .

ولكن الهم الأكبر كان بسبب البيانو ، إذ أني لم أجد سوى بيانو
واحد يليق بمثل هذه الحفلة في بلد مثل استانبول يفوق عدد سكانه
المليوني نسمة . وهذا البيانو موجود في معهد الموسيقا وبناءً عليه فكرت
بأنه من المناسب أن أقابل المدير شخصياً وأتكلم معه .

وبعد التعرف على المدير ، اكتشفت أنه كان شرطياً سابقاً أما الآن
فإنه يدير المعهد الموسيقي ويعمل بنفس الوقت مفتشاً في البلدية .

سألت الذي أعطاني هذه المعلومات عن علاقة سلك الشرطة بالموسيقا

فأجابني قائلاً :
— الا تعلم بأنهم من ذئب زمن يعيده يسمعون المواطنين على الأغاني
الأوبرالية في مخافر الشرطة .

عندما كنت أذهب لمقابلة المدير في المعهد الموسيقي كانوا يقولون أنه
في البلدية وعندما كنت أذهب إلى البلدية يقولون أنه في المعهد ومن يومها
عرفت أنه من الصعب مقابلة شخصاً موظفاً في مكانين وأما الشخص
الموظف بثلاث وظائف فإنه يعتبر من المقدودين .

انظروا إلى سوء طالعى إذ لم يصدق أي مرة أن ذهبت إلى البلدية
ووجدته أو صادفني هو في المعهد فلم أجده في أي مكان وعندما التقى به
بعد ستة أيام علمت بما حدث ، فعندما كنت أذهب إلى البلدية يكون
هو في المعهد وعندما أذهب إلى المعهد يكون هو في البلدية وعندما التقى به
ايقنت أني رأيته في مكان ما وبعد تفكير عميق تذكرت أني رأيته في
شارع ما .

وبعد أن تحدّثنا بمختلف الأحاديث قلت له .

— يا سيدِي أنت تعرف جوليوكاتش .

— من ؟

— كاتشين ؟

— من هذا ؟

— الشهير كاتشين .

— المهم . . . لم أتذكّر الرجل، هل هو الذي أرسّلك وعليكم السلام . . .

— عازف البيانو الشهير .

— آآآ . . . هكذا إدأ ! جيد . . . جميل .

فقلت له أنه يوجد بيانو واحد من ماركة « سيل وي » يصلح لهذه الحفلة وهذا البيانو موجوداً لديكم ، وقلت اتنى أريد هذا البيانو من أجل الحفل وشرحت له ما استطعت عن هذه الحفلة وأهدافها : الفن ، الوطن ، الشعب . . .

عندما كنت أشرح له : في البداية تماوحت عيناه وتماوحت وبعد ذلك رجحت وعندما أدركت أنه ارتعش من تأثير موسيقى صوت الغير متجلسة صرت أتحدث بصوت مرتفع وبعد أن دقق في نقطة النقاء الجدارين مع السقف لمدة زمنية . نظر بأصابعه على الطاولة وقال :

— غير ممكّن لأن هذا البيانو هدية من فرقة « الروكفين الأمريكية » إلى المعهد الموسيقي في إسطنبول وقد قدموه بشرط لا يُعرَف عليه إلا في حفلات المعهد .

— وهل سيستر جمعونه إن سمعوا ؟

— هذا شرطهم ، حتى أنبأ نحل هذه المشكلة عندما نضرر لامطار البيانو الى اوركسترا المدينة بوضع فاصلة . فسألت بشيء من الدهشة :

— كيف ؟ فاصلة ؟

قال :

— نعم ... فاصلة ، عندما نعطي البيانو الى اوركسترا المدينة تكتب على وصل التسليم « معهد الموسيقى في استانبول فاصلة اوركسترا المدينة » فلو لم نضع الفاصلة لكان أفسدنا بنود الاتفاق .

— الا يمكن أن نحل موضوعنا بوضع فاصلة ؟

— لا يمكن أن توضع فاصلة لأنكم من جهة لستم من هيئة رسمية ، ومن جهة أخرى غير تابعين للبلدية وبهذا تكون مسؤولين عن إفساد الشروط .

لم يبق سوى أيام قليلة على موعد الحفل ، وإذا ما أتي كاتشن فستكون موقفنا صعباً للغاية .

ومن قلة حيلتي ذهبت الى مكتب الاخبار الامريكي وطلبت منهم أن يسمحوا للمعهد الموسيقي في استانبول بإعطائنا البيانو الذي قدّم هدية من الروكفين من أجل إقامة حفلة موسيقية . ضحك الامريكي وقال :

— وهل تقدّم هدية بشروط . ثم اتصل بالمعهد الموسيقي وطلب منه ان يعطينا البيانو وعندما ذهبت الى المعهد كان المدير في البلدية وكان هناك معاون المدير وبعد أن سمع كلامي قال :

— لا يمكن إننا نخبيء هذا البيانو كالمروس .

مثل العروس ؟ رجمت خطوتين الى الخلف وعندما اقتربت من الباب
نظرت الى عين الرجل .

فصار يردد قائلاً :

- نخبئه كالعروس ٠٠٠

اصبحت المسألة عجيبة للغاية فالعروس لا تخبا .

قلت :

- حسن يا سيدي ماذا تفعلون بهذا البيانو ؟

قال :

- ينتقل هذا البيانو من مكانه مرتين في السنة ، المرة الاولى في
الخريف في بداية الموسم حيث ينقل الى السيئما التي سيقام الاحتفال
فيها والمرة الثانية عندما ينتهي الموسم في الربيع إذ يعود الى هنا ويغلق .

سألته :

- ولماذا ؟

- لأن البيانو أثناء تنقله يتقطع ، او ينكسر في مكان ما .

نعم ، ففي إحدى المرات أخذته جمعية الحرب من أجل إقامة باليه
وقد عزفت عليه معزوفات هادئة خوفاً عليه ، أما الآن فالذي سيعزف
عليه عازف شهر ، سيضرب عليه بكل قوته فقد تتعطل مفاتيحه او تنزع
أرجله .

ومن دون أن أدرى خرج من فمي صوت ضحكة / إه / فوضعت
يدي على فمي وتظاهرت اني اسل .

كرر قائلاً :

ـ إننا نحبه كالعروس .

ولأنه عروس فقد كان من الطبيعي أن تدخل الفيرة في الموضوع ،

قال :

ـ ولكن استطاع أن أقدم لك مساعدة ، فسألته بفرح :

ـ شكرا لك . وكيف ستساعدني ؟

ـ يوجد عدة آلات بيانو في المعهد الموسيقي تستعمل من أجل التدريس ولكن من ماركات مختلفة نعطيكم واحدة منها .

ذهبت بصحبة ثلاثة أشخاص لرؤية آلات البيانو التي سنأخذ واحدة منها وكانت جميع الآلات مكسورة وممطلة وأفضل بيانو رأيناه كان من ماركة / ماشستاين / عندما ضربنا على مفاتيحه خرجت موسيقا لم توجد نوطتها حتى الآن في عالم الموسيقا . يوجد في البيانو فقط علامة « رى » جيدة تضفي عليها فيخرج لك صوتاً يعوي « دووو » قال معاون المدير :

ـ حسناً ، سنعطيك هذا البيانو ، أصلحه واعزف عليه .

إن تحويل هذه الآلة التي يدعونها بيانو إلى سيارة أسهل من إصلاحها واستعمالها كبيانو للعزف . وال الصحيح يمكن أن تخرج منها سيارة فوراً من الماركات القديمة بجهد أقل وبمصاريف أقل أيضاً .

ومن قلة الحيلة ومن ترددى إلى هنا وهناك دون فائدة لم أجد أفضل من الذهاب إلى مكتب فنون المدينة التابعة لأحد معاوني رئيس

البلدية ، عرفت انه كان في السلك العسكري قبل استسلام وظيفته هنا كمعاون رئيس بلدية مسؤول عن الشؤون الفنية في المدينة . بدات حديثي قائلاً :

— يا سيدي ، انت المسئل تفهمون بشؤون الفن .

قال :

— نعم ، كنت اعزف الباص في فرقة المارسيم .

شرح له كل ما اريده بشكل مفصل .

قال :

— اكتب طلباً وقدمه لنا .

خرجت وكتبت الطلب وقدمته فوراً .

— عجباً كيف ستسير الأمور لقد اقترب موعد الحفل كثيراً .

— نحن سنتحول طلبكم الى هيئة البوليفونيك الفنية والهيئة تقرر .. عجباً وهل يعطونا البيانو .

— عن نفسي لن استخدم القیتو ضدكم اما الاخرين فلا اعرف

موقفهم .

جاء قرار الهيئة :

— لا يعطي البيانو .

ذهبت الى معاون رئيس البلدية وبعد أن قلت كل ما يجب أن يقال وتوسلت إليه بما فيه الكفاية . قلت :

- يا سيدى ، هذه خدمة لهم المصلحة العامة .

قلب الملفات والأوراق المكدسة فوق مكتبه باصابعه وقال :

- انظر ، أنا هنا أخدم المصلحة العامة إلى أقصى حد .

- يا سيدى لم يبق وقت ، لقد تكرّم علينا عازف البيانو وقبل دعوتنا ، إذا أتى فسوف يكون موقفنا صعباً وسيقل اعتبارنا وفيمنا في الخارج ، ستفسد سمعتنا ويقولون : بلد كبير مثل استانبول لا يوجد فيها بيانو واحد من أجل إقامة حفلة موسيقية .

- كيف سنعطيكم بيانو خاص للبلدية ، وأنتم لا تشكلون جمعية أو حتى اي هيئة عامة ، ايعطى البيانو للقطاع الخاص ؟

فشرح له : السمعة ، الوطن ، الفن .

- افهم ، افهم ، افهم إنك رجل مثالي .

نظرت إلى عينيه بشيء من الأمل .

قال :

- أنا أعرف كل هذا ولكن لا يمكن أن أشرحه للآخرين .

وبذات من جديد الشعب ، الوطن ...

قال :

- إنكم تشغلوه مركزه .

ولأنني لم افهم ، سالته :

— داي مركر .

ضرب على زجاج الطاولة بيده وقال :

— المركز — المركز .

ركضت من جديد الى مدير المعهد الموسيقي

— يا سيد ، ستسوء سمعتنا في العالم ، لقد علقنا الدعايات واعلنا
عن الحفل .

— وهل أخذتم رأيي ؟ لو لم تدعوه .

— ولكننا دعوناه .

— لا يمكن أن نسمع لأحد بالعزف على هذا البيانو إلا إذا كان
من خريجي المعهد الموسيقي في ميونخ .

— ولكنه كاتشين .

— أنا لا أفهم كاتشين ، ماتشين الفوا الحفل .

— سمع وزير الداخلية بالموضوع . اتصل من فقره هافنيا برئيس
بلدية استانبول ومن جديد خرج القرار عن هيئة البوليفونيك الفنية :
لا يسمح لوزير الداخلية بالتدخل بشؤون الفن .

في هذه الأثناء جاء كاتشين بالطائرة ، شرحنا له الموضوع بهدوء
 فقال مبتسما :

— لا نستطيع إلغاء الحفل بعد أن أعلنا عنه وبما أنني قدمت إلى
استانبول فلا ضير من العزف على بيانو آخر .

سمع والي استانبول بما ححدث ، وللحقيقة نقول انه حاول كثيراً ولكن بعد ان رفض المعهد الوسيقي اخراج عروسه قال الوالي :

« يوجد في مضاقة الوالي بيانو ، جربوه »

ذهبنا إلى مضاقة الوالي مع كاتشين وبعد أن نظر كاتش إلى البيانو قال :

ـ بيانو جميل ولكنه لا يعزف .

ـ ولا يوجد أي وقت لاصلاح البيانو فالحفل سيقام في يوم غد .

وجدنا عند مدرب العزاف على البيانو آلة بيانو ، فذهبنا ورأيناها دل كاتشين على إحدى الآلتين وقال :

ـ ربما تكون جيدة .

كان المدرب بروفيسوراً رائعاً . لم يأخذ نقوداً ، فحملنا البيانو إلى السينما التي سيقام فيها . صفق كاتشين في صالة السينما التي سيقام فيها . صفق كاتشين في صالة السينما الفارغة ليقيس مدى الصوت وقال:

ـ سيء جداً ولكن من العيب الغاء الحفل . إنني متعب جداً يجب ان أذهب إلى الفندق لارتفاع قليلاً .

أخذناه إلى الفندق ولكنه لم يستطع النوم علما أنه أخذ قرص منوم ، ولأن معاملة الدخول والعملة غير مكتملة فقد حضر إلى الفندق الكاتب العدل وموظفي المالية .

في اليوم التالي ذهبنا إلى صالة السينما التي سيقام الحفل فيها فقال كاتشين :

— يجب أن أعمل بيروقته .
غير ممكن لأن السينما كانت تعرض فيلماً وبعد انتهاء عرض الفيلم
دخل مدعوا الحفل إلى الصالة قال ضابط الموزان :

— لم استطع أن أغير البيانو ، وذلك لضيق الوقت .
وفي أثناء الابداء بالعرض علمت بأن ستائر كانت معطلة ايضاً ،
ففتحت ستائر بيدي .

افتتح كاتشن الحفل بكلمات موجزة قليلاً :

— مع الاسف لم استطع تأمين بيانو كبير يليق بحفلة كهذه ومع ذلك
اريد أنأشكركم لأنكم الم تحرموني من شرف العزف أمامكم وإن كان
البيانو الذي سنعز عليه بنصف عمر .

وبدا كاتشن بعزف مقطوعة من / ليست / صار كاتشن المعروف
بأنه أكثر من يتقن عزف هذه المقطوعة عاليًا ، صار يرتجف لأنه كاتن
تسمع ضربات كضربات المطرقة تخرج من البيانو وأصبحت تخرج من
البيانو أصواتاً تشبه أصوات الغيتار وببدا الغضب على كاتشن . أصبحت
تسمع في الصالة أصواتاً أشبه ما تكون بضربات جنزيز الترومواي عندما
يخرج عن سكته ويسير على الرصيف وفي هذه الأثناء بدأت أوتار البيانو
بالاستطالة نحو الأسفل فصار كاتشن يجمعها بإحدى وجيده .

من المعروف أن مقطوعة / ليست / هذه تنتهي بصوت هادئ للغاية
ولكنها انتهت هذه المرة بصوت سعال منظف للقصبات لرجل مصاب
بالركام ، وعندما أنهى كاتشن معزوفته ضرب بأصابعه العشرة على
البيانو وانتصب على رجليه والعرق يتصلب من جبينه وبدا يتكلم
بالإنكليزية .

— سيداتي سادتي . . .

ترون التعذيب الذي قاسيته لكي أنهى هذه الحفلة على خير ، وعلى اعتبار أن جعيات حياة الحيوان موجودة في كل مكان في هذه الدنيا فلماذا لا تؤسس جمعية لحماية الفنانين في بلدكم .

حتى في وسط الصحراء يستطيع الإنسان أن يؤمن بيانو صالحًا لعزف مقطوعة موسيقية ولهذا أتمنى أن يتواجد في مدينتكم بيانو صالحًا لتقديم حفلة عالمية .

وانتهت الحفلة

الصراع بين ذيل الجدي والبوصلة

1900. 12. 12. 12. 12. 12. 12.

1900. 12. 12. 12. 12.

الى الان لم تحل قضية من كان على صواب اهو قائد الجيش الخامس حافظ يونس باشا ام رئيس الاركان الحربية فون غولف .

منذ نصف قرن والمؤرخون يبحثون ويناقشون هذه القضية . ومع ذلك لم تعرف الحقيقة . من المعلوم بالنسبة للمؤرخين أن القضية بذات عندما ناقشوا مسألة أيهما أصح في تحديد الاتجاه ذيل الجدي أم البوصلة .

حافظ يونس باشا يرى أن ذيل الجدي أفضل من البوصلة في تحديد الاتجاه أما سبب استعمال البوصلة أكثر من ذيل الجدي فهو أحد الأخطاء التي ارتكبها علماء الغرب . ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً .

فالعلماء الغربيون كعادتهم أخرجوا وثائق لا أساس لها من الصحة منذ عهد الصليب عن الشعور بالحقد والانتقام والذيل وقد قدموا محاولات فاشلة لكي ينتصروا فكرة فون غولف ولكن لم ولن ينجحوا ، الآن يجب أن نعرض هذه المسألة بموقف محайд وعلمي وموضوعي .

من المعلوم أن فون غولف قد طلب إلى الجيش الألماني كضابط احتياط عندما اعلنت الحرب العالمية . ومن المعروف أيضاً أنه من سلالة سويسرية وعائلته تعمل في تصليح وتصنيع الساعات منذ قرنين وأما سبب اعطاءه اسم غولف فيري بعض المؤرخين يأن سبب ذلك انه كان يلبس بنطال غولف ويرى البعض الآخر ان السبب عائد لكونه يتقن لعبة الغولف بشكل ممتاز .

كان غولف ساعاتي مثل جميع أفراد عائلته فقد كان يصلح الساعات المعلقة خلال زمن قصير وكان بذلك يحمي كل زملائه في العمل .

ولأنه كان مشغولاً جداً ولساعات طويلة بتصليح الساعات فقد كان يحب أن ينجز أعماله بأوقاتها ودون تأجيل وبناءً على هذه الصفات فقد عين في تغيير ساعات الجيش الألماني وكان مسؤولاً جداً بهذه الوظيفة .

كتب في مذكراته بعد الحرب أنه على الرغم من خسارة الجيش الألماني فقد كان سبباً في نجاح هذا الجيش لبعض الوقت وفي بعض الجبهات وسبب ذلك هو أنه كان يغير ساعات الضباط والأفراد في تلك الجبهات .

هذا الضابط العجوز غولف الذي كان برتبة ملازم أول في بداية تعينه وأصبح مقدماً بسبب الخدمات التي قدمها وفي آخر الحرب كان برتبة عميد وفي جبهة سيناء عين رئيس أركان الجيش العثماني الذي كان يقاتل الانكليز مما أهله لاحراز رتبة باشا وعرف بعد ذلك بلقب فون غولف باشا .

وأما قيادة الجيش العثماني فقد أعطيت لحافظ يونس باشا الرجل الشريف والمتدين وكان من أول أعمال حافظ يونس باشا اقتناص فون غولف باشا عندما أتى بقبول الاسلام ديناً ولكن فون غولف هذا الكافر كان مصرأً على عدم القبول بدين الحق حتى أنه أثناء الهجوم الذي بدأ مع بزوغ الشمس في يوم ١٩ ربيع الأول وسائل الدماء الذي سببه هذا الهجوم . كان حافظ يونس باشا يحاول مع فون غولف كي ينطق بالشهادة . لأنه كان يحبه كثيراً ولا يريد أن يخسره بالمجان فقد كان يريد له أن يموت شهيداً .

ولكن أثناء الهجوم الانكليزي أضطر الجيش العثماني على الانسحاب وكان سبب الانسحاب من وجهة نظر حافظ يونس باشا هو أن غولف لم يكن مسلماً .

إذن هكذا بدأ الخلاف بين حافظ يونس باشا وفون غولف باشا
ومما زاد الخلاف حدة حول مسألة تعبير الشعارات وأشعل الخلاف أخيراً
مسألة ذيل الجدي .

حضر فون غولف باشا خطة هجوم وتنقّم هذه الخطة على إبادة
العدو إذا طبقت فجأة عليهم . وحسب الخطة سيهاجم الجيش العثماني
مؤخرة العدو في الساعة السادسة إلاّ تسع عشرة دقيقة . لقد كان
فون غولف باشا بحكم عمله ك ساعي يستخدم كثيراً أو قاتاً دقيقة .

و قبل حافظ يونس باشا خطة فون غولف باشا وحدد وقت
استعداد الجيش للهجوم في الساعة الخامسة إلاّ إحدى عشر دقيقة ،
استيقظ فون غولف في الساعة الثالثة ، حلق ذقنه ولبس ثيابه ولمع
حذاءه وكتب الرسائل التي سيرسلها إلى كل أفراد أسرته المقيمين في
المانيا وضع الخريطة في حقيبته ، أخذ منظاره وركب على الحصان وكان
السائق خلفه ، وذهب إلى المكان المحدد حسب الخطة للقائد مع بقية
العناصر وكان يعم صمت الموتى على هذه الصحراء الباردة لأن الصحراء
التي تكون شديدة الحرارة في النهار يكون ليها بارداً للغاية . كان الليل
يلم ستاره الأسود معلناً عن قدوم النهار . وعندما أتى إلى المكان المحدد
حسب أوامر حافظ يونس باشا لم يجد أحداً بانتظاره وأدرك أنه حصل
خطأ في التوقيت .

و خوفاً من أنه قد أتى إلى مكان خطأ بدأ يدقق بالخريطة على ضوء
بيل كهربائي . وحاول استعمال البوصلة مع وضعية النجوم من أجل
تعيين المكان وتأكد أنه لم يأت إلى المكان الخاطئ . كان فكه يضر بان
بعضهما من شدة البرد وبدأ يصرخ : « حافظ يونس باشا ١١١١ » ، ولكن
صرخاته لم تطرّ نتائجه أكثر من رجع الصدى في هذه الصحراء الفي
منتهية ولأن العدو قد سمع صوته فقد بدأ الرصاص يطلق عليه فقرر
فون غولف الواقع تحت وابل من الرصاص الهروب لأنه جرح وبصعوبة

انقد روحه الفالية . وعندما عاد الى المركز وجد حافظ باشا يشخر وهو يعطي إشارات في جهاز المورس أيقظ فون غولف حافظ باشا وسأله فائلاً : « ما هذا العمل يا باشا ؟ » فقال حافظ يونس باشا : منذ قليل صليت الفجر ونم ثم ماذا فعلت ؟ كيف توقظ باشا عثماني من نومه اللذيد ؟

قال غولف باشا :

« يجب أن يكون قد تم الهجوم » فقال حافظ باشا : « انظر ها هي خطتك س يتم الهجوم بعنابة الله في الساعة الخامسة إلا إحدى عشر دقيقة ، وسيدمر الكفار أجمعين وسينتصر دين الاسلام هل دهشت ؟ ». عندئذ أظهر فون غولف ساعته فائلاً : « ما الذي تقوله يا باشا إن الساعة الآن السادسة ولقد مضى زمن الهجوم » . فقال حافظ يونس باشا : إن ساعتكم باطلة لأنها افرنجية ولهذا فنحن نستعمل ساعات شرقية » . رفع فون غولف شعره وقال : « يا إلهي في الخامسة إلا إحدى عشر دقيقة على النظام الشرقي يكون الوقت ظهراً فلو حصل الهجوم وقت الظهيرة فالجنود سيموتون من حرارة الجو » .

وبدا النقاش بين البشا العثماني والباشا الالماني . الافرنجية هي الباطل . لا بل الشرقية هي الخطأ وهكذا اشتعل الخلاف ولما حوال غولف باشا الساعات التي تخص الجيش العثماني ضباطاً وأفراداً الى التوقيت الافرنجي مخالفًا الشريعة اشتد غضب حافظ باشا وهجم عليه فائلاً : « الساعات العثمانية ثابتة لاتخالف الوقت ، ولذلك يجب أن تحوال ساعتك الى التوقيت العثماني . وفي أثناء هذا النقاش هاجم جيش العدو المركز وحاصروه ولذلك فقد اضطر الباشوان أن يتخلوا عن أربعة آلاف جندي وحملة أربعة حيوانات أرزاقي وتحميل ثمانية جمال أسلحة نارية كي ينجوا بأنفسهم .

بعد هذا التاريخ ومن كثرة ما فكروا بقضية الفرنجة والشرق فقد أصبح فون غولف باشا يذكر الانسحاب عندما يكون الحديث عن الهجوم

ويذكر الهجوم عندما يذكر الانسحاب أما حافظ باشا كان يذكر الاستراحة عندما يذكر الهجوم ويدرك الهجوم عندما تذكر الاستراحة وبذلك جبت رمال الصحراء بدماء العساكر المفقودين .

كان يوجد الجدي والجمال والحيوانات وقد كان يرى فون غولف أنهم أحضروا الجدي من أجل الاحتياط . فإذا ما نقص الطعام عن الجنود فسيذبحون الجدي ويقدمونه طعاماً للجنود . أما حافظ يونس باشا فقد اعترض قائلاً أن :

الجدي ليس من أجل الطعام بل من أجل تحديد الجهات ولكن فون غولف باشا دهش متسائلاً : « لا تستعمل البوصلة؟! » .

ورغم فون غولف بعد ذلك معرفة كيفية استخدام الجدي لتحديد الجهات ولذلك فقد شرح له كالتالي :

« لقد خلق الخالق للجدي ذيلاً قصيراً ، ولم يغطِ مؤخرته ولذلك تبقى المنطقة مفتوحة مما يؤدي وصول البرودة إليها ولذلك فإن الجدي يوجه مؤخرته باتجاه الشمال الباردة لكي لا يشعر بالبرودة أي تكون مؤخرته باتجاه الجنوب وقرنيه باتجاه الشمال ، إن المولى خلق كل شيء وجعل سبباً وراء خلقه أما ترك هذه المنطقة عند الجدي مكشوفة فسببه تحديد الجهات للإنسان » .

ولما سأله فون غولف باشا متعجبًا « لماذا لا تستخدمون البوصلة؟! » فأجابه : « لا يجوز الاعتماد على العبد لأن العبد خطاء ، فلنفرض أن البوصلة معطلة إلا نسيئ الاتجاهات أما الجدي فلا يمكن أن يوجده مؤخرته المكشوفة باتجاه الشمال » .

بدأ خلاف جديد بين البشا العثماني والبشا الألماني على تحديد الجهات إثر تعرض الجيش لهجوم الأعداء . حافظ يونس باشا لا يعتمد

في تعين الجهات إلا على ذيل الجدي لأن البوصلة قد تكون معطلة ولكن لا يمكن لأي جدي أن يكون معطلاً .

فالباشا يقول : « الدنيا تدور ونحن ندور فوقها فكيف لإبرة البوصلة أن تبقى بنفس المكان متوجهة نحو الشمال ؟ » .

فون غولف باشا على عكسه تماماً فهو يعتمد على البوصلة ولا يرى حاجة للاعتماد على الجدي وفي ساعة الهجوم لم تتفق إبرة البوصلة مع ذيل الجدي فكل منهما يعطي اتجاهها معايرآ لآخر ولكن حافظ باشا أعطى أمراً للجيش بالهجوم بناء على ذيل الجدي وعندما كان الجيش في طريقه للهجوم سمعوا صوتاً من خلفهم « هر رررر » ، وبعد ذلك أدركوا أنهم ينسحبون بدل أن يهجموا واكتشفوا أيضاً أن العدو يهجم عليهم من الخلف وبناء على هذا قال فون غولف باشا : « انظروا ما هي نتيجة اعتمادكم على ذيل الجدي » .

فبدل أن تهجموا نحو الجنوب انسحبتم نحو الشمال

لكن حافظ يونس باشا قال : لا يمكن وجود خطأ في ذيل الجدي . فذيل الجدي لا يخطيء أبداً . إن أصل الخطأ موجود في بوصلة الانكليز فقد أخطأ الجيش . فبدل أن يهربوا أمام هجومنا نحو الجنوب اتجهوا مهاجمين نحو الشمال . « الخطأ كامن في الانكليز وليس في ذيل الجدي »

لقد أدى انسحاب الجيش المدعاة إلى خسائر كبيرة حتى وقفوا على خط الدفاع . وفي النهاية اعتمدوا على ذيل الجدي من أجل عملية الانسحاب فوجدوا أنفسهم بكمال جيشهم في منتصف جيش الانكليز ولما قرروا الانسحاب من جديد هاجموا الانكليز .. ولما قال غولف باشا « هذه نتيجة استخدام ذيل الجدي بدل البوصلة » .

فاعتراض حافظ باشا وقال بأن الانكليز هم الذين يخطئون في تحديد الجهات . وبعد هذه الحادثة قال فون غولف باشا . لا أجد لي

مكاناً بين جماعة يستخدمون ذيل الجدي في تحديد الاتجاهات قدم استقالته وعقد العزم على العودة الى بلده . وانتقلت هذه الحادثة من التاريخ الى يومنا هذا والمناقشة موجودة بين المؤرخين وحول هذا الموضوع فالاوربيون يرون ومن دافع عداوتهم لنا انه عيب على حافظ يونس باشا استخدام ذيل الجدي في تحديد الاتجاه ولكن اليوم نستطيع ان نقر بأن الخطأ ليس في ذيل الجدي بل في البوصلة التي كان يستعملها الانكلزيز أو بسبب وجود معدن قریب من الجيش مما ادى الى اتجاه الابرة نحو جهة هذا المعدن وهناك احتمال آخر أن الجدي الذي كان مستخدماً في تحديد الاتجاهات كان مريضاً وكانت حرارته مرتفعة جداً ولهذا فقد وجه الجدي المسكين مؤخرته باتجاه الشمال لكي يخفف من حرارته .

نأمل من خلال هذه المناقشة والمطالعة بهذه القصة أن تكون قد بينما الخطأ الفادح الواضح جداً الذي ارتکبه المؤلفون الغربيون .

هل يوجد مثل الخضار

منذ اول يوم من زواجنا وزوجتي تطالب بطنجرة بخارية :

لا يوجد اي سبب لعدم إحضارك طنجرة بخار سوى قلة النقود ،
وزوجتي تشرح لي باستمرار افضل طنجرة البخار :

— اوفر الزمن ، ان أضيع ساعات طويلة في المطبخ من اجل الطبخ
تنضج الطبقة بسرعة اكبر باستعمال طنجرة البخار :

— هذا صحيح يا روحني .

— ونوفر نقوداً ايضاً ، فإذا اشترينا طنجرة بخار سبق مصروف
الفاز علينا .

— معك حق يا حبيبي .

— الطبع في طنجرة البخار سيكون الذا لانه يحفظ البخار في الداخل
ويسع خروج طعم الخضار واللحمة .

— تقولين الحقيقة يا عنيزتي .

كانت تغضب من مجاملتي هذه فلو قلت لها وهي تطالبني بطنجرة
البخار :

« كلام اشتريها فطنجرة البخار لا تنفع لاي شيء » لصمتت او
كانت في اسوأ الحالات تحاول إقناعي بتقديم اوصاف الطنجرة وأفضلها
ومن أجل إقناعي اتبعت أسلوباً جديداً .

— إنه أمر معيب للغاية ، إذ لا يوجد بيت آخر غير بيتنا لا يملك طنجرة بخار ، كل معارفه يملكون طنجرة بخار في بيوتهم ولا يوجد في بيتي طنجرة .

— أنت محققة يا حبيبتي .

مضت مدة طويلة على هذه الحال بعد ذلك جربت أسلوباً جديداً :

— حتى الباعة الجوالون يملكون في بيوتهم طنجرة بخار ، أنا لا أطلب منك سيارة أو ثلاثة ، كل ما أطلبه هو طنجرة بخار إنها أرخص شيء .

— كم أنت محققة يا حبيبتي .

إنه لمن الأفضل أن تطلب سيارة إذ أنتي سأقول لها وقتيذ :

« لا يوجد معي نقوداً ولا استطيع أن أشتريها » وينتهي الموضوع ولكن من الصعب على الزوج أن يقول لا أملك نقوداً تكفي الشراء طنجرة بخار .

ونحن نتناول طعام العشاء في إحدى الامسيات قالت بشكل مفاجئ

تعلّم ؟

— قلت .

— ماذا ؟

— اليوم يصادف الذكرى السابعة لزواجنا .

— لا ... هذه هي السعادة الزوجية يا حبيبتي لم نشعر بمرور سبع سنوات على زواجنا شيء مدهش .

قالت :

— نعم إلهي مدهش أن تمضي سبع سنوات دون طنجرة بخار .

غليت الفاصلين أربع ساعات على الغاز ، ولو أنها نملك طنجرة بخار لكتن طبختها خلال نصف ساعة .

— فعلا يا حبيبتي ... فعلا يا روحـي .

— أنت تخرج الإنسان عن طوره .

— ولماذا يا حبيبتي ؟

شربت زوجتي كأس ماء لكي تبلغ لقمة وفقت بحلقها وكادت تخنقها

في إحدى المرات أعجبت كثيراً بمقالة كتبتها للصحيفة التي أعمل بها
ومن أجل معرفة رأي زوجتي بالمقالة أعطيتها إياها وقلت :

— اقرئيها وأعطيها رأيك فيها .

— كل ما تكتبه خطأ ، سببـت لي هذه العبارة أول جرح خلال حياتنا
الزوجية فصرخت قائلـاً :

— لماذا ؟

— لأنك قبل كل شيء لست إنساناً متمنـداً .

— إنك تحقرـيني ، لا تشعـرين بذلك ؟

— إنه ليس تحقيقاً بل حقيقة ... الإنسان المتمدن هو الإنسان الذي
يستعمل الوسائل التقنية الموجودة في أيامه ويستفيد من خبراتها . كيف
يمكن لإنسان أن يفكر بعقلية القرن العشرين وهو يستعمل وسائل القرن

الناسع عشر ؟ انه لم المؤكد ان الإنسان الذي يستعمل الآلة الكاتبة متطور عن الإنسان الذي يستعمل الريشة ، إن الآلة التي يستخدمها الإنسان هي التي تحدد شخصيته . تغير أفكار الإنسان وتطور بعدها الآلة التي يستعملها في العصر الذي يعيشه .

فإذا أدعى أحدهم المدنية وقال أنه آنسان متمدن أسئلته :

«أ يوجد في بيتك ثلاثة ، تلفزيون ومكنسة كهربائية ؟ أملك سيارة ؟ اكتب بواسطة الآلة الكاتبة ؟» فإذا أجاب بالنفي يكون كاذب فيما أدعاه فلا يمكن أن يكون رجلاً متمدناً من لم يستعمل هذه الآلات . فبأي حق تكتب المقالة وتحاول أن ترشد الآخرين بها .

لأول مرة أشعر بالحزن لأنني تزوجت من امرأة مثقفة .

وفي اليوم التالي اشتريت طنجرة بخار فأحضرتها إلى البيت . وقلت .

ـ ها نحن قد دخلنا إلى عصرنا بواسطة طنجرة البخار يا حبيبي مباركة إنشاء الله . أؤمن أنه سيطرأ تغير على تفكير المرأة التي تستعمل طنجرة البخار هذه . حقيقة أنا متأكد من ذلك إذ أنه لا يمكن أن يستوي الذي يستعمل طنجرة البخار والذي ينفع نار الحطب تحت الطنجرة العادية .

مررت أيام وشهور وزوجتي لم تستعمل طنجرة البخار . والآن جاء دوري في الكلام قلت :

ـ لماذا لا تستعملين طنجرة البخار ؟

ـ لا شك ساستعملها ولكن لن استعملها الآن فقط .

— يا حبيبي لماذا لا تطبخين بطنجرة البخار ؟

— سأطبخ .

— كانت تسكتني بعدة كلمات ولكنني لم أدعها وشأنها .

— يا روحى لماذا لا تستعملها ، لا أعتقد أننا اشتريناها للزينة .

كنت أتحدث بنفس الموضوع دائمًا :

— كان يمكننا أن نذهب ونشاهدها في واجهات محلات .

— المدنية لا تعنى مشاهدة الوسائل التقنية بل استعمالها .

وفي النهاية قالت زوجتي :

— إن طناجر الألمنيوم والنحاس تفي بحاجتنا الآن .

— ما دام الأمر كذلك ... لماذا اشترينا طنجرة البخار .

— يا روحى لن استعملها لأنى أخاف عليها من أن تعطل وتعتقق .

لا أعتقد انه باستطاعة الأمم المتقدمة صناعياً فهم كلام زوجتي .

عندما أحضرت المدعي أول مرة الى بيتي لم المس مفتاحه لعدة أيام
خوفاً من أن يتعطل .

أحد أصدقائي اشتري هاتفاً فبدأ يتصل بجميع الأرقام التي معنـى
رقمًا رقم .

لم أعد ألح على زوجتي أن تطبخ لنا بطنجرة البخار ولكن أحياناً
أقول لها :

استعملني طنجرة البخار فقد حان استعمالها .

وفي إحدى المرات قالت :

— الا تفهم : إني أخاف كثيراً .

قالت :

— ما تخافين ؟

— إذا انفجرت ستحدث مصيبة .

يقولون بأن الناس عندما شاهدوا السيارة تمشي في الشارع لأول مرة اعتقادوا بأنها حيوان غير معروف فقدموا لها العشب كي تأكل .

في يوم من أيام الأحد كانت طبختنا لا تكفيانا ومع ذلك أتى إلينا ضيوف في موعد اللقاء في يوم سعيد كهذا قررت زوجتي استعمال طنجرة البخار ، كانت تعمل في المطبخ بينما أحاول تسلية الضيوف وبعد حوالي نصف ساعة قالت زوجتي أرجو أن تأتي قليلاً .

ذهبت إلى المطبخ فقالت زوجتي التي كانت تسبح في بحر من العرق:

— منذ الصباح وأنا أحاول فتح هذه الطنجرة ولكن دون فائدة ، حاولت فتح غطائي الطنجرة المطبقين على بعضهما حضنت الطنجرة وحاولت فتحها ولكن لم أستطع فتح الطنجرة أكثر من مليمترین أو ثلاثة فقلت زوجتي :

— ماذا سنفعل الآن ؟

— لا أعرف .

— لنسال الضيوف .

— من العيب ان نسأل الضيوف سوف يقولون لم يستطيعوا فتح
طنجرة بخار .

— ولم العيب ... أنا أسألكم .

أخذت الطنجرة المقلقة الى الضيوف وقالت :

— هل تعرفون كيف تفتح هذه الطنجرة ؟

قالت إحدى الضيوفات :

— آ ... إنها موديل آخر تختلف عن طنجرتنا .

قالت إمراة أخرى :

— إنها تشبه طنجرتنا ...

ولكنها لم تستطع فتحها وزوجها أيضاً لم يستطع فتحها .

— الا يوجد كتلوك ؟

— نعم ...

ولأن هذا الكتلوك يشبه غيره من الكتلوكات التي تكتب عادة بلغة
لا يستطيع الإنسان فهمها فقد فسره كل شخص على هواه ولهذا وجدنا
أنفسنا أمام سبع طرق لفتح الطنجرة ، ومع ذلك لم تفتح رغم أننا جربنا
الطرق السبعة .

فقالت زوجتي للمرأة التي لديها طنجرة من موديل طنجرتنا :

— كيف فتحتم طنجرتكم ؟

قالت المرأة :

نحن اشتريناها مفتوحة لأن أحد الجيران الذي أخذ طنجرة مغلقة
قال لنا :

« خلوا حزركم ها ... واشتروا طنجرة مفتوحة » ونحن عملنا
بنصيحته .

- أو لم تغلقوها في بيتكم بعد ذلك ؟

دهشت المرأة وقالت :

ـ طبعاً نغلقها ولكن طنجرتنا البخارية اعتادت على ذلك فأصبحت
سهلة الفتح والاغلاق .

حركنا الفطائين الى هذه الناحية والى تلك واستطعنا بالنهاية فتحها.
اخذت زوجتي الطنجرة وذهبت الى المطبخ أما أنا والضيوف فقد دخلنا
في حديث عن مساوىء صناعتنا المحلية .

قال أحد الضيوف :

ـ الصناعة الاوربية مختلفة ، بحركة واحدة تفتح وبحركة
معاكسة تغلق .

- وقال آخر :

- وصناعتنا لا تفتح ولا تغلق .

دخلت زوجتي والطنجرة بيدها : وقالت :

- كيف يوضع مفتاح البخار ؟

ومن جديد عدنا إلى الكتلوك وقرأناه وبذلت جهود استثنائية إلى الأشكال المرسومة في الكتلوك ولكن لم نعرف المكان الذي تضع فيه مفتاح البحار .

قال أحد الضيوف :

— لو لم تقرأ الكتلوك لربما المفتاح وانتهينا .

أصبحت الساعة الثانية عشر ولم توسع الطنجرة على النار .

قالت زوجتي :

— قولوا لي بربكم ... كيف تستعملون هذه الطنجرة .

قالت امرأة عجوز يا ابنتي بالنسبة لي فقد أخرجت البلاستيك الذي في الطنجرة خوفاً من أن تنفجر وأستعملها الآن مثل آية طنجرة عادية .

— هل تطبع بسرعة في هذه الحالة ؟

— لا لا ، بل تأخذ وقتاً أكثر من الطنجرة العادية ولكنها تبقى طنجرة عادية على آية حال .

سالت زوجتي فيفة أخرى :

— أيوجد لديكم طنجرة بخار ؟

— ٢٢ ... طبعاً يوجد .

— وكيف تستعملونها ؟

— إن كنت تريدين الحقيقة يا حبيبي فأنا اشتريتها في السنة الماضية وحتى الآن لم أستعملها . بقيت كما هي .

واعترفت ضيفة أخرى بأنها تستعمل طنجرتها البخارية كوعاء للماء.

أصبحت الساعة الواحدة فقلت لزوجتي :

ـ أسلى الجران فكلهم لديهم طناجر بخار .

ذهبت زوجتي الى بيت الجيران وبعد نصف ساعة عادت حزينة
وبيدها الطنجرة وقالت :

ـ منور خانم تستعمل الطنجرة دون رفع غطائها . وبرين خانم
لا تستعمل طنجرتها من الخوف .

وحورية خانم طبخت بطاجرة البخار مرة واحدة دون رفع غطائها
ومنذ شهرين والطعام موجود في الطنجرة .

ـ حسيناً وماذا يستعمل ؟

ـ ربة منزل جيرانا الدين يسكنون في الطابق العلوي ذهبت في رحلة
اصطياف ولا يوجد في البيت غير زوجها لاذهب وأسأله :

أخذت الطنجرة وذهبت الى جاري الذي في الطابق العلوي وقلت له:

ـ عفواً ارجو الا تكون قد سببت لك اي إزعاج . لا يوجد لديك
طنجرة بخار ؟

ـ طبعاً موجودة .

ـ فسألته بسرور :

ـ أستطيع أن ترشدني إلى كيفية استعمالها ؟

قال الرجل :

— تفضل الى الداخل لحظة من فضلك .

اخذني الى المطبخ ، وضع يده على كتفي وأشار الى السقف باليد الأخرى وقال :

— انظر ...

كان يوجد في السقف مجموعة من الخطوط المجردة المكونة من الالوان الاصفر والاخضر والاحمر ولانني ظننت بأنها إحدى أعمال الديكور قلت :

— جميل جداً .

— معنى ذلك أنها اعجبتك .

— نعم .

— زوجتي مبدعة ، هذا اللون الاحمر هو رب البنودرة واللون الاصفر بطاطا وأما القسم الذي يشكل الخلفية فهو لحمة .

— برافو فعلاً انه ديكور مطبخ رائع .

— إذا نسبت زوجتك طنجرة البخار على الفار فإنكم ستحصلون على ديكور بهذا الجمال .

شكته وخرجت من عنده .

أعطيت طنجرة البخار لزوجتي وقلت لها « افعلي ما بدا لك » .

ولقد استطاعت زوجتي باستخدام ذكائها تركيب مفتاح البخار على الطنجرة . ثم وضعت الطعام في الطنجرة بناء على تعليمات الكتلوك وبعد ذلك وضعتها على النار .

وقف الضيوف في المطبخ وينتظرون بفارغ الصبر أيام زوجتي
فقد انقصت كمية الغاز المتدايق الى أبعد حد كي تخفف النار خوفاً من
انفجار الطنجرة . كانت النار حقيقة تحت الطنجرة للدرجة التي اعتقدت
أن الطبخ يحتاج لسنة على الأقل حتى ينضج في هذه الائتمان قالت إحدى
السيدات :

— خفي النار قليلاً والا ستتفجر الطنجرة .

أدانت زوجتي مفتاح الغاز وخففت النار قليلاً فقالت عجوز من
بين الضيوف .

اعتقد بأنه إذا رفعت الطنجرة عن النار قليلاً سيكون أفضل لأنه
سيخف تأثير النار عليها . والإنسان لا يعرف ساعة النحس .

قلت :

— ولكن لن ينضج الطعام .

— آآآ .. إنها بخارية ، خلال ثانية واحدة تطبع الطعام .

وضعت زوجتي قاعدة تحت الطنجرة فرفعت عن النار قليلاً ،
لقد كان الاضطراب واضحًا علينا جميعاً ، ونحن ننتظر انفجار الطنجرة .

— اصروا لصوت البخار ... عندما ترمرة أطفي النار تحت
الطنجرة .

— أنا أخاف .

— عندما ترمي أرقمي الطنجرة .

— إن بخار هذه الطنجرة لا يزمر بل يصقر .

قال أحد الضيوف :

ـ أرجو ... ان تخفضوا قوة النار قليلاً اخاف ان تنفجر .

كانت زوجتي تمسك مفتاح الغاز لكي تخفض قوة النار عندما سمعنا صوت « ظر ر ر ر » فرمي زوجتي نفسها على الجدار أما بقية الضيوف فقد هربوا في كل الاتجاهات وعندما علمنا أن الصوت هو صوت جرس البيت لرتحنا كثيراً ، كنت اقف عند باب المطبخ فقلت لزوجتي

ـ ابعدي قليلاً .

ـ بعد قليل اخرج صوت « باط » كاد أحد الضيوف على ان يرمي نفسه من balkon .

ـ لا شيء يا أخي أحد الاشخاص اسقط كتبه .

ـ لم لا تخفضوا النار قليلاً تحت الطنجرة .

ادارت زوجتي مفتاح الغاز قليلاً . وانتظرنا صفير البخار من الطنجرة . وأصبحنا نخاف من كل صوت نسمعه ومع مرور الزمن انقلب الجد الى مزاح وبدا الضيوف يخيفون بعضهم البعض بإخراج اصوات مفاجئة .

مضت نصف ساعة ، اربعون دقيقة ولكن الطنجرة لم تصفر كدنا نموت جوعاً .

قال أحد الضيوف الذي لم يعد يصبر على الجوع .

ـ لقد نضجت لننزلها عن النار .

- لكنها لم تصفر .

- لا شك أن بخارها معطل ، فلو كان حجرًا داخل طنجرة البخار
لنضج .

وعندما انزلت زوجتي الطنجرة عن النار صرخنا بصوت واحد
ـ « آخ » النار مطفأة تحت الطنجرة ، خفضت زوجتي النار شيئاً فشيئاً
حتى أطفأتها دون أن تدرك ذلك . فيجلسنا والضيوف تأكل خبزاً مع
الجبين والزيتون لم نصبح أصحاب طنجرة بخار إلا بعد ستة أشهر من
شرائها لأننا بعد ستة أشهر تعلمنا طريقة استعمالها .

حقيقة ان طريقة تفكيرنا تغيرت وتطورت باستعمال طنجرة البخار .
اما الآن فقد بدأت زوجتي بشرح افضال ومميزات الفسالة الاوتوماتيكية .

جزءة باشا متقادع

— انظروا إلى ... تعالوا إلى هنا ، ايات كل الموجودين ، اعطوني
إياها ... هيا ماذا تنتظرون ؟ اعطوني إياها بسرعة ...

— ماذا تريده ؟

— اريدتها ياحبيبي . — وماذا تريده ؟

— ما اسمها ؟ إن اسمها على طرف لسانى ولكننى لا استطيع تذكره .

— أتريد ادوينتك ؟

— لا ياروحي ، اريدتها ... التي كنت ألبسها منذ زمن .

— قبعتك ؟

— لا ... لا توضع على الرأس ، تلبس بالارجل .

— ما هو شكلها ؟

— أقول لكم إنها تلبس بالارجل .

— أبو ١١١١ ... تريده جرابك

— ياروحي ، إبني البس جرابي كما ترى ... آه ياروحي لا استطيع
تذكرة اسمها ، ألم تذكريها أنتم ؟

— تقول إنها ليست جراب ؟

— لا يلبس شيء بالرجل غير الجراب ؟ الذي أقصده شيئاً يلبس
فوق الجراب .

— ٢٠٠ . . . تريد شحاطك ؟

— لا ليس شحاطاً وهل ينزل إلى الشارع بالشحاط ؟ التي أقصدها شيء ويمكن أن تلبسها وتخرج إلى الشارع بها .

— قل إنك تريد حناءك .

— لا .

— كلاش ؟

— لا ليس كلاش .

— شحاط ، حداء ، صباط .

كلهم بنفس المعنى ، الذي أقصده طويل جداً .

— ١٢١ . . . تريد بوطك ؟

— أي بوط ! الذي أقصد له قصبة أطول من قصبة البوط .

— فهمنا تريد بوطك ذو القصبة الطويلة .

— لا ليس هو ما أقصده ياسيدى .

— حسناً . . . ما اسمه ؟

— لو أتذكر لقلت اسمه . . . عندما ينتعله الإنسان يصل حتى ركبته .

— هل تقصد العجزمة .

— آخ . . . نعم ، أحضروا لي جزمتي .

— وهل كان لديك جزمة ؟

— لدى جزمة ؟ طبعاً لدى جزمة ، ألم أكن ألبس جزمة فيما مضى ؟

يوجد صور كثيرة لي وأنا أنتعل الجزمة .

— لم نرك تلبسها .

— وهل رأيتم شيئاً في هذه الدنيا ؟ مازلتكم أطلاعاً

— يعني أنك كنت تلبس جزمة .

— طبعاً كنت ألبس جزمة ، ولكن منذ زمن بعيد جداً ، منذ أربعين أو خمسين أو مئة عام .. لا اذكر ، إيه يازمن ، كنت ألبس جزمة ولكن أية جزمة ؟

لم يكن في زمني أي رجل يعرف كيف يلبس جرمته أكثر مني .

— هذا فيما مضى ؟

— ماذا تعني ؟ هل تعتبر الأربعين عاماً زمناً قديماً ، لقد ولد عيسى قبل ١٩٦٤ عاماً ، فكر قليلاً ؟ تجد وكأنه البارحة ... هيا هيا احضروا لي إلـ ... ماذا كان اسمها ؟

— ماذا قلتـ ؟

— نعم نعم ... احضروا جرمتي أريد جرمتي ، هيا ...

— وماذا ستفعل بها ؟

وماذا يفعل بها ؟ طبعاً سألبسها ، هيا بسرعة احضروا جرمتي .

— أين هي ؟

— ومن أين لي أن أعرف ؟ أبحثوا عنها تجدوها ، لاشك ستكون

في البيت .

— نخسي أن تكون قد نسيتها في مكان ما .

— كلا ياسيدى وهل أنسى جزمتى التي البسها ؟! .. ماذا تنتظرون ؟ هيا جدوا جزمتى ، النسوة والأولاد والاصهار والكتاب والخدم ، والطباخون بذروا يبحثون عن جزمه كانت تلبس منذ اربعين عاماً ، ولكنهم لم يجدوا الجزمة ولا شيء يشبه الجزمة .

— أين كان يبحث في الصندوق الموجود في غرفته .
— أين كان يحبـء أشياءـ القديمة ؟

— لم تجـدوـهاـ في صندـوقـ الخـرـدـوـاتـ ؟

— لنبحث في خزانـتهـ .

— أخـشـىـ أنـ تـكـوـنـ قـدـ بـقـيـتـ فـيـ الـبـيـتـ الـقـدـيمـ .
— أبحـثـواـ تـحـتـ الـكـرـاسـيـ وـالـمـقـاعـدـ .

— في خزانـةـ المـطـبـخـ .

— ومن سـيـضـعـهاـ هـنـاكـ ؟

— لا تـوـضـعـ هـنـاكـ .

— هل أـعـطـيـناـهاـ لـبـائـعـ الـأـشـيـاءـ الـقـدـيمـ ؟

— أـبـحـثـواـ فـيـ الـخـرـجـ ، يـوجـدـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ فـيـ الـخـرـجـ .

- غير موجودة في الخرج . اذن لا شئ أنها ستكون في القبو ...
- وجدت جزمة بلاستيك مفردة غير أنها مليئة بالثقوب .
- لا ياروحي لا يمكن أن تكون هي .
- أخشى أن تكون في الغرفة الموجودة في الحديقة - لا . لا .
- أين ستكون اذا ؟ لم نجدها في أي مكان .
- في خزانة الأحذية
- بحثت هناك ولم أجدها - وهل بحثتم في الـ . . . ؟
- نعم - ها هي .
- لا ياروحي هذه ليست جزمتي . . . وهذه جزمة نسائية .
- وجدتها .. وجدتها !! . . .
- أين كانت ؟
- أخرجتها من تحت أكياس قديمة كانت موجودة في السقيفه « العلية » .
- احضروا جزمتي .
- لم يبق فيها شيء يلبس ، مقطعة بالواسخ والغبار .
- امسحوها لموها
- في داخلها عنكبوت .

- نظفوهما .

- لا تلبس ، لا يوجد عليها بويار .

- ادھتوها .

- لقد بيسست وأصبحت مثل الخشب .

- زيتوها

- تمزقت قصبتها - ليكن .

- انزع سافلها .

- دقوا المسامير فيه

- وهل ستلبسها - طبعاً

- هل ستدخل رجلك فيها ؟

- كلا ... وماذا سيدخل فيها هاه .. ؟

- سنشترى لك بدلاً عنها

- لا يمكن لقد اعتادت رجلي عليها .

- هيا لنرى ... أحضروا جزمتي ... أعطوني فردة اليسار ..
هيا .. يا الله بسم الله ... لحظة لحظة ... لا تدفعوني .. ادفعوا
الجزمة ... هيا كلنا مع بعض ... هوب هوب ... هيا ... هوب
هوب هوب ... لقد دخلت قليلاً .

- إنك تلبس الجزمة بالخطأ ... هذه الفردة للرّجل الآخرى .

— آخ يا إلهي ... لقد نسيت ، طبعاً هذه رجل اليمين ابن رجلي
اليسار ؟ أقصد الفردة اليسارية أحضرها إلى هنا .. جيد .. هي من
البداية لا تدفعوا بهذا الشكل إنكم تقولونني كثيراً .. كم كنت البسها
بسهولة ... كنت البسها بلمح البصر إيه يا زمن لقد خرب الزمان هيا
ادفعوا ، لا تدفعوني أنا يا شباب ادفعوا الجزمة — قليلاً بعد هيا ..
واحد — اثنان — هوووب .. لا تدفعوني نحو الجزمة بل ادفعوا
الجمزة بحوي ..

— لقد ضاقت

— من الذي ضاق ؟ رجلي ؟

— الجزمة ..

— لا مفر لهذه الجزمة ، سأبساها مهما حصل

— يا إلهي إنها ضيقـة جداً ..

— ليكن

— أيسواه .. لقد تمزقت

— لتمزق .. لماذا لا ت يريد أن تدخل ؟ أخشى الا تكون هذه هي
جزمتسي ..

— أقسم إنها لك ..

— فعلاً إنها لي .. قليلاً بعد هيا .. أفضل .. مستاعدة أكثر
يا شباب .. ليس بهذا الشكل .. إنكم تقولونني ... ألم تروا في
حياتكم كيف تلبس الجزمة ؟ الحمد لله .. لقد دخلت واحدة ، هي
اهيا أعطوني الأخرى ..

ـ ولكن يبقى كاحلك في المناجر .

ـ ليبقى المهم ان يدخل المشط ؛ هيا

ـ لقد استعصت

ـ ليكن ... ادفعوا قليلا ... امسكوا جيدا ... مساعدة
يا شباب ، دخلت ... تمام امسكوا يدي كي امشي قليلا ... امان ...
اخ آخ ... انها تضفط على رجلي آخ اخلعوها من رجلي هيا
 يوجد فيها مسمار ، لقد دخل في رجلي هيا اخلعوها ...

ـ لا تخلع .

ـ وكيف دخلت ... إنها تولني اخلعوها فورا .

ـ لا تخلع

ـ مزقوها

ـ أين السكين ؟

ـ الا يوجد شفرة ؟

ـ هل تنفع ماكينة الحلاقة الكهربائية ؟

ـ اعطني خنجرا .

ـ وهل ينفع الساطور ؟

ـ هل يوجد ساطور ؟

ـ كلاما لا يوجد

— مزقوها بآيديكم

— اوف .. أمان ..

— لقد خرجمت

— آه الحمد لله ... اوف اوف ... لقد كدت اموت ، هيا
اطلبوا الطبيب .. ليأت الطبيب ... اتصلوا هاتفياً بالطبيب
..... هيا

رجل الأعمال الذي يهوى الشعر

كان ذلك في العمر الذي أطلق فيه علينا لقب شعراء ، وكان آخر يوم في الشهر ولم اكن املك يومئذ سوى ليرتين ونصف الليرة ، ويعني ذلك أنني مجبّر على التوفير كثيراً ، مع أنه كان لـ .. «الليرتين والنصف» قيمة كبيرة في الأيام التي كنت فيها شاعراً . خرجت من العمل وذهبت إلى البيت ، وكانت حدث العهد بالزواج ، قالت زوجتي بصوت حزين -

لهم أتمنى أن تطنّ أذناها ، الله أعلم أين هي الآن -

- حبيبي حسن ، أرجوك لا تذهب اليوم إلى أي مكان ، دعنا نتناول طعام العشاء سوية في البيت .

ففكرت بالنقود التي معي وقلت لها وكأنني قبلت رجاءها :

- كما ترين يا حبيبتي .

● كان في تلك الأيام يجتمع فنانو انقرة في مقهى يدعى / دفنن باشى «رأس الجمل»/يسكرون ويرؤون الشعر ، ثم يتشارحون ويتصاربون . لقد ترك معظم الكتاب والشعراء المشهورين ذكريات في مقهى/دفنن باش/ .

● بدأ مللي يزداد شيئاً شيئاً وأنا جالس في البيت ، لأنني لم أذهب إلى المقهى ، اعتقاد باني سأصاب بالجنون إذا لم أقرأ القصيدة الجديدة التي كتبتها للأصدقاء ، كتبت أردد في نفسي مقوله :

«الله يلعن قلة النقود» ، التفت إلى اليمين ثم إلى اليسار ، تأوهت ، تأففت ، وفي النهاية ادركت زوجتي الحالة التي أمر بها ... فقالت :

— حبيبي حسن ، إذا كنت تشعر بالملل وأنت جالس في البيت فلا ضير من ذهابك الى المقهى لو أني املك النقود لما انتظرت دقيقة واحدة ولهذا صرخت :

— إنك ترفضين الليلة الوحيدة التي قررت فيها المكوث في البيت .

— بكت زوجتي دون أن تشعرني بذلك ، وبعد قليل بدأت بتحضير المائدة وهي تغبني .

اصدقائي كثيرون ... آه لو يأتي أحد هم ويقول « هيَا ، لنذهب الى المقهى » ولكن الأوباش لا يأتون ، عندما يكون لدى نقود ادعوهם واشربهم خمرا حتى يسقطون تحت الطاولات ، إبني مخطيء بعض الشيء ، فلو ذهبت الى المقهى لدعاني أحد الأصدقاء أصحاب الضمير الى كأس من النبيذ ولكن كيف قبلت اقتراح زوجتي بأن أبقى في البيت ؟ كما أني لا استطيع ان أقول لزوجتي التي تحضر المائدة وهي تضحك وتغبني بفرح لأنها ستتناول الطعام مع زوجها ... لقد ملت أريد ان اذهب ، لا استطيع ان اتراجع عن كلمتي او ان اكسر خاطرها .

آه لو يأتي أحد الأصدقاء يقول « هيَا يا حسن » آه لو يأتي ...

عندئذ لن تستطيع زوجتي ان تفتح فمها بكلمة واحدة .

لحظتها طرق الباب .

صرخت بفرح :

— من هذا ؟

قالت زوجتي : — جاء حيدر بك .

— آه ، كمال حيدر ؟ .. ، أني أعلم بأنه اكبر شاعر في العالم ... حيدر البطل ...

ونزلت الدرج مثنى مثنى وحضرت كمال حيدر وكأنني لم أره منذ
سنين علماً بأننا افترقنا في الأمس على باب المقهى .

— حبيبي حيدر ... تعال ... تعال يا أخي ... تعال يا روحـي .

فقال كمال حيدر : — دعك من هذا ... ماذا سأفعل في البيت في
وقت كهذا ؟ هيا لنخرج .

همست بأذن كمال حيدر :

أرجوك تكلم بهدوء ، كي لا تسمعك زوجتي ... لقد رجتني قائلة :

« لتناول العشاء في البيت هذا المساء »

ولاني لا أملك نقوداً قبليت رجاءها : إنها تحضر المائدة ، ولا شك أن
الله هو من أرسلك إليّ .

— ليس الله هو من أرسلني إليك ، بل عدم وجود النقود في جيبي
هو من أرسلني إليك ، أتيت إليك لأنني لا أملك قرشاً واحداً كي أذهب
إلى المقهى .

— واضح ... وهل كنت ستأتي لو أنك تملك نقوداً ؟

— هيا لنذهب ، ادعني لكافـس من النبيـد .

— يا إلهـي يا كمال حيدـر ، أنا لا أملك نقودـاً .

— إذا أبـقـ فيـ الـ بـيـتـ كـيـ تـنـاـوـلـ العـشـاءـ معـ زـوـجـتـكـ وـاسـمـحـ ليـ
بالـانـصـارـافـ .

— امسـكـ بـذـراعـهـ قـائـلاـ : — قـفـ يـاـ ... لاـ تـمـلـكـ ذـرـةـ إـنـسـانـيـةـ ؟
الـأـتـخـجلـ مـنـ تـرـكـيـ هـنـاـ وـتـذـهـبـ ؟

يوجد معي ليرتين سنشرب كأسين من النبيذ ونعود .

كانت الليتان في تلك الأيام لا تكفي ثمن كأسين من النبيذ لكلينا وحسب بل تكفي ثمن كأسين لكل واحد منها مع المقلبات أيضاً ، لو قلت لكمال حيدر باني املك ليرتين ونصف لتوجّب علينا أن نشرب بكل النقود التي أملكتها ... ولاني أريد أن يبقى معي خمسون قرشاً لوجبة طعام الفطور قلت له بأنني لا أملك سوى ليرتين .

قال : - لنذهب إذا ، ليـتان تكفي .

- اطمأن ستكفي ولكن كيف سنخرج من هنا ؟ ستقول لزوجتي أن أحد أصدقائنا مريض ودخل في غيبوبة ويجب علينا زيارته حالاً - أعرف أنكم حيدر معلم في موافق بهذه .

قالت زوجتي :

- الطعام جاهز .

قالت لكمال حيدر :

- تفضل إلى الطعام .

قال بحزن بالغ .

- إن نيازي مريض جداً ... لقد دخل المiskin في غيبوبة ويردد اسمك باستمرار .

- يا إلهي ... لقد حزنت كثيراً .

- لا استطيع أن أجلس ، اتيت فقط لإخبارك بالأمر ، الـنـ تـاتـيـ مـعـيـ ؟

- لتناول طعامنا ونذهب .
- آخ المسكين يلقط انفاسه الاخيرة وانت تفكك بالطعام ...
- معنى هذا أن مرضه خطير .
- لا اعتقد بأنه سيعيش حتى الصباح ... أنا ذاهب .

نظرت لوجه زوجتي فقالت :

- يجب أن تذهب ، ولكن لا تتأخر سأنتظرك لتناول طعامنا سوية .
- لا ... لا تنتظريني ، تناولي طعامك يا حبيبتي ، فقد أتأخر كما ترين إنه يقول أن مرضه خطير ... المسكين نيازي .

لبست معطفي وركضت إلى الشارع .

عندما وصلنا مقهى « دفنن باش » كان مزدحماً جداً فقد جلسوا مجموعات على الطاولات ، أرباع وانصاف الفنانين ، مرشحوا فنانين ، فنانون مخضرمون وعيقون حتى رؤوس اظافرهم ، كانوا يتصابعون ، يتناقشون ويقرؤون الاشعار ، حاولنا ان نجد مكاناً فارغاً بين تلك المجموعات ولكن محاولاًتنا باعدت بالفشل ، وهذا يعني اني لن استطيع ان اقرأ اشعاري إلا أمام كمال حيدر وفهمت من ملامح كمال حيدر الحزينة بأنه لن يستطيع ان يقرأ اشعاره لسواي . وبعد محاولات عديدة استطعنا ان نجد مكاناً في البو فيه لنسند مرافقتنا عليه وطلبنا زجاجتي مشروب مع المقلبات .

دل كمال حيدر على رجل يجلس خلفنا وحيداً على إحدى الطاولات وقال :

- من هذا الرجل ، اتعرفه ؟

لفظه الكلمة «هذا الرجل» يعني أنه لم يشتبه لرواد هذا المقهي ، كان الرجل يرتدي نيابة تليق بأخم كازينو في المدينة .

قلت : — لقد رأيته هنا ثلاث مرات ولكنني لا أعرفه .

— نعم إنه يجلس على هذه الطاولة بمفرده منذ ثلاث ليالٍ ، كل ليلة انظر إلى هذه المائدة التي أمامه .

فعلاً . — لقد وضع الرجل على طاولته من كل الأصناف الموجودة وغير الموجودة في المقهي .

قال حيدر بيك : — لا شك أن هذا الرجل مخبر سري .

قلت : — لا أعتقد .

— ولماذا ؟ — لو دققت في طاولته لما سألتني ، فلا اعتقاد أن الدولة ستخصص كل هذه المائدة لمخبر يلاحق بعض الشعراء .

بعد ذلك نسينا الرجل الجالس على طاولته وبدأنا نقاشنا ، كنت أنتظر بفارغ الصبر كي أقرأ أشعاري الجديدة ولكن كمال حيدر كان صاح كعادته فسبقني بقراءة أشعاره وبعد انتهاء سالي :

كيف وجدتها ؟

فأجبته باختصار كي أقرأ أشعاري بسرعة — إنها مدهشة .

— بقيت قصيدة واحدة ، إنها أجمل ما كتبت ، وبعد أن قرأها سالي

— كيف كانت ولأنني سأله بعد قليل عن رأيه بقصائدي قلت :

— إنها من روائع الأدب العالمي .

— إنها عادية ، سأقرأ لك ما هو أجمل منها اسمع .

وهكذا ، قرأ كل قصائده ، فرغت الكووس وانتهت المقلبات التي
أمامنا ومع ذلك لم أستطع قراءة أشعاري قال كمال حيدر :

— ما هذه المعاناة من قلة النقود ؟ لا نستطيع أن نشرب بعد لاننا
لا نملك نقوداً .. يا لهذه الدنيا غير العادلة ، يا لهذا الوطن القاسي ،
إننا من شعرائه الشباب لا يملكون خمساً وعشرين قرشاً كي يشربوا
كأسين آخرين من النبيذ .

قلت : ما زلت أملك خمسين قرشاً ، احتفظت بها من أجل طعام
الفطور غداً ، سنشرب بها كأسين من النبيذ ، لكن يشرط الا تقرأ أشعارك
لأنني أريد أن أقرأ أشعاري .

— طبعاً يا أخي ، لقد أتي دورك ، اقرأ يا أخي .

وبعد أن وضعنا كأسين من النبيذ أمامنا ، بدأت بقراءة أشعاري ،
ولكن كمال حيدر لم يتفوّه بأية كلمة سالته قائلاً :

كيف وجدتها ؟

— إاه ... ليست سيئة .

انزعجت كثيراً ، هذا هو كمال حيدر ، حقير جداً ، ويتصرف دائماً
بحقاره يقرأ أشعاره في البداية ، ويطلب رأي المستمعين ، فيرفعوا
أشعاره إلى السماء بقولهم « مدهشة ، ابداع عالي » ظناً منهم انه
سيثنى على أشعارهم على كل حال ولكنه عندما يسمع أشعار الآخرين ،
يتناقض منها بحجة أنها غير جميلة طبعاً نحن لن نستطيع ان نتراجع
ونقول له :

« إن أشعارك غير جميلة ولا تساوي عشرة قروش » لأننا أبدينا
أعجبتنا وانتهى الأمر .

وبعد أن تحدثنا عن الأدب والفن قال كمال حيدر :

ـ انظروا إلى هذه القيمة التي تعطيها بلدنا للفنانين ، لا نملك أجرة
الباص الذي سيرجعنا إلى بيوتنا نهضنا متوجهين إلى باب مقهى دفنن باش
فقطع الرجل الذي يجلس على الطاولة بمفرده طريقنا فجأة وقال :

ـ عذرًا يا سادة ، لو رجوتمكم فهل تقبلون تشريفي بجلوسكم معي
على نفس الطاولة ؟

قلت : ـ استغفر الله يا سيدي .

قال كمال حيدر :

ـ لا شك أنه مخبر سري ، يريد أن ينتزع الكلام من أفواهنا .

قال الرجل : ـ ستحببون الجلسة .

جلستنا على الكرسي التي أحضرها النادل ، همس كمال حيدر
بأذني قائلاً :

ـ لا شك أن هذا الرجل لم يسمع حديثنا بشكل جيد .

ـ كما يبدو أن بداخل كل منا رغبة داخلية بأن يسمعنا مخبر سري
كي تقنع أنفسنا بأهمية الحديث الذي دار بيننا وبعد سنين فهمت بأنه
كان لدينا رغبة لا شعورية بأن تضع الدولة رجلاً ماجوراً كي يلاحقنا
وبذلك سيزيد احساسنا بأهمية ما نقوم به ، قلت لكمال حيدر بصوت
منخفض :

ـ وذلك ، وهل ما نتفوه به له آية أهمية كي تصفي الشرطة له ؟

— سترى بعد قليل ، سياخذنا هذا الرجل الى مديرية
الأمن فوراً .

عرف الرجل بنفسه :

— محرم اوسكورجو ، متعمد طرقات .

قال كمال حيدر : لا شك أنك تعرفنا .

قال محرم بيك .

— كلا ، لا أعرفكم .

غضب كمال حيدر كثيراً وقال :

— الا تعرفنا ؟ كيف ذلك ؟ الا تعرف بأنني كمال حيدر ؟ الشاعر
كمال حيدر .

— تشرفت بمعرفتك .

— معنى ذلك أنك لا تعرف كمال حيدر ... لم تسمع باسمه ؟

— هل طبعت كتاباً ؟ لم أقرأه .

— يوجد لدى كتاب ولكن لم أطبعه وسيصدر قريباً ، انشر
أشعاري في الصحف والمجلات ، لا أشك أنه اقتنع بأن الرجل ليس مخبراً
سريأ فقال :

— حسناً يا سيدي ، ما دمت لا تعرفنا ، لماذا دعوتنا الى طاولتك ؟

قال المتعلم :

— أتيت الى أنقرة منذ أسبوع لإنجاز بعض الأعمال . لقد أعجبني هذا المقهى ، فلا أجد إلا الشباب الوعيin والفنانين ، إني أحب الشعر كثيراً ، لقد كتبت الشعر عندما كنت شاباً ، وبعد دخولي الى الحياة العملية وأصبحت رجل أعمال ابتعدت عن الأدب ، إني اتحسر دوماً على هذه الاشياء الجميلة لقد استمتعت الى حديثكم دون قصد مني كم كان حديثكم رائعاً وجميلاً . كله عن الشعر والفن .

معنى هذا ان الرجل سمع شكوكانا عن فلة التقدّم، وعلم اننا لا نملك خمسين قرشاً ثمن المشروب ولهاذا أشفق علينا ودعانا الى طاولته .
قال الرجل :

— اردت أن اتعرف على شاعرين عن قرب كي أستفيد من احاديثكم الجميلة .

قال حيدر بيك :

— تعرّف ... هيا انظر إلينا وتعرّف ... لترى عيناك شاعرين عن قرب .

حاول رجل الاعمال أن يفطري على قلة الادب الواضحة التي أبدتها
كمال حيدر بكلمتين جميلتين ولكن كمال حيدر أكمل وفاته هذه المرة
 قائلاً :

— يوجد رجال كثـر من أمثالك يظنون أنفسهم شعراً لأنهم كتبوا
في شبابهم قصائد شعرية ...

شاعر مغفل ...

قال رجل الاعمال مظهراً ابتسامة مصطنعة :

— إنك محق في ذلك .

لو كثت جالساً بجانب كمال حيدر لدعست على قدميه كي يتتبه
لكلامه أكثر ولكن ما العمل ؟ ونحن نجلس وجهاً لوجه ؟

قال رجل الاعمال بخصوص الاكل والمشروبات :

— ماذا تأمرون ؟! ارجوكم أن تعطليوا ...

فقال كمال حيدر :

— أنا لا أشرب مع رجل يحقر الشعر .

ركلت كمال حيدر بقدمي من تحت الطاولة .

قال رجل الاعمال :

— أي تحقيـر ؟ أنا أحترم الشعر كثيراً .

— إن محاولة أمثالك لكتابة الشعر تعتبر أكثر تحقيـراً له .

ما زال الرجل يحاول أن يحول كلام حيدر إلى نوع من المزاح :

ابتسم بصعوبة وقال : — والله ما تقوله صحيح ..

بدلت كرسيـيّ وجلست على كرسيـي بجانب كمال حيدر .

نادي الرجل للنادل وسألنا :

— أرجوكم اطلبوا ما تريدونه يا سادة .

قلت : — أستغفر الله ، لا نريد شيء ، فهذه الطاولة كاملة
ولا ينقصها أي شيء .

قال كمال حيدر بعد أن نظر إلى المأكولات والمشروبات الموجودة على الطاولة :

ـ لا يوجد سمك بالزبدة ؟

ـ لا يوجد

ـ ليحضروها ... لا يوجد بيض الجدي ؟

ـ لا يوجد

ـ ما دامت غير موجودة أريدها ...

طلب كل ما خطر بباله من مأكولات ووضعها على الطاولة .

دونت من اذنه وقلت :

ـ يا كمال حيدر ، لا أرى تصرفك لائتاً .

فهمس بأذني :

ـ إنه قليل الشرف والأخلاق ... ولك بأي حق يقدم لنا كل هذه المأكولات والمشروبات في الوقت الذي لا نملك فيه ثمن تذكرة باص ..

لقد سمع الرجل شيئاً من حديثنا الذي دار بيننا مؤخراً فاسود وجهه وتغير لونه . لقد أحضروا كل المأكولات التي طلبها ، فبدانا بالشرب من جديد كان كمال حيدر يشرب كتووس النبيذ بجنون .

كان رجل الأعمال يتحدث عن أسفه وأهله لتركه عالم الشعر ودخوله خضم العمل وعن محبته للشعر بلغة رقيقة ، وفجأة صاح كمال حيدر قائلاً :

— اسكت ولا !! .. لم تأت الى هنا كي نستمع الى حديثك .

ثم التفت إليّ وقال :

— هيا ، اسحب واحدة من قصائديك .

فقال رجل الاعمال :

— إيه !! .. لو سمحت !! ..

فقرات واحداً من قصائدي ثم تبعها كمال حيدر بواحدة من
قصائده ونحن نشرب ونشرب دون توقف . انحنى كمال حيدر على
الطاولة ومد راسه نحو رجل الاعمال وقال :

— هيئه !! .. انت !! .. هل تعرف أراغون ؟

— من ؟

— أراغون !! ..

— وماذا يعمل هذا الأراغون ؟

— هل تعرف رامبو ؟

— كلا .

— فرلين ؟ — من ؟

— هل قرات دستوفسكي ؟

— لهذا اسم رواية جديدة صدرت حديثاً ؟ لم أرها بعد .

كان كمال حيدر يسأل بكل هدوء .

ـ حسنا ، هل رأيت راسل ؟

ـ أين .

ـ ليه منتوف ؟ ـ كلا .

فقال كمال حيدر بنفس اللهجة الهادئة :

ـ ولنك يا حيوان ... ما دمت لا تعرف ازاغون ولا رامبو ولم تسمع بفرلين ولم تقرأ دستوفسكي ولم تسمع بكمال حيدر فبأي حق تدعونا الى طاولتك في الوقت الذي لا نملك فيه ثمن كأس مشروب ؟

فجأة اكفهر وجه الرجل كوجه البحر الذي هجمت عليه عاصفة بحرية وتابع كمال حيدر بنفس اللهجة الهادئة :

ـ ولنك ما دمت لم تقرأ شتاينبك ولا تعرف فييتNam ولا تعرف راسل ولا توamas فلماذا تعيش ؟

ـ ولنك هل تحسب نفسك رجلا ؟ بأي حق تأكل كل هذه المأكولات والمقبلات ؟ كل خرا ... ضفت الرجل على أصابعه بغضب ضفت ضفت وهجم على كمال حيدر وهو يقول :

ـ يا أيتها الكلاب الجائعة ، يا ذوي الجيوب الفارغة الستم الذين تنحون هنا منذ الصباح لانه لا يوجد معكم ثمن المشروب الذي ستشربونه ؟ آه ؟ ظنتنكم رجالاً ودعوتكم الى طاولتي هل فعلت شرأ لانتي اطعمتكم وأشربتكم آه ؟ يا ثرثريون ...

تدخلت محاولاً تهدئه الرجل فقلت :

— أرجوك يا سيدى لا تواخذه إنه ثمل . . .

ولكن كمال حيدر استمر بلهجته الهادائة :

— لا تعرف هذا ولا تسمع بذلك ؟

— أيها المتغفل الخنزير ، بأي حق تكسب هذه النقود .

انفجر رجل الأعمال بعد أن كاد يهدأ .

— ولك لعنك الله هل عادت الحياة لبراغيثك بعد أن شعبت أيها الشثري أيها الكلب الجائع الحمد لله آني هجرت الشعر منذ زمن ولا أصبحت ثرثرياً مثلكم الآن فهمت لماذا لا تعطي حكومتنا أهمية لأمثالكم ويترونكم جائعين إذا هذا هو السبب .

لو صمت كمال حيدر لهذا الرجل لكنه لم يصمت فهجم الرجل على كمال حيدر من فوق الطاولة . . . أمسكه من ياقته معطفه وسحبه إلى الخارج .

لم يستطع كمال حيدر الإفلات من يدي الرجل الذي راح بضربه وكمال يئن تحت ضرباته قائلاً :

— ولك خنزير بأي حق تدعونا إلى طاولتك ؟ نحن شعراء ولا ١١١ يا حيوان لا تعرف أراغون ولم تسمع بفرلين أليس كذلك ؟

— خذ هذه لازغوان . . . خذ هذه أيضاً . . . لا اعرف اسمه . . . خذ هذه من الجله خذ أيضاً لبقية الذين ذكرتهم .

سقط رجل الأعمال الضخم على الأرض في أسفل الجدار قائلاً :

— لقد تعبت و . . . سأموت . . . يا إلهي . . . قلبي .

أما كمال حيدر فقد سقط بجانب الجدار الآخر ولم يستطعها الحركة
بعد ذلك ، فبداء بقذف الشتائم .

— يا عديم الأخلاق ، لم تسمع بعد باسم لارمنتوف .

— أيها الكلب الجائع ... ابن الشوارع .

— ليس من حق أي شخص لا يعرف يوشكين أن يدعوني لكأس
شراب .

— هل أصبحت رجلا عندما امتلأت معدتك ؟

لم يكن بامكانهما الصراخ أكثر من ذلك ثم بدا يتراشقان الحصى
الصغرى الموجودة حول كل منهما وبعد أن تعبا من حرب الحصى هذه
بشق كمال حيدر من مكانه على رجل الأعمال :

— تفو ...

— فرد رجل الأعمال ... تفو .

لم يعد باستطاعتهما عمل أي شيء سوى البصاق على بعضهما وبعد
فترة وجيزة انقطعت انفاسهما فسقط كمال حيدر وأما رجل الأعمال
فقد أغمي عليه أو لعله قد مات .

قام الاصدقاء الذين كانوا في الحانة لحمل كمال حيدر الى سيارة
اجرة ونقلوه الى بيته وبقي رجل الأعمال في مكانه فلم يتمسسه أحد على
الأغلب أخذه عمال الحانة الى الداخل .

القد مررت أعوام على هذه الحانة الا تتoshق لمعرفة نهاية الحادثة ؟
قبل فترة كنا نتناول مع بعض الاصدقاء طعام العشاء في / كاربيج /
عندما أتى أحد الرجال الى جانبي وقال :

— هل عرفتني ؟

— وعندما روى الحادثة تذكرت أنه هو رجل الأعمال الذي جرت معه الحادثة قال : — لقد نسيت اسمك .

قلت : — حسن .

— وما اسم صديقك الذي تشاجر معي ؟

— كمال حيدر .

قال رجل الأعمال :

— أتعلم إن صديقك كان محقاً وقئذ ، وأنا لم أكن على حق .

صمت قليلاً ثم تابع :

— من المؤكد أنه كان على حق ... إنني أقبل أن أبدل موقعي بكل ما أملك مع ذاك الشاعر ، ولكن أمراً كهذا لا يباع ، الله أعلم كم كتاباً صدر له حتى الآن ومع ذلك لم أرَ أيّاً منها حتى الأسماء التي ذكرها في تلك الليلة إلى الآن لم اسمع بها .

وبعد فترة صمت ، تابع قائلاً :

— ماذا يفعل الآن ، كمال حيدر بيتك ؟

— الآن ؟ ... إنه موظف في / الإدارة المحلية / إنه يعمل رئيساً في إحدى دوائر الطرق العامة .

— رائع ، هل صدر له كتاب ما ؟

— لا أعلم ... اعتقاده أنه صدر له في تلك الأيام كتابان أو أكثر .

— ممتاز .. وانت ماذا تعمل ؟

— انا .. انا دخلت الى اعمال كثيرة ولكنني لم افلح والآن اعمل مع متعهد .

— ممتاز .

في البداية مسحت وجه رجل الاعمال مسحة فرح ثم قال بحزن :

— وانا ايضاً كتبت قليلاً من الشعر في شبابي .



هذا البليد

كنت أشعر بمللٍ فظيع عندما خرجت من البيت . عندما أكون متشارماً أشعر بأنني قريب من الأرض ، لا بل متهدأ بها ، أصفر ... أصفر ... تقصر قامتى أكثر مما هي عليه . يضغط الهواء على جسدي من الأعلى ويجذبنا التراب إلى الأسفل .

كنت أعبر زقاقنا عندما جاءني رجلٌ وقال :

— يا سيدِي ، أرجو المغفرة ، أست حسن يازمنَ .

— نعم .

ضغط على يدي وقال :

تشرفت بمعرفتك يا سيدِي ، إن عائلتي مدمنة على قراءة مقالاتك .
آه يا سيدِي ، يا لروعـة ما تكتب ، يا لفـظـة مقالاتك .

صار جسدي يتضخم كلما تكلم أكثر وكلما زاد بمدحـيـ أكثر ، علـماـ
أنـيـ كنتـ منذـ قـليلـ كـإـطـارـ سـيـارـةـ فـارـغاـ مـنـ الـهوـاءـ ، طـبعـاـ ، تـصنـعـ
الـتوـاضـعـ كـمـاـ يـفـعـلـ كـلـ كـاتـبـ مشـهـورـ .

مشـيـتـ قـلـيلاـ ، فـسـمـعـتـ رـجـلـاـ يـقـولـ لـإـمـرـأـ تـمـشـيـ بـجـانـبـهـ وـهـ يـشـيرـ
نـحـويـ :

— شـيـشـتـ .. هـيـهـ .. هـيـهـ .. اـنـظـريـ .. حـسـنـ يـاـزـمـنـ
قادـمـ ..

إنـ قـامـتـ تـطـولـ باـسـتـمـارـ ، لـقـدـ اـدـرـكـتـ طـولـ قـامـتـيـ منـ خـلـالـ لـوـحـاتـ
المـحـلـاتـ التجـارـيـةـ التيـ أـصـبـحـتـ تـحـتـ مـسـتـوىـ رـأـسـيـ . وـصـلـتـ إـلـىـ مـوـقـفـ
الـبـاصـ ، قـالـ رـجـلـ يـقـفـ فيـ المـوـقـفـ :

— بينما كنت أبحث عنك في السماء وجدتك على الأرض ، إن لم
أخطا أنت حسن يازمنَ اليس كذلك ؟ .

ومن جديد قلت بتواضع مصطنع :

— نعم .

— يا إلهي ، سلمت يدك ، يا لجمال ما تكتب ، أنا أقرأ مقالاتك
منذ خمسة وعشرين عاماً .

— أدامك الله .

كم كان هذا الرجل قصيراً ... كم كان قزماً . كنت أنظر إليه من
ال أعلى .

— إنني أقرأ كتاباتك ب والاستمرار ، منذ أول مقالة وحتى الآن ؛ أقرأ
كل شيء أجده لك في الصحف والمجلات .

— شكرًا جزيلاً .

ضغط الرجل على يدي باحترام وذهب .

أشعر ، عندما أكون متفائلاً بقرب رأسي من السحاب .
جاء الباص ، صعدت إليه ، رفع أحد الركاب قبعته باحترام وسلم
 قائلاً :

— إنني من المعجبين بك .

خجلت كثيراً ، أقصد ، تصنعت الخجل وقلت :

— أستغفر الله يا سيدي .

لا أعرف لماذا يصنعون الباصات ضيقه بهذا الشكل . وسقوفها منخفضة جداً إنها لا تسعني ، يضرب جسدي هنا وهناك . . .

تابع الرجل كلامه :

— وأبي أيضاً من المعجبين بكتاباتك ، كل العائلة تقرأ كتاباتك يا حسن بيتك .

— إنك تبالغ في مدحني يا سيدتي .

وقال مسافر آخر :

— وانا أيضاً معجب بك منذ زمن يا سيدتي حسن بيتك . واحب أن أتعرف عليك اكثر ، وقد شاءت الصدف أن أراك هنا ، لا أعرف كيف سأعبر عن اعجابي بك .

كاد رأسى أن يخرج من سقف الباص ، أنا لا أعرف لماذا يصنعون سقف الباصات منخفضة الى هذا الحد . الا يعرفون باني سوف اركب تلك الباصات !!.

كنت أنوي الذهاب الى « الكاضي كوي » ولكنني نزلت في أحد المواقف لأن الباص كان ضيقاً جداً ، وبدأت انتظر السرفيس .

— يا سيدتي ، لست مخطئاً إن قلت بأنك حسن يا زمآن أليس كذلك ؟ ! .

— نعم يا سيدتي ، لست مخطئاً .

— آه يا سيدتي . . .

كبر حجمي اكثر واكثر .

— سلمت يداك يا حسن بيك ، إنك تكتب بشكل رائع .

استطالت قامتي أكثر وأكثر .

صعدت الى السرفيس وجئت الى الميناء ، ولكن ماذا فعلوا بالميناء ؟ .

لقد صغررا حجمه كثيراً ، إنه ضيق للغاية .

— انظروا ... انظروا ... هل رأيتم حسن يازمن ؟ .

— وهذا هو ؟ يا إلهي ...

مدت يدي الى شفتي العليا ، احزرروا لماذا ؟ كي اقتل بشاربي ...
تفوروو ... يا إلهي ليس لدى شوارب ، الرجل الحقيقي هو من يرخي
شاربيه ، وفي مواقف كهذه يجلس ويفتلل بهما ... سيكون مشروع
رخي شاربي من اولى مشاريعي ، لأن الشوارب تنفع في مواقف كهذه .

— شيشت ... انظر من هنـا ؟ إنه حسن يازمن .

وبدون أن أدرى ذهبت يدي الى شاربي وكأنهما موجودان ، آه ..
لو كنت أملك شوارب كي اقتل بهما . إنهم يسخرون قائلين : « والقطة
أيضاً تملك شوارب » .. ولكنها لا تستطيع ان تقتل بهما .

اقربت البآخرة من الساحل ، حسناً ولكن كيف سأصلع عليها ؟ .

إنها ضيقة جداً ولن تسعني ... أتريدني أن أغرق البآخرة ؟

فتح باب الميناء ، انحنىت كثيراً كي لا يصطدم راسي بأعلى باب
الميناء وهكذا استطعت المرور مع آني اعلم أنني حتى لو قفرت فلن ألامس
أعلى الباب بيدي .

كان الميناء يهتز بقوة من تأثير نقلني ، وعندما وضعت رجلي في الباخرة اهتزت يميناً ويساراً . فذهبت مباشرة الى منتصف الباخرة ، وبهذا حافظت على توازنها ولو لا ذلك لكان من المؤكد أن الباخرة ستُقلب .

يا سيدى ، يجب أن يخصصوا باخرة خاصة لكتاب المشهورين
أمثالى .

ما هذا يا أخي ؟

كل شخص يشير إلى ، كم هو صعب أن يكون الإنسان مشهوراً .
لا يمكن أن يرتاح أبداً

عندما دخلت الى صالون الدرجة الممتازة انخفضت مؤخرة الباخرة ، ولم يفهم أحد سواي سبب انخفاض مؤخرة الباخرة ، جلست على أحد المقاعد بصعوبة ، إنهم صنعواها ضيقه جداً للدرجة أنها لا تتسع لشخص واحد .

تحركت الباخرة ، كل الركاب ينظرون إلى ، طبعاً ، ولم لا ينظرون ؟ ! فكم حسن يا زمان موجود في هذه الدنيا ؟ ! . فليمتّعوا أنظارهم برؤية حسن يا زمان . مددت يدي الى شفتي العلية ، تفورووه

يجب أن يكون لي شاربان في موقف كهذا ، استدرت الى الخلف ونظرت من طرف عيني أووو مجموعة كبيرة من الرجال والنساء ، أشار أحد الرجال نحوى :

ـ انظروا . . . انظروا . . . إنه حسن يا زمان .

فسأله الذين حوله :

ـ أي واحد ؟

كدت أقفر قائلة « أنا »، أنا حسن يا زمَنْ » ولكنني تمالكني نفسي .

— إنه يجلس أمامنا .

— أiii .. أهذا هو ؟

إنني مستغرب كيف لا تفرق هذه البلاد ، فإلى الآن يوجد أناس لا يعرفون حسن يا زمَنْ العظيم ، يا إلهي ... استدررت أكثر كي يرونني بشكل جيد . صدقوني إذا قلت أنني لم أكن أستدير بملء إرادتي ، بل بدون أن أشعر . كان جسمي قد تضخم بواسطة منفاخ هواء .

— إنه هو ..

— لا يا أخي ، لا يمكن أن يكون هو .

— أقسم أنه هو .

— لا يمكن يا أخي ... إن هذا واحد من المتسكعين .

قالت الجملة الأخيرة إحدى النساء ، ... ولذلك يا أيتها العاهرة وماذا في شكلني يدل على أنني أحد المتسكعين .

وبدؤوا بعد ذلك بنقاوش حاد . واحد من المجموعة كلها عرفني بينما زعم الآخرون بأنني لست حسن يا زمَنْ .

— إنه حسن يا زمَنْ بشحمه ولحمه .

— يا أخي لا يمكن أن يكون حسن يا زمَنْ .

— ولماذا ؟!

— انظر الى منظرة .. إنها لا يشبه البشر .. إنه كائن غريب .

أوف .. ما هذا الحر الذي في الباخرة .. !؟ ..

— أقسم أنه هو ..

— هذا البليد ؟! لا يمكن ... إن هذا الموبوء عاجز عن ربط كيلوته.

تفوه ... لعنكم الله لماذا يصطنون مقاعد الباخرة واسعة
الى هذا الحد ؟ ! .

— إذا ، هل تقصد أن هذا الرجل هو من يكتب تلك المقالات
الرائعة ؟ .

— طبعاً .

— هيا ... لا تقل هذا ، انظر الى منظرة ، إنه أحد المتسكعين ...
ثم كيف لشخص مثله أن يكتب تلك الكتابات الرائعة ، لا يمكن يا أخي
لا يمكن أن يكون هذا هو حسن يا زمن .

— يا أخي ، أنا أعرفه تماماً ، إنه هو بذاته .

— لا شك بأنك تشبّهه ، ومع ذلك فلا يمكن أن تشبهه مخلوقاً
كهذا لحسن يا زمن ، يا له من مخلوق عجيب .

غضست قدر استطاعتي في المقعد كي لا يروني ، يا لكبر الباخرة
ويا لواسع الصالون .

— قولوا ما شئتم ، ولكنني منصر على أن هذا الرجل هو حسن
يا زمن .

ـ لا تقل رجلاً ... ، إنه مزيج عجيب ، انظر إليه ، لا يستطيع أن يجلس مثل البشر ، أ يستطيع مخلوق كهذا أن يكتب تلك الروائع ؟ .

ـ إنه يستطيع يا أخي ، يستطيع .

ـ لا يستطيع ، ومن أين له المقدرة على الكتابة ، إنه متسكع بكل معنى الكلمة ، يا له من بليد ... لا أصدق أبداً بأنه يستطيع أن يكتب مقالاً .

ـ لقد قلت كل ما أراه ، لا يوجد أية ملامح تدل على الذكاء في منحياته .

ـ لماذا لا تصدقا أنه هو ؟ ! أقول لكم إنني أعرفه جيداً . أكون عديم الشرف إن لم يكن هو بذاته .

ـ وذلك ماذا تقول ؟ أيمكن أن يكون هذا الحيوان هو حسن يا زمان ؟ معنى هذا أن حيواناً كهذا هو من يكتب تلك المقالات الرائعة .

الذهب من هنا ؟ ولكن في حال مغادرتي سيصبح الوضع أسوأ بكثير ، إذ أنهم سيحدقون بي أكثر ، لماذا خرجت من البيت إلى الشارع ؟ إبني أصفر وأصفر ويتضاعل حجمي أكثر أكثر ، أكاد أن لا أرى ... آه لو تقربت الباحرة من الشاطئ كي أقفز منها . وأذهب بعد ذلك إلى البيت .

ـ تقول إنه حسن يا زمان ها ... ! .. قه .. قه .. قه ..
لم يكن في نبتي الضحك ..

ـ أقول إنه حسن يا زمان فلتتصدقوا إن شئتم أو لا تصدقا ...

ـ ذلك ، "رجل" كهذا لا يتحقق له أن يسكن ماءً على يدي حسن يا زمان .

- ضع هذا الرجل في الساحة العامة واعرضه على الجماهير ليتفرجوا عليه ويستمتعوا بمظهره .

- ولكن يا سيدى ، أية مقالات رائعة تلك التي يكتبها حسن يا زمن ، إنها تدل على أنه شعلة من الذكاء ، انظر إلى هذا الرجل إنه ينام واقفاً .

سقطت السيارة المشتعلة من يدي ، فحاولت أن أشعل سيكاراً أخرى وعندما أمسكت عود التقباب بيدي المرتجفة سقط على جسدي ، آه يا إلهي .. لو نقترب قليلاً من الشاطئ ..

- هل أنتم منصرون على أن هذا الرجل ليس حسن يا زمن ؟ .

- طبعاً ، ليس هو .

- حسن ، وكيف عرفتم ذلك ؟ هل لكم به سابق معرفة ؟

- أنا لا أعرفه ، ولكن لا يمكن أن يكون هو هذا الرجل . فكيف

للحقير كهذا أن يكتب تلك الكتابات الرائعة والمقالات الحبرية .

- فإذا كان العقل موجوداً فالتفكير أيضاً يكون موجوداً .. انظر إليه انتظراً .. أيعقل أن يكون هذا هو حسن يا زمن ، لا تضحكني أرجوك .. واحد فقط ، من مجموعة مؤلفة من أكثر من عشرة أشخاص يقول بأنني حسن يا زمن ، والآخرون يدّعون عكس ذلك ..

- حسن ، أتراهون على ذلك ؟

- نراهن على ما تريده .

- أتراهون بعشرين ليرات ؟

- نعم .

- ادفع خمسين ليرة إن كان هذا الخ ... هو حسن يا زمن ،
سأخسر خمسين ليرة .

- وأنا أراهن على غداء ...

- وأنا أدفع مئة ليرة ...

- حسن ، أقبل بذلك ...

- جيد ، ولكن كيف سترى إن كان هذا الموبوء هو حسن يا زمن
أم لا ؟

فقال الشاب الذي يدعى بأنني حسن يا زمن :

- لنذهب إلية ونسأله .

- حسن ، لنسأله .

- أنا لا أصدق إن قال « أنا حسن يا زمن » فقد يفخر بذلك
ويدعشه .

- ثم يوجد أكثر من شخص اسمه حسن وقد تتشابه الألقاب .

- سنسأله إن كان كاتباً أم لا ، ولنسأله إن كان يكتب تلك المقالات
أم لا ، الديكم اعتراض ؟ !.

- حسن لنسأله .

أيواه ... ماذا سيحدث الآن ؟ يا ليتني ما كنت حسن يا زمن ،
ويا ليتني ما كتبت تلك المقالات .

نهضوا واتجهوا نحوه ، إنني اسمع وقع خطفهم ، قفزت بخطوة واحدة ... يا إلهي ... الشاطيء ، الميناء ، الباخرة ، نعم الباخرة تقترب من الشاطيء واختلطت مع الزحام ، صاروا يصرخون خلفي :

— يا سيد .. يا سيد ..

— دقيقة من فضلك ...

— حسن بيتك .

ولكن هيهات ... من يسمعهم ... وأنا أركض بين الزحام .

— فيه ... أنت .. يا سيد ...

كان بين الشاطيء والباخرة أربعة أمتار ، على ما أعتقد ، حين قفزت . لا بل طرت ... طرت ولكنني لاحظت في حضن موظف البلدية الذي يعمل في الميناء .

— تعال قليلاً ..

دخلنا إلى غرفة البلدية ...

— ستدفع عشرين ليرة لأنك قفزت من الباخرة قبل وصولها إلى الشاطيء . مباشرة قدمت له ورقتين من فئة العشر ليرات ، وحاوت الهرب ، ولكنه قال :

— انتظر قليلاً من فضلك ، أريد أن أعطيك وصلاً ، ما اسمك ؟

نظرت إلى عيني موظف البلدية ، نظرت بشكل جيد ..

— ما اسمك ؟

— أسمي ؟

نعم اسمك

— أسمي أنا ! — طبعاً اسمك أنت . . . بـ أنا أسمي . . . على . . .

— والكنية ؟ . . . بـ ك . . . كنه . . . تـي . . . كـنـيـتـي . . .

دالـتـبـانـ .

أخذت الوصل وخرجت ، سمعت حديث موظف البلدية :

« يا إلهي ، إله يشبة حسن يا زمن الخدّة كبير » .

وهكذا .. عندما أكون متشائماً إلى هذا الخدّ ، أشعر بأنني قريب من الأرض بل أشعر بأنني متـحدـ بها ، يضغط المـوـاءـ منـ فـوقـ ويـجـذـبـنيـ التـرـابـ منـ الـأـسـفـلـ وـمـشـيـتـ صـفـراـ . . . صـفـراـ . . .

صـفـراـ . . . صـفـراـ . . .

صـفـراـ . . . كـلـيـلـهـ بـ الـجـهـةـ . . .

جـاهـةـ سـارـقـهـ . . . كـلـيـلـهـ بـ الـجـهـةـ . . .

صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . .

صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . .

صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . . صـفـراـ . . .

صـفـراـ . . .

توفيق افندى أبو الشوارب

— قلت له عندما كنا نفترق .

— أقدم تحياتي لزوجتك الموفرة .

إنه رجل أخلاقي ذو تربية حسنة ، وما ان سمع ما قلته حتى عبس وبصق بغضبه وكأنه شعر بمرارة شيء ما داخل فمه . ودهشت حين قال :

— آية زوجة موقرة ... آية زوجة ؟

كررت قائلاً :

— زوجتك ...

فقال ياصرار :

— ليس لدى زوجة ...

لو طلب مني نموذج للعائلة المثالية ، لاشرت دون ادنى تردد الى هذه العائلة . إذ انهاما يحترمان بعضهما ويحبان بعضهما كثيراً ، فلقد أسيأعشان زوجياً ، اجرم بنسبة تسعة وتسعين وتسعة بالعشرة انه لم يحصل بينهما آية مشاجرة او ملاسنة او حرب او ضرب او اي شيء من هذا القبيل هكذا عرفنا هذه العائلة .

يقال بأن الأولاد هم الذين يربطون الرجل بزوجته ، ويحمون العائلة من الشجار والانفصال . غير أن هذين الزوجين ليس لديهما أولاداً ، ومع ذلك فهما سعيدان ويعتبران مثالاً للزوجين المتحابين . هذه المعلومات

إما رأيناها بأعيننا . أو سمعناها من الجيران ، ولهذا فوجئت بجوابه حين قال « ليس لي زوجة » فقلت :

— أقصد زوجتك الموقرة .

— ليس لدى لا زوجة موقرة ولا زوجة غير موقرة . ام انك لم تسمع بما حصل بيننا ؟

— كلا لم اسمع بأي شيء .

— يا إلهي ، لم يبق أحد لم يسمع بما حدث ... لقد خانتي زوجتي التي تقول بأنها « موقرة » ... وفوق ذلك فقد خانتني مع رجل ذو شوارب وسخة .

صمت لانني لم اعرف بماذا س أجيبه :

قال :

— الى اين انت ذاهب ؟

— لا أنوي الذهاب الى مكان محدد ، رأيت الطقس جميلاً ، فقلت سأتمشى قليلاً ، وفي العودة سأخذ زنتين لقطتي من عند اللحام .

— وأنا ايضاً لا يوجد لدى أي عمل مهم ... هيا لنتمشى ونتحدث ، لا شك بأن الله ارسلك إليّ لأنني بحاجة لرجل اشكي له همومي .

قال :

لقد افترقنا ، خرجت من البيت وقربياً ستصبح قضيتنا في المحكمة من أجل إتمام معاملة الطلاق .

عندما كنا نمشي في الطريق ، كان يقف عند الكلام الذي يراه مهمًا .
وكان يتحدث بشكل مستمر ، أحببت أن أسأله عن سبب الطلاق كي
أشعر بأني تكلمت معه ، فقال وكأنه يعرفني منذ زمن :

— إن توفيق أفندي كان السبب في كل محدث .

— أي توفيق أفندي ؟

— إنه توفيق أفندي أبو الشوارب الا تعرفه ؟ توفيق أفندي
أبو الشوارب !!!

— ومن يكون توفيق أفندي أبو الشوارب ؟ لم أعرفه .

— وكيف لا تعرفه ياروحي ؟ إنك تعرفه ... تعرفه وهل يوجد
شخص في هذا البلد لا يعرفه ؟

— أقسم ياًني لم أذكره !!!

— أم أنه لا يدخل إلى بيتك !!!

— من ؟

— ومن سيكون ؟! توفيق أفندي أبو الشوارب طبعاً .

لا شك بأن هذا الرجل بدا يخُرُّف .

فقلت له :

— لا ياسيدى أو يابية صفة سيدخل إلى بيتي ؟ ولماذا سيدخل
إلى بيتي ؟

— قال يكل ببرودة أعصاب :

— إنه يدخل .. يدخل ، لا يوجد بيت لم يدخل إليه ، إنه يدخل إلى كل البيوت .
ازداد إصراري أكثر ...

— إنه لا يدخل إلى بيتي ... ولماذا سيدخل رجل لا عرفه إلى بيتي ؟!

فقال بسخرية :

— تقول بأن توفيق أفندي أبو الشوارب لا يدخلها يا لك من رجل ساذج فصرخت بصوت عالٍ :

— لا يمكن أن يدخل بيتي لا أبو شوارب ولا غيره ، ليس لا ي توفيق أفندي أي عمل في بيتي .

— إنه يدخل ... يدخل ... هذا الرجل .. يدخل ياسيدي ، كنت أعتقد كما تعتقد أنت وأقول أنه لا يدخل إلى بيتي حتى خانتني زوجتي .. فصرخت في وجهها « لن أسمح بعد اليوم لـ توفيق أفندي أبو الشوارب أن ينخطي عتبة بيتي .. » ومع ذلك فقد كانت زوجتي تدخله سراً إلى بيتي .

— كانت تدخل من ؟

— ومن سيكون ياروحي ؟ كانت تدخل توفيق أفندي أبو الشوارب .

ما أعلم هو أن زوجته شريفة جداً وتحب بيتها وزوجها كثيراً ولم تكن سيئة السمعة . ولم تكن إمراة لعوا . حينئذ خطرت على ذهني

فكرة وهي ان بعض النساء يعاني من حالة نكوص إلى سنين ماضية ، فكم امرأة عاشت مراهقتها بعد الأربعين ، وكما يبدو وان زوجته المسكينة قد عانت نفس الحاله .

قال :

ـ إن زوجتك تدخل توفيق افندى ابو الشوارب إلى بيتك ولكن في الخفاء ودون أن تعلمك بذلك .

يا له من سافل ... إنه يستمنى بكل وقاحة ... حقيقة إن لإبن آدم أطواراً غريبة ، فعندما يصاب بمحنة يتمنى أن ينصاب بها كل شخص ، ويتمنى أن تنشر هذه المصيبة على كل الناس كي لا يستمن أحد به .

فقلت له بعصبية :

ـ أرجوك يا سيد ..

ـ ومع ذلك فقد أكون مخطئاً إذا ما قلت بأن الشك لم يملا قلبي .

ـ ما هذا الرجل المسمى توفيق افندى ابو الشوارب ؟ اهو دنجوان عصره ؟ ! قال :

ـ حسنا ، لا تغضب ، إن كان توفيق افندى لا يدخل الى بيتك كما تدعى فكيف تفسلون ملابسك ؟ ! إذا غاب توفيق افندى فلن تنفل الملابس . آه ... كأنني فهمت ... فلقد تخلت معظم البيوت عن الخادمات وأصبحت تعتمد في اعمالها المنزلية على رجل يعمل على خدمتها ، ويعنى كلامه أنهم قد أحضروا إلى بيتهم رجلاً يدعى توفيق افندى ابو الشوارب وهذا الرجل يقوم بأعمال الفسحيل والجلبي والطهي ، لا شك انه شاب جميل و وسيم وائق ، ومع ذلك فلا اعتقد ان المرأة قد عشقته ولكنها

الغيرة . فلا شك بأن هذا الرجل قد شعر بالغيرة من توفيق أفندي أبو الشوارب .

— هل توفيق أفندي أبو الشوارب شاب ؟

وبعد فترة من التفكير قال :

— إذا كان من مواليد ١٨٨٠ فكم يكون عمره ؟

— أربعة وثمانون . ماذا تقول ؟!

— لماذا دهشت ؟ هل هناك شيء يدعو للدهشة ؟ لقد علمت تاريخ ولادته لأنني رأيت صورته في كل مكان . فقد كان مكتوباً في أسفل الصورة . ولكنني أنا المخطئ على كل حال ، يجب الا تكون قد سمحت له بالدخول إلى بيتي ، فكل الرجال الذين تخونهم زوجاتهم يتصرفون بنفس الطريقة المفقرة . سأروي لك القصة من بدايتها .

— قبل ثلاث أو أربع سنين ، وعندما كنت أنزل من الباخرة أو قفي طفل في الميناء وأعطياني ورقة اعلان بحجم الكف ... كان مرسوماً عليها صورة رجل ... فلقد كانت صورة توفيق أفندي أبو الشوارب .

بهذه الطريقة تعرفت عليه لأول مرة . وعندما صعدت إلى الباص ونظرت إلى الورقة وقرأت ما كان مكتوباً عليها : « إن توفيق أفندي أبو الشوارب يقدم خدماته منذ مئة سنة لربات البيوت ، ماء توفيق أفندي أبو الشوارب للغسيل يجعل الغسيل ناصع البياض ولا يترك أي أثر ، تشعر البيوت التي لا يدخلها توفيق أفندي أبو الشوارب بشيء مما ينقصها . أيتها السيدات وانتم ايضاً استعملوا ماء توفيق أفندي أبو الشوارب للغسيل ». كانت الورقة مليئة بكتابات كهذه . نظرت إلى صورة الرجل ، كان يلبس عمامه على رأسه ، وقد أطال شاربيه ذوي الأطراف الحادة المدببة على جانبي وجهه ، وكادا أن يخرجَا من طرفي الورقة .

شفطت على الورقة بأصابعه ورميتها ، ونسى توفيق افendi ابو الشوارب . وفي المساء وعندما كنت أتناول طعام العشاء كنت اسمع المذيع قسمت اعلان توفيق افendi ابو الشوارب من المذيع :

«لا يمكن لربة المنزل أن تنجز عملاً بلا توفيق افendi ابو الشوارب، سيدتي إن توفيق افendi ابو الشوارب في خدمتك دوماً». وفي الصباح كانت تتناول طعام الفطور حين دق الباب ، فتحت الخادمة وأحضرت ورقة وقالت : «لديك إعلان من توفيق افendi ابو الشوارب يطلب منك إعطائه هذه الورقة .

أخذت الورقة من يدها ونظرت إليها ومن جديد كان إعلان توفيق افendi ابو الشوارب «البيت الذي لا تدخله الشمس يدخله الطيب والبيت الذي يدخله توفيق افendi ابو الشوارب لا يدخله الطيب» . ومن جديد كانت صورة الرجل العم ابو الشوارب .

خرجت إلى الشارع متوجهًا إلى عملني ، فرأيت صورة رجل بالألوان ملصقة في موقف الباص وكان حجم هذا الرجل أكبر من حجم الرجل العادي بثلاثة أو أربعة أضعاف ، يا إلهي ، إنني أعرف هذا الرجل ، ولكن من يكون ؟ هذا الرجل العم ابو الشوارب ليس غريباً عني ، اقتربت أكثر ، وقرأت الكتابة في أسفل الصورة «توفيق افendi ابو الشوارب لكل بيت ، باسم توفيق افendi ابو الشوارب للفسيل لا يترك أثراً ، توفيق افendi ابو الشوارب ، ينظف ملابس الحرير الداخلية دون أن يجعلها ». .

اصعدت إلى الباص ، فرأيت إعلانات توفيق افendi ابو الشوارب ملصقة على زجاج الباص «لا يوجد بلاد مثل بغداد» ، ولا خيار مثل خيار شنفال كويو ، ولا حبایب مثل توفيق افendi ابو الشوارب » ركبت الباصرة ، الإعلانات ذاتها من جديد .

وعندما دخلت الى الدائرة ، قلت لانظر الى الصحيفة ، فرأيت صور هذا الرجل بشاربيه الحادين تماماً صفحات الإعلانات « المرأة التي تجرب توفيق افندي أبو الشوارب مرأة تستعمله دوماً ، وانتم ايضاً إذا جربتوه مرأة فلن تتخلوا عنه أبداً » .

مضت أيام باكملاها ، وكلما نظرت الى شيء ارى توفيق افندي أبو الشوارب ، في البيوت ، في المديع ، على الجدران ، في الترامواي ، في الباص ... لم يكن يغضني هذا الرجل في تلك الأيام ، لأنني اعتدت عليه لدرجة أنني ظننته أحد أقاربي او شيء من هذا القبيل .

في هذه الأثناء يا سيدى ، بدؤوا بوضع هدايا داخل عبوات توفيق افندي أبو الشوارب وذلك كي تزداد مبيعاتهم ، فدخل توفيق افندي الى كل بيت والى كل غرفة . فقد لصقوا على كل عبوة بطاقة وكلما جمعت عشرين بطاقة ترسلها إليهم فتشترك بالمسابقة ، ويوزعون للرابحين ، البيوت والسيارات والبرادات والفسالات وأشياء كثيرة ، هل تعلم ماذا فعلت أنا؟! قلت لزوجتي « وانت يا حبيبتي جربني توفيق افندي أبو الشوارب ، فربما نربح شيئاً ما » .

نعم أنا الذي جلبت هذه المصيبة الى نفسي . ولو لا ذلك لما فكرت زوجتي بتوفيق افندي ولا بشواربه .

قالت زوجتي « عندما تعود الى البيت في المساء ، أحضر معك عبوة ، فأننا لن أخرج هذا اليوم من البيت » .

فأحضرت هذا الرجل الى بيتي ، عندما كنت عائداً الى البيت في المساء مررت على البقالية التي في الزاوية . وقلت للبقال « أعطني توفيق افندي أبو الشوارب » فسألني البقال « كم عبوة تريده؟ » فقلت : « وكم عبوة ساخذ؟ واحدة طبعاً » فقال « يا سيدى ، لقد هجمت النساء على توفيق افندي أبو الشوارب وكل واحدة تأخذ خمس أو ست

عبوات على الأقل، ولهذا سألك كم عبوة تريده، ومن جهة أخرى لا يتوفى توفيق أفندي أبو الشوارب دائمًا ، ... كما أن زوجتي معجبة جداً بـ توفيق أفندي أبو الشوارب ». فقلت : « إذاً أعطني أربع عبوات » فقال : « لا يوجد سوى عبوتين » فأخذت العبوتين وذهبت إلى البيت . ومن يومها يا سيدي ساءت أحوال بيتي وضرب نظامه ولم يبق له أيام لذة ، أدخل إلى الحمام ، فأجاد صورة توفيق أفندي أبو الشوارب المرسومة على العبوات مصفوفة وموضعية على حافة النافذة ، أدخل إلى المطبخ فأجاد عشر عبوات وأحياناً أجد عشرين صورة لـ أبو الشوارب هذا .

تمر الأيام وبمرورها تزداد صور توفيق أفندي أبو الشوارب في البيت قلت لزوجتي « ما هذا ؟ لو كنا نسكن في مفصل تابع لقطعة عسكرية لما احتجنا لكل هذا العدد الضخم من توفيق أفندي أبو الشوارب ، لماذا تشترين كل هذا المقدار ؟ » فقالت « سنحتاج له في يوم ما ، كما أنتي احتفظ بالبطاقات التي تكون ملصقة عليه » في السحب الأول أرسلت زوجتي عشرين بطاقة ولكنها لم تربح شيئاً ، مما زاد في شوقاً لها للهدية أكثر فاشترت عبوات جديدة كي تشارك في السحب الثاني ، امتلاك الحمام والمرحاض والمطبخ وبعد ذلك هجم توفيق أفندي أبو الشوارب إلى الصالون والنرف ، ولم يعد باستطاعتنا التجلُّ في البيت من كثرة توفيق أفندي أبو الشوارب ، بدا غضبي يزداد شيئاً فشيئاً ، لأن توفيق أفندي أبو الشوارب لم يترك لي مكاناً لجلس فيه . عندما أ美的 يدي إلى طاولة الطعام .

— أو و و ... لقد أسقطت توفيق أفندي أبو الشوارب .

عندما أ美的 يدي إلى المكتبة لانتناول كتاباً ، تصرخ زوجتي :

— ١١٦ ... لقد كسرت توفيق أفندي أبو الشوارب .

أنا لا أريد أن أمدح نفسي ، ومع ذلك فانا اعتبر نفسي إنساناً أخلاقياً وذي تربية حسنة . في يوم من الأيام عدت إلى البيت مرهقاً

وما أن جلست على الكرسي حتى شعرت بوخزة في مؤخرتي ، ونظرت الى الكرسي وإذا بتوفيق أفندي يجلس فوقها وقد دخلت فوهة العبوة في فحدي فنسحت وقتنى التربة والأخلاق وصرخت :

— ولك ... لمن الله أبا شوارب توفيق أفندي أبو الشوارب .

ولكن كل ما أفعله كان يذهب سدى ... فكل يوم كان يدخل الى البيت عبوات جديدة من توفيق أفندي أبو الشوارب ، كنت أتوسر وأغضب كثيراً قلت :

— يجب أن نسكن في بيت جديد لأن توفيق أفندي أبو الشوارب لم يترك لنا في هذا البيت مكاناً لجلس فيه .

في إحدى الامسيات جاءنا ضيوف الى البيت ، وما ان حرك أحد الضيوف الجالسين رجله حتى أسقط توفيق أفندي أبو الشوارب على الأرض فخجل كثيراً قلت : — أنا آسف جداً .

— فقال : — ليس مهما يا سيدي ، وبيتنا أيضاً مليء بمثل هذه العبوات ولكن ما فائدة كل هذا ؟

لقد سادت الفوضى في البيت بسبب توفيق أفندي أبو الشوارب . صرخت في إحدى الامسيات قائلاً :

— يا إلهي ... ما فائدة كل هذا العدد الضخم من توفيق أفندي أبو الشوارب ؟

قالت أمي :

— ١١١٦ . . يا ولدي ، هذا الماء ليس للغسيل وحسب بل إنه ينفع لكل شيء ، إنني أنظف أسنانك بـ توفيق أفندي أبو الشوارب .
كدت أجن ، قلت لها :

— يا أمي ، هل رأيت أحداً ينظف أسنانه بماء للغسيل ؟
— ١١١٧ . . طبعاً ، إنه ينظفها بشكل رائع ولا يترك أي أثر .
— حسن ، ولكن كيف ينظفها ؟

— بسهولة بالغة ، أضع توفيق أفندي أبو الشوارب في كأس ماء ، ثم أنزع أسنانني وأضعها في الكأس وبعدها ساعة تصبح ناصعة البياض .

يا إلهي إنها تقصد طقم أسنانها .

هل رأيت يا سيدى كيف يؤثر هذا الإعلان في الناس ، إنها تنظف أسنانها بماء الغسيل ، ولو وقف تأثير هذا الإعلان عند هذا الحد لكان كل شيء على ما يرام بل ذهبنا إلى أبعد من ذلك ، فنحن بتنا نستعمله للغسيل والجلب والخشب وللزجاج وكل شيء موجود في البيت يغسل بـ توفيق أفندي أبو الشوارب ، وكلما اشتريت منه أكثر كلما زاد نصيبك من الربح أكثر وأكثر أتى أخي وزوجته ولديه في الصيف إلى زيارة ، وفي يوم من الأيام . رأيت ولده الأكبر يدخل إلى البيت وبعديه عبوات من توفيق أفندي أبو الشوارب فصرخت متسائلاً :

— ما هذا ؟ !

قال :

— اشتريتما من تقودي يا عمي ، من مصر وفي الخاص :

— ولك ، لماذا اشتريت هاتين العبوتين ؟ ! هل تستفسل ئياباك نفسك ؟ ! .

- ١١١ . أنا سأخذ البطاقة منها وحسب ، كي أشتراك في السحب القادم . انظر الى اثر الإعلان يا سيدى ، إنه يشتري المبوءة ، ففرغ ما يدخلها في المرحاض ويأخذ البطاقة فقط .

في يومٍ أحدٍ حار جداً ، فتحت باب الثلاجة كي أشرب ماءً بارداً ،
فوجدت ثلاثة عبوات من توفيق أفندي أبو الشوارب ... لا ... لا ...
لا يمكن أن أسمع بدخول هذا الرجل الى الثلاجة أيضاً ، فصرخت قائلاً:

— من وضع هذه العبوات في الثلاجة ؟ ! .

ولكن لم يأتني الجواب .

بعد هذه الحادثة بعدها أيام ، لم يحضر لنا بائع الماء ماء للشرب ،
ولم أجد في البيت قطرة ماء واحدة ، لأن المياه كانت قد انقطعت ، كدت
أشتعل من شدة حرارة الجو ومن قلة الماء ، ولكنني كنت أرى ابن أخي
الاصلف بين الحين والآخر يدخل إلى المطبخ ويخرج ، وكان كلما خرج
يسعى فمه المتل بالماء ، فتشوّقت لمعرفة ما يفعله الطفل ، في إحدى
المرات نظرت إليه من ثقب الباب وأمسكت به عندما وضع عبوة توقيق
أفندي أبو الشوارب على فمه . فقلت له :

— ولك ، ماذا تفعل ؟ ! ستصاب بالتسنم ، استدعوا له الطبيب
سرععة كي ينظف معدته .

تناول الطفل عندما رأى آثار الخوف على وجوهنا :

— لن يحدث أي شيء ، ولم يخوف يا عمي فأنا أشرب منه
ياستم ار . وشرب النصف المتبقى في الزجاجة . ولم يحدث له أي شيء .

قالت حماتي عندما رأتنى مضطرباً :

لشرب ... لشرب ... انه ينظف معدته

كدت أجن ، وضعت يدي على رأسي ورحت أبحث في شعري
وأبعثره في كل الاتجاهات من شدة غضبي .

فقالت حماتي بكل هدوء أعصاب :

ـ أنا أشرب منه عندما أصاب يامساك ، إنه مفید جداً ، وأنت
أيضاً أشرب منه قليلاً إنه يهدىء الأعصاب .

ـ ما هذا ؟ أهو مهدئ للأعصاب أم ماء للفسيل ؟!

ـ إنه ماء للفسيل ولكنه مفید للشرب .

قالت زوجة أخي :

إنَّ جارنا يفدي أطفاله على توفيق أفندي أبو الشوارب ،
يضعون توفيق أفندي في زجاجة الحليب ويطعمون أطفالهم منه ، فينام
الأطفال نوماً عميقاً . فقالت زوجتي :

ـ إنه مفید للعيون أيضاً ، فأنا منذ سنتين أغلق عيني بتوقيق
أفندي أبو الشوارب .

ـ يا عزيزي إن هذه الإعلانات مدهشة ومخيفة أيضاً للغاية ،
حسب ما فهمته من هؤلاء الناس ، فإن الشركة تضع ماء صافي في العبوات
ويبيعونه للشعب على أنه ماء توفيق أفندي أبو الشوارب للفسيل . أنا
متاكد من أنهم يفعلون هذا ، ولكن كيف ستشرح لهؤلاء الناس ؟ لا يمكن
أن تفرقه عن ماء الشرب العادي الذي ينزل من الصنبور .

كان الابن الأكبر لأخي يلعب بالكرة في الشارع فجرحت ركبته ،
جاء راكضاً إلى البيت ، وبينما كنت أبحث عن الأوكسجين واليسود
والكحول جاءت أمه وسكت ماء توفيق أفندي للفسيل على ركبته .

ـ إنه توفيق أفندي أبو الشوارب ينفع لكل شيء . لأننا يا سيدي كي
نستفيد من البطاقة للاشتراك في السحب الدوري نجد المبر الركابي
لاستعمال توفيق أفندي لكافة الاحتياجات .

أقسم بالله أني مللت من البيت ، ولم أعد أرغب بالدخول إليه .
في إحدى الامسيات صرخت بأعلى صوتي عندما كنت أجلس في المرحاض
فأيّلاً :

ـ ولك ، على الأقل ، امنعوا هذا الرجل من الدخول إلى هنا ،
لا تضعوه هنا ، لا أريده أن يدخل إلى المرحاض .

ـ يا سيدى عندي ، كيف يمكنك الجلوس في المرحاض وأمامك عدة
أشخاص مقتولى الشوارب ينظرون إليك . شيء معيب فعلاً ، لا تنسى
أن النساء أيضاً يدخلن إلى المرحاض ، قالت زوجتى عندما سمعتني
أصرخ في المرحاض :

ـ لماذا تصرخ ؟ لقد وضعته أمي في المرحاض .

ـ ولماذا وضعته أمك هناك ؟

ـ لأن أمي تتنظف وتتطهر باستعمال توفيق أفندي أبو الشوارب .
ـ لقد فهمت يا سيدى أنه لا مكان لي في البيت ، فأنا إن كنت شخصاً
واحداً داخل البيت فإنه يوجد بالمقابل ألف توفيق أفندي أبو الشوارب ،
أينما نظرت أرى تلك الشوارب الضخمة متوجهة نحوى
ـ في ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، استلقىت في سريري ومددت
رحيلى ٢٠٠٠٠ ما هذا ؟ أحسست بشيء بين رجلي ، فسألت
زوجتى قائلاً :

ـ ما هذا ؟!

ـ إنه توفيق أفندي أبو الشوارب .

ـ لا ٢٠٠٠ لن اسمع لهذا الرجل بالنوم في سريري .

ـ الطقس بارد جداً ، ولهذا عبات زجاجات توفيق أفندي أبو
الشوارب بالماء الساخن كي أدفأ السرير .
ـ قدفت المبات وصرخت :

— لا اريده هنا . . .

لقد ساءت الامور كثيراً ، ادخل الى سريري فأجد شوارب توفيق افendi تناه بيسي وبين زوجتي ، فكر قليلاً ، عذرًا ، من المقول ان تناه ثلاثة اشخاص في السرير أنا وزوجتي و توفيق افendi أبو الشوارب ، أمه يدي الى زوجتي فأجد شوارب توفيق افendi مستلقية على صدرها .. ما هذا يا !!! ؟ !! !

ساجن يا أخي ، لا بل جنت فعلاً ، وفي النهاية اعترضت على ما يجري قائلاً :

لن يدخل هذا الرجل أبو الشوارب إلى بيتي بعد الان .

— من أبو الشوارب هذا ؟

— توفيق افendi أبو الشوارب ، ول يكن عندك علم بما سيحدث ..
لن أدخل البيت الذي يدخله هذا الرجل .

لقد أمر اعترافي وسحبت عبوات توفيق افendi من البيت ، لقد سحبت كل العبوات ومع ذلك ما زلت أرى شواربه تتجلو في البيت .
في إحدى الليالي وعندما كنت نائماً صرخت بصوت عالٍ :

— اسحب شواربك من هنا ولك .. اسحب شواربك من هنا أيها القذر .. كان صراخي عالياً وحاداً لدرجة اني ايقظت اهل بيتي والجيران فسألوني بخوف :

— ماذا تقول ؟ آية شوارب ؟ !

ولم اخرج صوتي لشدة خجي .

انظر الى المرأة عندما أحلق لحيتي فأجد على وجهي شوارب طويلة ، وكتت أقول بيسي وبين نفسي « لم يعد يدخل الى البيت ، فلماذا

اراه دائماً ، لا شك ان اعصابي متورّة بعض الشيء ، سببها هذه الحالة
وتنتهي ولا شك » .

ربما كانت سببها هذه الحالة لو ان زوجتي لم تحضر توفيق أفندي
الى البيت في الخفاء فقلت لزوجتي :

ـ انظري إلي إما أنا او توفيق أفندي أبو الشوارب .

ـ لا استطيع ان اجز عملأ بدون توفيق أفندي أبو الشوارب ، انه
ينفع لكل شيء » .

ـ وانا ، لا انفع لشيء .

ـ إنك تنفع ، ولكنك لست مثل توفيق أفندي أبو الشوارب ، انه
ينفع لكل احتياجاتي وكل اعمالي .

خرجت من البيت ولم اعد إليه بعد ذلك ، وقدمت زوجتي
للمحاكمة من أجل إتمام إجراءات الطلاق . أرأيت ؟ لا شك ان هذا
الرجل يدخل الى بيتكم أيضاً . لا يوجد بيت لم يدخله .

وصلنا الى الجزار ، دخلت انا الى محل وذهب الرجل في حال
سيله . لقد حزنلت لوضعه كثيراً .

صر اللحام الرئة التي اشتريتها للقطة بورقة صحيفة ، وعندما
خرجت نظرت الى الورقة فوجدت صورة رجل بسط فوق شفته العليا
شاربين مفتولين وحاددين ، انه توفيق أفندي أبو الشوارب : « لتلبية
احتياجات ست البيت توفيق أفندي أبو الشوارب » .

إن هذا الإعلان مدهش ، مدهش للغاية ، لأن القسم الذي رميته
سقط على الأرض ومع ذلك فقد كانت تلك الشوارب ظاهرة واضحة
 تماماً ... الشوارب المفتولة ... تلعب باستمرار .

أهذا هو المشاكس الذي يسمونه حساناً

« أيواه ... أيواه ... » هذا ما كان يرددده عبدي الشركسي وهو يلطم خده . لم يعد باستطاعته الموده الى القرية ، حتى رؤية بيته وأسرته صار شيئاً مستحيلاً . « تفوه .. تفوه .. آه لقد التهيت ، وأية نهاية تعيسة » جلس على صخرة الجرن الموجودة قرب النبع وراح يفكر بعمق » .

« أهدأونا ... نعم أعداؤنا هم الذين أشاعوا بين الناس بأن الشراكس سرقوالخيل ، علماً بأن هذا الكلام مجرد كذب وافتراء ، فالشراكس لا يسرقوالخيل ، التوبة يا ربى ... الشركسي لا يسرق الخيول ، ولكن ايسمح للآخرين سرقة حصانه ؟ ! . آخ يا رأسى ... أي ابن عاهره سرق حصاني ... إنه ليس حصان عادي ، بيل هو من سلالة الخيول العربية الأصيلة . ليتنى استطعت أن أفدي ، تلك البقع البيضاء التي تزين ظهره ، بنفسي . يا حصاني ذو اللون الاحمر المحروق ... والساقي التي يزيئها البياض . سيدقال لقد سرق حصان عبدي الشركسي ، ولك يا عبدي الجحش ايسمح قوم الشراكس لأحد بسرقة خيولهم ؟ يا عبدي المفل ... لقد اسات الى سمعة الشراكس ولطخت شرفهم في الوحل اي مصيبة وقعت على رأسى ... آه ... لقد أشاعوا بين الناس بأن الناس بأن الشراكس سرقوالخيل ، لتصاب اعين الاعداء بالعماء ، ها إنذا شركسي ومع هذا لم استطع حتى حماية حصاني من السرقة » .

جلس عبدي الشركسي واسعاً رأسه بين راحتيه مستنداً مرافقه على ركبتيه وكأنه يبكي ، وراح يفكر بالمل :

لدي رغبة عارمة بالانتحار ، ولكنني لن أجرو على ذلك ، علماً أنه لا يوجد طريقة أفضل من الانتحار ، سأرمي نفسي من أعلى الصخرة الى الوادي وليتفتت جسدي ألف قطعة ولتصبح كل قطعة ألف أخرى .

سيقتل بعد أن أموت : لقد طار هذا الشجاع كالريح وسقط في الوادي
إن العيش في هذه الدنيا حرام علي .

لا ... لن أستطيع النظر إلى وجهي أي شخص في القرية أو في
البلدة ، سينظرون إلي ويقولون : هذا هو الشركسي الذي سرق منه
حصانه س يجعلوني تسللتهم وهم يشرون إلي . لقد أصبحت محط
سخرية الأطفال وانتهى الأمر . دعك من كل هذا ، فهناك ما هو أسوأ
منه وهو أن زوجتي لن تسمع لي بتخطي عتبة هذا البيت عندما تسمع
بسرقة حصاني ... تفواوه ... لقد تطلع شرقي بالوحش »

كان عبد الشركسي يهتز يمنة وشمالاً في المكان الذي يجلس فيه
« الموت ليس حلا ، ... هيا لنفرض أنني أزهقت نفسي ... ولك أن
يرى أحد فرسي ، ذات الشعر الأحمر المحرق ، المسوقة ؟ سيقولون
هذه هي فرس عبد الشركسي ، لا ... لا ، يجب إلا أموت ، فاوت ليس
حلا ... » لقد قرر عبد الشركسي الغارق في بحر أفكاره أن يعمل
 شيئاً ليغسل العار الذي لحق به . يجب إلا يكون قد سمع أحد من
الناس بأن فرس أحد الشباب الشركسي قد سرق .

سمعت أصوات حوافر الخيل من بعيد ، جلس على صخرة الجرن
التي يشرب الحيوانات منها وأسند ظهره على الصخرة التي يصب ماء
النبع منها ، وتصنع النوم . اقتربت أصوات حوافر الخيل ... اقتربت
أكثر ، ظهر لفارات ... نظر عبد الشركسي الذي تصنع النوم إلى
فوق ، فرأى حصاناً يشرب من الجرن ، ولكن هذا الحصان لم يعجبه
إبداً ... أنه لا يشبه الأحصنة إبداً ، بل هو أشبه ما يكون بالحمار ،
فلو ذهب إلى القرية وقال لهم : لقد استبدلت فرسي بهذا ، سيضحك
الجميع عليه . إذا لا بد من الانتظار ، لا شك سيأتي نصيه ، أسلم
نفسه للنوم ... حتى أنه تصرف وكأنه لم يسمع سلام الرجل الذي
حياة . ساق الفارات حصانه وذهب .

وبعد ذلك جاه اثنين أو ثلاثة فرسان ، أشروا خيولهم ، ولكن
عبد الشركسي ما زال يتصرف وكأنه نائم . ثم قال في سره : « يا

حظي ويا قسمتي » في هذه الاثناء يسمع اصوات حوافر خيل [١] فانتصب عبدي الشركسي على رجليه مباشرة ، ان «الحصان الاصيل» لا يخفيء نفسه من وقع حوافره . ولك يا أخي . . . من يملك حصانا ، يخرج هذه الاصوات من وقع حوافره على الارض ، يا لها من اصوات رائعة . انها فتيات سبع قرى شركسية اللدبة ، يا لها من اصوات آلة موسيقية شركسية لم ليست اصوات حوافر خيل ، بل هي اصوات آلة موسيقية شركسية لم ينْ مثيلها بعد وفو ذلك يدا الحصان بالصهيل .

عندما نظر عبدي الشركسي من طرف عينيه الى الحصان ، بدا وكأن قلبه يقفز بين اضلاعه . يدا هذا الحصان الذي تقدم الى الجرن وهو يحفر التراب بطرفيه الاماميتيين ، اشبه ما يكون بفتيات الشراكس اللاتي لا يستطيعن الشبات في مكانهن :

تصرف عبدي الشركسي و كانه استيقظ على صوت صهيل الحصان ، و بدا ينظر اليه من مكانه ، حيّاه الرجل الراكب على الحصان كما فعل بقية الفرسان :

- السلام عليكم .

فرك عبدي الشركسي عينيه بظاهر كفه و كانه لم يسمع سلام الرجل ، و نظر اليه من الاسفل الى الاعلى بدھشة ، ثم قال له :
- يا إلهي . . امان يا ربِي . . ما هذا ؟ ! كيف حدث شيء كهذا ؟
هل أرى حلما ؟ ! ما هذا الذي اراه ؟ !

فقال الرجل :

- ماذا هناك ؟ ! لماذا ذهبت ؟

قال عبدي الشركسي :

- أليس شيئاً مدهشاً ؟ ! . أية حكمة في هذا يا إلهي ؟ !
«يا قبضاي» أرجو الا يكون سؤالي مغبياً . . . كيف ولدتك أمك مع
هذا شيء الذي في الاسفل ؟ ! .

فقال الرجل مستغرياً :

— ماذا تقول أبا الرجل ؟ ما معنى هذا ؟ ألم تر حصاناً في حياتك ؟ ! .

— ماذا ؟ ! . حصان ؟ ! . يعني أن هذا هو الذي يسمونه حصاناً ليس كذلك ؟ ! . وهذا هو الحصان ؟ ! .

عبد الشركسي يتلو الدعوات بغيرارة والرجل يصحح لحماقته .

— يابني ، ألم تر حصاناً مولوداً من امه ؟ ! .

— يا إلهي ، كلام ادرا .

— ولنك الا يوجد خيول في قريتك ؟ .

— خيول ؟ ! وماذا ستفعل في قريتنا ؟ ... يوجد في قريتنا عدد كبير من الحمير .

— ولك ، أيها المفلل ، ألم تخرج من قريتك أبداً ؟ ! .

— اليوم هو أول يوم أخرج فيه من قريتي ، ... يا إلهي لهذا حسان ؟ .

— وماذا تظنه ؟ نعم إنه حصان ...

— الله الله ... إذا هذا هو المشاكس الذي يسمونه حصاناً ، ويشرب ماءًليس كذلك ؟ ! .

— الا تريده أن يشرب ماءً ؟ هل أنت أعمى ؟ طبعاً إنه يشرب كما ترى .

— نعم ، إنه يقب الماء ... آه يا إلهي ، إنك على كل شيء

نعم ، إنه يقب الماء ... آه يا إلهي ، إنك على كل شيء قادر ... يا قبضائي ، وماذا يفعل هذا الذي يسمونه حصاناً ؟

قال الرجل :

ـ إننا نركب عليه ..

ـ نركب عليه ؟ ! ..

ـ نعم نركب عليه ، ويعدو بسرعة البرق . يطير مثل العصفور ، إنه يوصلك إلى المكان الذي يستغرق خمسة ساعات مشياً على الأقدام خلال زمن أقل مما يستغرقه شرب سيكاره ..

ـ يا إلهي ... لاتقتل هنـا ... يا إلهي ... الا يسقط الإنسان من فوقه ؟!

ترجل الرجل أو قال :

ـ تعال أو اركب لترى ..

ـ يا إلهي ، لا استطيع أن أركب ..

صلر الرجل يضحك بجنون ، فقد وجد تسلية له ، سيركب هذا الأحمق على ظهر الحصان ، وكم سيسلسلي ويشرأويضحك عندما يرآه على قمة ظهر الحصان ..

ـ تعال .. تعال ..

ـ لا ، لا ... أرجوك ياقبضاي ، لا استطيع الصعود على ظهر هذا المارد ..

ـ تعال ، جـَرـَّب قليلاً ، إنه سهل جداً ..

اقرب عبد الشركي من الحصان ..

ـ ضع رجلك على الركاب ..

ـ ماذا قلت ؟ الركاب ؟!

ـ نعم ، يقال « رِكَاب » للمكان الذي تستوضع رجلك عليه قبل أن تصعد .

ـ رِكَاب أليس كذلك ؟ يا سلا ١١١ م .. يقال لهذا رِكَاب أليس كذلك ؟

ـ نعم ، هكذا يقال له ، هيا .. لاتخف .. ضع قدمك ..
ـ وإذا وقعت ؟

ـ يا أختي لاتخف ، إبني أمسكك جيدا ..

وضع عبدي الشركسي رجله على الرِّكَاب وسحبها :

ـ لا يأقبضاي ، أنا لا أملك القدرة على فعل أمور كهذه ..

ـ ولدك ضع رجلك ، وأمسك هذا العنان ..

ـ هل قلت العنان ؟ وما هو العنان ؟

ـ انظر ، يقال لهذا عنان ... اقفز على السرج ..

ـ سرج أليس كذلك ؟!

ـ نسم سرج ، هيا اقفز ..

ـ يجب أن اقفز ها !!!

ـ ولدك اقفز هيا ..

ـ أرجوك يا قبضاي أمسكني جيداً .. ادفعني من الخلف ، يا إلهي ، إنها مثل المارة ..

جلس عبدي الشركسي فوق السرج ، كان يرجم من الخوف وهو يتسلل للرجل قائلاً :

ـ أقبل يديك .. لا تتركني يا قبضاي ..

كاد الرجل الذي يمسكه من خصره أن يسقط مفجعاً عليه من شدة
الضحك . . .

— أرجوك لا تتركني . . . وَالآن ، ماذا سنفعل يا قبضاي ؟

— اضرب برجليك على بطن الحصان .

— لا تقل هذا ..

— سينطلق . . . اتركه أنت . . .

— يعني .. سينطلق ها ؟ . . .

رفعت الفرس راسها ، وصارت تصهل وهي تدق الأرض بطرفيها
الاماميتان ، حينئذ صرخ عبدي الشركي .

— يا سلااام . . .

صرخ الرجل قائلاً :

— لا تخف ولاااا . . .

لقد وجدت الفرس فارسها ، فبسطت جناحيها وطارت ،

أما الرجل الذي تدحرج على الأرض من شدة الضحك ، فقد
توسعت عيناه وتسمئ في مكانه وهو ينظر الى الفبار ، المتظاهر من حوافر
الفرس ، وهو يعانق السحاب .